

جوزف حَرب

السيدة البيضاء في شهوتها الكاحلية



شعر



دار النشر
دار النشر
دار النشر

السيدة البيضاء
في شتوتها الكحلية

جوزف حَرَب

السَّيِّدَةُ الْبَيْضَاءُ
فِي شَهْرَيْهَا الْكَحْلِيَّةِ

شعر



رياض الريس للكتاب والنشر
RIAD EL-RAYYES
BOOKS

JOSEPH HARB

A POEM

First Published in June 2000

Copyright © Joseph Harb
BEIRUT- LEBANON

© حقوق النشر محفوظة للمؤلف

British Library Cataloguing in Publication Data available

ISBN 1 85513 422 5

All rights reserved. No part of this publication
may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any
means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise,
without prior permission in writing of the publishers

الرسوم: فارس غصوب
الخطوط: علي عاصي

تصميم الغلاف: محمد حماده

الطبعة الأولى: حزيران/ يونيو ٢٠٠٠

أَدْمُ بَيْنَ صَلَاتِي وَاللَّهِمَّ وَالنَّوَسُ



Ghosouf Rao

وَكُنْتُ عَرِيْسًا مِّنَ النَّحْلِ، أَمْتَصُّ
 كُلَّ بَنَفْسَجَةٍ حَفَّتِ الْخَضْرَ بِالرَّقِصِ. كُنْتُ أَمِيرَ الْعَمَامِ،
 وَحَاشِيَتِي فِي بِلَاطِ الشُّهُورِ الرِّيَّاحِ. يَفْتَحُ فَوْقَ لِسَانِي
 نَهْدُ الْخُرَامِي، أَمْوَجُ تَحْتِي عُرُوسُ الشُّهُولِ، أَعْرِي مِّنَ
 الشَّجَرَاتِ الَّتِي أَشْتَهِيهَا، أَضَاجِعُهُنَّ، وَالْمَعُ ثَمَّ أَدُوبُ.

تَحَدَّرْتُ مِنْ أُمَّهَاتِ الْعَرِيشِ . أَبِي
كَانَ مُهْرَ الْبَرَارِيِّ . سَبَا مِنْ خِيَامِ لِبْدُو الْعِنَاقِيدِ
أُمِّي ، وَفِيهَا
رَقَدْتُ .

وَلَمَّا أَتَاهَا مَحَاضُ النَّبِيدِ ،
وُلِدْتُ .

أَفَاقَ نِسَاءِ الْبِنْفُسِجِ مِنْ نَوْمِهِنَّ .
وَطَيْبِنَ أَفْخَاذَهُنَّ بِأَسِ . وَأَكْتَأْفُهُنَّ رَمِينَ عَلَيْهَا مُوشِحَةً
مِنْ غِنَاءِ الدَّوَاةِ . وَكُنَّ نَقَعْنَ النُّهُودَ بِمَاءِ زَبِيبِ ، فَذَرَدَرْنَ
مِسْكَاً عَلَيْهَا ، وَأَطْلَقَتْهَا فِي
فَضَاءِ الْجَسَدِ

حَمَائِمِ
فِي صَيْفِ يَوْمِ أَحَدِ

وَزُحْنَ يُرْتَلْنَ لِلصَّخْرِ، رَبُّ الْفُتُوَّةِ؛
وَالرَّيْحِ، سَيِّدَةُ الْخِضْبِ؛ وَالْمَوْجِ، فَارِسِ مَمْلَكَةِ الْبَحْرِ كُنَّ
يُضِئْنَ الْأَصَابِعَ، وَالصَّوْتُ يَزْشُحُ مِنْهُنَّ خَضْرَاءً
وَنَهْدَيْنِ:

«إِسْفُوهُ مَاءَ الْأُنُوثَةِ حَتَّى يَصِيرَ
إِلَى السُّكَارَى الَّذِي كَرَّمَهُ اسْوَدَّ تَحْتَ بُطُونِ النِّسَاءِ.
وَلَا تُطْعِمُوهُ سِوَى عُشْبِ بَرْقٍ لِيَنُمُوَ فِي صُلْبِهِ
شَبَقُ الْعَيْمِ. هَاتُوا لَهُ فَرَسًا ظَهْرُهَا يُشْبِهُ امْرَأَةً
فِي الْحَصَادِ. وَلَا تَدْعُوهُ يَرَى غَيْرَ عُرِّي وَرَقِصِ.
وَإِنْ شَاهَدَ اللَّيْلَ فِي الشَّعْرِ فَلْتَدْعُهُ شَفَّةً لِلْمَبِيتِ
لَدَيْهَا.»

وَنَاجِينَ رَبَّةَ أَيَّارَ

مُبْتَهَلَاتٍ:

«أَلَا بَارِكِي عِضْوَهُ بِبِخُورِ،
وَزَيْتِ. لِيَعْلُوَ كَغُضْنٍ مِنَ اللُّوزِ شُرْبٌ حُمْرَةً عَيْنِ
الْغُرُوبِ، فَتَعْدُو الْأَصَابِعَ فِينَا نَسِيمًا، وَتَعْدُو الْفُرُوجَ فِضَاءً.

وَتَهْبُطُ مِثْلَ الضَّبَابِ إِلَيْهِ الشِّفَاهُ. فَيَقْطُرُ أَبْيَضَ أَبْيَضَ،
فِيهِ مِنَ الْمَاءِ مِلْحُ الْوِلَادَةِ. فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ

تَفْتِيحُ

نَوْمِ الْبُدُورِ.

أَلَا وَلَيْقُمْ مَلِكاً قَوْسُهُ النَّهْدُ،
سَجَّادُهُ سَوْسُنُ الْفَخْدِ. وَلَيْكُنِ النَّاجُ تَاجَ الْخُصُوبَةِ وَهُوَ يَدُوسُ
النَّدَى فِي بِلَاطِ التَّوْنِجَاتِ
بَيْنَ الْخُصُورِ.

وَيَا رَبَّةَ الْعُرْيِ، رَوِّي لَهُ نَبْعَتَيْهِ
بِدْفَقِ شَهْيٍ. وَخَاصِرَتَاهُ اعْقِدِي فِيهِمَا وَتَرِي زَبْدَ لَامِعِ.
وَهَبِينَا نَكُنْ صُبْحَهُ حِينَ يَنْهَضُ مِنْ نَوْمِهِ؛ وَفَضَاءَتِهِ
حِينَ يَغْلُو؛ وَقَارُورَةَ الطُّيْبِ حِينَ يَهْفُ بِقُمْصَانِهِ.
وَهَبِينَا تُقْلِدُهُ أَجْسَادُنَا

صَوْلَجَانَ السَّرِيرِ.»

وَكُنَّ يُنْخَلْنَ أَرْوَاحَهُنَّ كَمَنْ شَاهَدَ الرِّيحَ
 وَهِيَ تُنْخَلُ صَيْفَ الغَمَامِ. وَيَنْشُرْنَ أَجْسَادَهُنَّ عَلَى
 مَدْيَنِي سَاعِدَيَّ لِتَقْطُرَ نايًا وَرَقْصًا. وَكُنَّ يَفْتَحْنَ أَفْوَاهَهُنَّ
 الغَوَامِضَ أَرْزَارَ وَرْدٍ، إِذَا مَا مَرَزَتْ نَسِيمًا عَلَى بَالِهِنَّ.
 وَكُنَّ لِيُْمْسِكُنَّ بِنِي، وَيَسِرْنَ إِلَى التَّخْتِ عِنْدَ الْمَسَا،
 قَدْ جَعَلْنَ أَصَابِعَهُنَّ الْمَشِيْقَةَ رِحْلَةَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ نَحْلٍ
 إِلَى آخِرِ اللُّوزِ، حَتَّى تُلَوَّنَ أَظْفَارُهُنَّ بِعَشْرِ عَشَايَا.
 صَنَعْنَ مَرَاوِحَهُنَّ مِنَ الْبَيْلَسَانِ لِيَشْعُرْنَ
 أَنِّي أَهْبُ عَلَى نَهْدِهِنَّ الْمُفْتَحِ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ. لَيْسَ
 لَهُنَّ جَدَائِلُ، لَكِنْ تَسْمِيْنَ صَفْصَافَ مَائِي. يُنْظَفْنَ أَسْنَانَهُنَّ كَأَنَّ
 نَدَى مَرَّ بَيْنَ صَبَاحَيْنِ. يُرْسِلْنَ لِي خَضْرَهُنَّ كِتَابًا
 لِأَقْرَأَ فِي عُرْيِهِنَّ. وَحَتَّى يُقْبَلْنَ وَجْهِي فِي نَوْمِهِنَّ، يُقَدِّمْنَ
 لِي نَوْمَهُنَّ مَرَايَا. وَقَبْلَ افْتِتَاجِي مَعْرِضَ مَرْمِرِهِنَّ،
 يَجِئْنَ بِنَهْرٍ، وَيَفْتَحْنَهُ، ثُمَّ يَجْلِسْنَ فِي رُدُّهِ مِنْ حَفِيْفٍ،
 وَيَأْخُذْنَ إِضْبَعَ طِينٍ مِنَ السُّكْرِ الزَّبْدِيِّ الْمُمَوَّجِ، حَيْثُ الْمَجِيءُ
 أَوْ الرُّوْحَانُ يُنْعَمُ أَفْخَاذَهُنَّ تَمَائِيْلَ خَوْخِ أَمَامَ شِفَاهِي.

وَرُحْنٌ يُهَيِّئُنَ أَجْسَادَهُنَّ مَرَايَا إِذَا
كُنْتُ وَجْهًا؛ وَيَأْفُوتُ صُبْحَ إِذَا كُنْتُ صَيْفَ الْجِبَالِ؛
وَعَيْدَ الشَّعَانِينِ إِنْ كُنْتُ فِصْحَ الْخُصُورِ. وَكُنَّ إِذَا
شِئْتُ مُتَّكَأً لِلْأَصَابِعِ
يَفْرِشْنَ نَهْدًا.

وَإِنْ مَرَّ فِي خَاطِرِي
فَقَطْفٌ وَرَدٌّ،
تَحَوَّلْنَ وَرَدًا.

نَمَتْ حَلْمَةٌ إِنْ تَرَفَّرَقَ ثَغْرِي،
وَإِنْ لَمَسَتْ لَفْتَتِي بُرْعَمَ الْخِضْبِ
نَدَى.

وَأَشْتَاقُ وَضِلِّي فَيُضْبِحُنَ قُرْبًا.
وَأَعَشُّ شَوْقِي فَيُضْبِحُنَ بُعْدًا.

وَصَلَّيْنَ لِخِضْبِ أَنْ يُوقَفَ الْوَقْتَ
كِي لَا تَدُورَ بِهِنَّ السِّنِينَ، فَأَوْقَفَ أَعْمَارَهُنَّ. وَأَنْ
يَمْحُوَ اللَّيْلَ مِنْهُنَّ حَتَّى يَصِرْنَ نَهَاراً، فَصَيَّرَهُنَّ
صَبَايَا

إِذَا مَا أُصِيبْنَ بِدَاءِ التَّجَاعِيدِ
فِي الْمَاءِ
عُذْنَ
مَرَايَا.

وَلَمَّا ابْتَهَلْنَ طَوِيلًا، أَسَالَ عَلَى
شَعْرِهِنَّ حَرِيرَ الْيَمَامِ، وَذَوَّبَ فِي صَحْنِ أَعْيُنِهِنَّ
العَشَايَا،

وَقَطَّرَ فِي الْفَمِ تُوْتَا،
وَفَتَّحَ فِي الْخَضِرِ نَايَا.

وَمَاجَ بِعَيْنَيَّ فِي اللَّيْلِ وَهَجَّ
عَلَيْهِ مُحَيَّا رَيْي، وَقَالَ:

تَنَّبَهُ لَهُنَّ. فَلَيْسَ بِهِنَّ مَفَاتِنُ
عُرِّي، بِهِنَّ
خَطَايَا.

وَأَشْهَى الَّذِي مَا لَمَسَنَّ السُّيُوفُ،
وَأَشْهَى الَّذِي مَا رَأَيْنَ
الضَّحَايَا.

وَأَجْمَلُ مَا فِيكَ بَعْدَ مَضَاجِعِهِنَّ
الْبَقَايَا.

وَيَفْتَحَنَّ رُوحَ الرَّجَالِ وَهَنَّ يُمَزَّقَنَّ
أَجْسَادَهُمْ، مِثْلَمَا تَفْتَحُ الْمُؤَمِّسَاتُ
الْهَدَايَا.

إِذَا لِنْتَ، حَوَّلْنَا أَجْسَادَهُنَّ لُصُوصًا،
وَقَلْبِكَ كَنُزَا، وَعَعْتَمَةَ أَفْكَارِهِنَّ
زَوَايَا.

وَقُلْ إِنْ عَشِقْتَنِي:
«أَشْهَى لَدَيْهِنَّ مِنِّي سِوَايَا.

لِكثْرَةِ عَشِقَتِي لَهْنًا، إِذَا حُنَّ،
أَنْكَرَ قَلْبِي مَا قَدْ رَأَتْ
مُقَلَّتَايَا.»

أَلَا أَقْرَأُ. فَلَوْحَانِ كَفَّاكَ، فَاقْرَأُ.
فَلَيْسَتْ أَصَابِعُ مَا فِيهِمَا بَلْ
وَصَايَا.



أَبَدْلُهُنَّ كَبْحَرٍ يُبَدِّلُ مَوْجَ السَّوَاكِحِ .
أَحْصَدُهُنَّ كَأَنِّي حُزْرِرَانُ . أَغْلِقُهُنَّ وَرَائِي فَخَذَيْنِ قَدْ أَصْبَحَا
بَابَ بَيْتِ الْخَطِيئَةِ . أَمْسَحْ عَنِّي كَأَبَاتِهِنَّ كَمَنْ يَسْتَجِمُ .
وَإِنِّي اِكْتَشَفْتُ عُفُوتَهُنَّ ، وَمَا فَوْقَ أَذْرُعِهِنَّ مِنَ الصَّدَا
الشَّفِّ ، بَعْدَ الْعِنَاقِ . وَلَيْسَ كَزَنْجَارِهِنَّ سُمُومٌ إِذَا هُنَّ
أَرْسَلْنَ أَذْمَعَهُنَّ ، لِأَنَّ بَيَاضَ مَلَامِحِهِنَّ نُحَاسٌ .
أَسْمِي الْوَفَاءَ لَهُنَّ الْمَرَائِي . وَأَفْتَحْ
فَضْرَ الْمَسَاءِ لِأَدْخِلَهُنَّ تَوَابِيْتَ نَوْمِي . وَأَلْقِي التُّدُورَ عَلَى
أَرْجُلِ الْوَقْتِ حَتَّى يُصَبْنَ بِدَاءِ الْعَكَاكِينِ مِنْذُ الْوِلَادَةِ .
لَا أَلْمِسُ الْفَأْسَ إِلَّا وَأَذْكَرُ أَشْجَارَهُنَّ . وَإِنْ هُنَّ
جُعْنَ سَأَطِعُهُنَّ الْمَرَازَةَ وَالشُّكَّ . أُجْلِسُهُنَّ عَلَى الْقَبْرِ بَيْنَ
الْمَنَادِيلِ وَالْقُبْرَاتِ ، وَأُخْرِجُ أَهْلَ الْقُبُورِ لَهُنَّ لِيَشْهَدَنَّ كَيْفَ
أَرَاهُنَّ بَعْدَ السَّرِيرِ . رِيَاخَ طَبَائِعُهُنَّ . وَأَرْقَى كَرَامَاتِهِنَّ الْخِيَانَةَ .
يُتَقَنَّ ذَبْحَ الْهَدِيَّةِ حَتَّى تَسِيلَ دِمَاءُ الْمُحِبِّينَ مِنْهَا .
وَتَنْسَلُ أُمَاتُهُنَّ خِيُوطَ جَبِينِ الْعَرِيسِ لِيَرْفَأَنَّ قَبْلَ الزَّفَافِ
شُفُوفَ بَكَارَاتِهِنَّ .

يُرَاقِبُنْ فِي لُغْتِي الْيَاسِمِينَ، فَيَقْطِفْنَهُ
لِتَصِيرَ دَوَاتِي حَرَابًا. فَيَهْجُرْنَهَا تَارِكَاتٍ عَلَيْهَا صَلِيبَ سَوَادٍ،
وَقَدْ وَقَفْتَ أَحْرُفِي تَحْتَهُ مَرِيَمَاتٍ، يَخُنُّ وَهْنٌ يُعَانِقُنْ
بَيْنَ الضَّبَابِ مَسِيحٍ

بِيَاضِي.

يُطَلِّقُنْ حَتَّى النَّسِيمِ مِنَ الْأُقْحَوَانِ.
وَتُعْرِفُهُنَّ بِوَهْجِ الْيَوَاقِينِ وَاللَّازُورِدِ، وَيَطْمَعُنْ فِي عَتَمَاتِ
تُرَابِ سِوَاكَ!! وَتَنْحُتُهُنَّ لِيُضْبِحْنَ مَرَمَرَ صُبْحٍ، فَيَعْجِنَنَّ فِيكَ
تَجَاعِينَدَ طِينِ الْغُرُوبِ. وَمِنْ أَيْنَ يَسْكُبُنْ فِي اللُّغَةِ
السُّخْرَى؟ حَتَّى إِذَا مَا شَرِبْتَ تَحَوَّلَتْ إِلَّا جِرَاحَكَ
تَمَثَالِ مِلْحٍ يَذُوبُ عَلَيْهَا، وَهَنْ وَرَاءَ نَوَافِذِهِنَّ يُشَاهِدُنْ
كَيْفَ دُمُوعَكَ تَسْقُطُ مِنْ

مُقَلَّتَيْكَ

شِتَاءَ

عَلَيْكَ.

وَكُنْتُ أَرَى الْيَوْمَ يَمْضِي وَلَيْسَ
يَعُودُ. فَذَوَّبْتُ فِي الْمَرْأَةِ الْيَوْمَ كَيْ لَا تَعُودَ إِذَا
مَا مَضَتْ. كُلُّ يَوْمٍ هُوَ امْرَأَةٌ. أَغْلِقُ الْبَابَ إِنْ
هِيَ غَابَتْ، كَمَا يُغْلِقُ اللَّيْلُ
خَلْفَ الْعُرُوبِ.

وَكُنْتُ لِشَوْقِي إِلَى الْغَدِ أَشْعُرُ

أَنَّ الثَّوَانِي

صَلَّيْنِي،

وَأَنْتِي مَلَائِكُ

وَهُنَّ ذُنُوبِي.

وَكُنَّ يُتَوَجَّنَ قَلْبِي بِإِكْلِيلِ جَمْرِ. وَأَسْكَنْتَنِي
فِي الْبَنْفَسَجِ، حَتَّى إِذَا فَتَحَ الزَّهْرُ فِي مُقْلَتِي، نَشَرْنَ وُرَيْقَاتِهِ
كَيْ يَرَيْنَ مَسِيحَ الْبَنْفَسَجِ كَيْفَ يَسِيرُ إِذَا صَارَ أَعْمَى.

أَرَأَيْبُهُنَّ وَهَنَّ يُعَانِقُنَّ غَيْرِي، فَأَسْمَعُ
مِنْهُنَّ مَا قُلْنَ لِي حِينَ كُنْتُ أَعَانِيَهُنَّ.

كَذِبْنَ

عَلَيَّ.

كَذِبْنَ عَلَيَّكَ. فَكَيْفَ تُصَدِّقُ مَنْ كَانَ
عِنْدِي يُفَكِّرُ فِيكَ، وَفَكَّرَ لَمَّا تَعَانَقْتُمَا فِي سِوَاكَ؟!
تُرِيقُ دِمَائِي، وَتَخْصُدُ رُوحِي، مَجَاعَاتُهُنَّ.
وَبَيْنَ هَلَالِيْنِهِنَّ يُقِمْنَكَ فِي نَصِّ أَسْرَارِهِنَّ. طُيُوبُ
قَوَارِيرِهِنَّ لِسَانُكَ كَيْ تَدْعُو الْعَاشِقِينَ إِلَى تَخْتِيَهُنَّ. وَدَمْعُكَ
مَا سَ مُرِّنٌ بِدَمَلِجِ رَقِصِ خِيَانَاتِيَهُنَّ. وَيَجْعَلُنَّ عَيْنِيكَ قَنَدِيلَهُنَّ
إِذَا هُنَّ ضَاجَعَهُنَّ سِوَاكَ.

وَهَنَّ،

وَهَنَّ،

وَهَنَّ هَنَّ نَهْنَهْنَهُ ظَهِيرَهُ
أَبِ الرَّجَالِ الْهَنْيَهَةَ تَلُو الْهَنْيَهَةَ حَتَّى تَعْسَلَ كَالْتَيْنِ،
ثُمَّ تَرَاحِي كَنُومِ الضَّرِيحِ.

جَرَى فِي نَسْغِ الْفُتُوَّةِ حَتَّى
عَدَّتْ حُضْرَةَ الْأَرْضِ بِي. لَمْ أَكُنْ نَاقِصَ الدَّوْرَانِ لِأَكْمَلِ،
أَوْ غَائِبِ الْمِلْحِ حَتَّى يَعُودَ وَأَصْبَحَ بَحْرًا.

نَمُوتُ وَلِي مَنِكِبَا آدَمَ؛ خُضَلَاتُ
شَمَشٍ؛ مَنَوِي الْمُرْصَعِ زُوشَ؛ وَلِحِيَّةُ دَامُو؛ وَظَهْرُ هِرْقَلِ.
وَمِنْ لَفْتِي اسْتَخْرَجُوا السِّيفَ،
وَالْمَشَقَّةَ الْخَاطِفَةَ.

أَنَا فَاتِحُ الشَّجَرِ؛ الْمَارِدُ؛ الْفَحْلُ؛
فِي قَبْضَتِي الرِّيحُ؛ فَخَذَايَ شَهْرَانِ مِنْ حَجَرٍ؛ أَضْلَعِي
أَسْطُرَ نُقِشَتْ فَوْقَهَا
خُطْبَةُ الْعَاصِفَةِ.

وَبِي تَسْتَحِمُّ النِّسَاءُ، وَتَخْتِي يَقْلَقَنَ
ثُمَّ يَنْمَنَ. فَهِنَّ اللَّوَاتِي ابْتَهَلْنَ: أَلَا كُنْ لَنَا النَّهْرُ،
وَالْحَوْرَةَ الْوَارِفَةَ.

أَهْفُ لِمَائِدَةِ اللَّيْلِ حَتَّى لِأَسْأَلَ:
ذِي عَثْمَةَ أَمْ نَبِيدًا؟! وَذَا قَمَرٍ حُفٍّ مِنْ فِضَّةٍ،
أَمْ رَغِيفُ؟!

نِسَاءٌ،

نِسَاءٌ، وَأَفْتَنُ أَجْسَادِهِنَّ الْمُرَخَّمُ مِسْكَاً،
وَأَجْمَلُ أَثْوَابِهِنَّ الشَّفِيفُ.

وَأَشْهَى اللَّوَاتِي عَزْفَنَ التِّي عَزَفْتُ
بَيْنَ خَاصِرَتِي عَلَى الْقَصَبِ الْمَجْمَرِيِّ فَسَالَ خَوَاتِمَ
بَيْضاً عَلَى رَاحَتَيْهَا
العَزِيفُ.

إِذَا امْرَأَةٌ لَمْ تُثِرْ رَغْبَتِي أَصْبَحْتُ
عُودَ تَيْنٍ، يُعَلِّقُ أَكْيَاسَهُ الْبَالِيَاتِ عَلَيْهِ
الْخَرِيفُ.

أَتَى رَامٌ قَلَدَ ظَهْرِي قَنَا الرُّمَحِ .
نَارَامُ قَلَدَ قَلْبِي الْخِيَانَةَ . مَرْدُوكُ قَلَدَ صُلْبِي الْبَغَاءِ
الْمُقَدَّسَ فِي بَابِلِ . لَيْلُ قَلَدَ رِيشتِي الشُّعْرَ . نَبْتُونُ
قَلَدْنِي مَرْكَبًا لِفُتُوحِ النَّسَاءِ ،
مَجَازِيئُهُ فِي الْمِيَاهِ سُيُوفُ .

وَتَحْمِيلُ لِي الْأَرْجُونَ الْعَذَارَى . وَحَوْلِي
تَطُوفُ بَنَاتُ الْمَعَابِدِ بِالنَّدِّ وَالزُّعْفَرَانِ . وَقَبْلَ شَرَابِي تَغْمِسُ
نَهْدًا لَهَا الْكَاهِنَاتُ بِكَأْسِي . وَلَمَّا تَشَّمُ النَّسَاءُ الْمَفَاتِيحَ
فِي جَسَدِي ، يَنْغَلِقْنَ لِأَفْتَحُهُنَّ ، فَيَمْتَصُّ نَهْدَ الْفَوَائِسِ زَنْجِي
عَتَمَ ، وَتَعْرَى لِكْفِ الْمُعْنَى
الدُّفُوفُ .

وَيَتْرُكُ أَشْجَارَهُ ،

وَيَجِيءُ

الْحَفِيفُ .

تَجِيءُ الشُّهُورُ فَتَسْهَرُ عِنْدِي، وَتَمْضِي.
فَمَا أَنَا إِلَّا صَدِيقٌ، وَمَا هِيَ
إِلَّا ضَيْوْفُ.

وَتَأْتِي إِلَيَّ جَسَدِي الْأَرْضُ أَشْيَاءَ
لَوْ جُمِعَتْ صَارَتْ امْرَأَةً. فَالْلُوزُ فَخْدَانٍ. وَالصَّدْفُ الْهَفُ
إِبْطُ. وَفَرْجٌ هُوَ الْحَقْلُ. وَالصُّبْحُ عُرْيٌ. وَخَطُّ التَّلَالِ
الْمَقْوَسُ رِذْفٌ. وَشَمْسُ الْمَسَاءِ عَيْنٌ عَلَيْهَا
مِنَ الْعَيْمِ رَيْفٌ.

وَلِي لُغَةٌ مِّنْ نِّسَاءٍ يُقَلِّبُهَا الشَّاعِرُ
الرِّيحُ فِيَّ، نُصُوصاً مِّنَ السُّحْرِ وَالشَّهَوَاتِ. وَمِنْ بَعْدُ،
مَا هِيَ إِلَّا
حُرُوفٌ.

حَمَلْتُ إِلَيْهِنَّ زَرْعِي الْوَسِيمَ . وَمِنْ
لَبَنِي كَانَ مَا قَدْ حَمَلْتُ مَلَابَأَ وَمُرَأً . وَكَانَتْ مِيَاهِي
أَطْيَبَ مِنْ خَمْرِ شَارَا؛ وَقُطْنِي وَالْخَرَزُ الْفُوفُ وَاللَّازُورُذُ
أَشْفَ وَأَنْعَمَ مِنْ كَوْكَبِ الصُّبْحِ ، وَالسُّنْدُسِ الرَّيْقِ .
أَخْفَيْتُ عُذْرَتَهُنَّ بِصَفْصَافِ نَوَارَةِ لَا بِأُورَاقِ تَيْنِ .

وَسُرَّتُهُنَّ أَنْمَتْ عَلَيْهَا فَرَاشَةٌ جَيْكُورَ .

قَالَ الرَّيِّيُّ :

«مَرَاعِيكَ عُمْمٌ . وَتَبْعُكَ عَاقِرُ عَيْمٍ .
وَفَوْقَ حُقُولِكَ يُقْتَلُ زَيْنُ الطَّحِينِ ، إِذَا أَنْتَ أَطْمَعْتَهُنَّ
بِمَا هُوَ فِيكَ شَهِيٌّ وَخَضْبٌ .»

أَبَانَ لِعَيْنِي عَذَاءً مِنْهُنَّ . مَا إِنْ
تَعَرَّتْ ، رَأَيْتُ غَزَالاً وَذَنْباً . سَمِعْتُ أَنَابِيْبَ تَجْرِي الْجَنَازَاتُ
فِيهَا . وَكَانَ لَهَا جَسَدٌ خَشْبِيٌّ هُوَ الْبَابُ قَبْلَ دُخُولِي .
وَكَانَتْ يَدَاهَا عَلَيْهِ انْحِنَاءَةٌ قَفْلَيْنِ كُلُّ بِخَمْسِ

نُحَاسَاتٍ

جَمْرٍ .

وَعَابَ

الرَّيِّيُّ

وَمِنْهُ بِقَلْبِي

دَوِيُّ .

وَخَافَ النِّسَاءَ الرَّئِيَّ . وَقَدْ كُنَّ حَوْلِي .
فَجَمَعْنَ أَنْفُسَهُنَّ كَأَكْلِيلِ غَيْمٍ . وَطُفِنَ كَأَنِّي حَمْرٌ
وَهُنَّ
دُورُ .

وَلَمَّا تَلَاقَتْ أَصَابِعُهُنَّ بَدَأَنَّ يَدُبْنَ ،
فَلَا هُنَّ مَاءٌ . وَرُحْنٌ يَسْلُنُ ، فَلَا هُنَّ فِضَّةٌ وَزِدُ .
وَلَمَّا امَّحَى شَكْلَهُنَّ تَحَوَّلْنَ أَزْرَقَ أَزْرَقٍ ، ثُمَّ ارْتَفَعْنَ
خِيفًا ، إِلَى أَنْ غَدَوْنَ سَمَاوَاتِ صَيْفِ نَقِيٍّ ، فَرُحْتُ
أَنَا الشَّمْسُ أضعَدُهُنَّ ، فَكَانَ عَلَى الْأَرْضِ لَيْلٌ ،
وَكَانَ
نَهَارُ .

وَلَمَّا أَذُوبُ بِهِنَّ أَغْيَبُ . فَيُضِيحُنَّ
مِمَّا أَفَضْتُ كَوَاكِبَ
مِرْآئَهُنَّ الْبِحَارُ

تُزَيَّنُ أَجْسَادَهُنَّ مَصَابِيحُ خَوْخٍ،
عَلَيْهَا أَخْضِرَارُ الصَّبَابِ
إِرَارُ.

رَأَيْتُ النِّسَاءَ لَهُنَّ انْتِظَارُ الشُّمُوعِ،
فَأَشَعَلْتُهُنَّ؛ وَطَبِعَ الْبِحَارِ، فَمَا جِئْتُهُنَّ شِتَاءً. صَنَعْتُ زَوَارِقَ
مِثْلَ الْأَصَابِعِ فَوْقَ الْخُصُورِ، وَأَبْحَرْتُ كَالْحَائِفِينَ مِنْ
النُّومِ فِي أَعْمَقِ الْمَاءِ مِثْلَ الْمَرَاتِي.

وَأَكْتَشِفُ الْمَوْجَ فِيهِنَّ، يُفْلِتَنَ مِنِّي،
وَيُضْبِحْنَ غَيْمًا، فَأَكْتَشِفُ الْمَطَرَ الرَّاحِلَاتِ إِلَيْهِ، فَيَدْخُلْنَ دَارَ
الْتِرَابِ، وَيَخْرُجْنَ وَزْدًا، فَأَقْطِفُهُنَّ، وَأَمْلَأُ مِنْهُنَّ رُوحِي عِطْرًا،
وَتَخْتِي رَقْصًا، وَيَذْبُلْنَ عِنْدَ الصَّبَاحِ، وَأَمْضِي.

أُضَيِّعُ كَالسَّرِّ. أَنْسَلُ كَالرِّيحِ. كَالْمَاءِ
أَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ كُلِّ الْأَصَابِعِ. لَمْ تُشْرِقِ الشَّمْسُ وَامْرَأَةٌ
وَجَدْتَنِي بِتَخْتِ لَهَا. لَا دُمُوعَ لَدَيَّ لِأَيِّ وَدَاعٍ. وَقَدْ
أَعْرِفُ الشُّوقَ لَكِنْ لَيْتَكَ الَّتِي لَمْ أَنْمِ مَعَهَا بَعْدُ. أَضْحَكَ

مِمَّنْ أُصِيبَ بِعِشْقِي . وَكُلُّ انْتِظَارِ الْمَوَاعِيدِ عِنْدِي كَمَنْ
ضَيَّعَ الْوَقْتَ وَهُوَ يُفْتَشُّ عَنْ غَيْمَتَيْنِ وَفِي يَدِهِ الْبَحْرُ
مَا طَلَبْتُ جَسَدِي امْرَأَةً لِسُرِيرٍ وَلَمْ تَلْقَهُ فِي
سُرِيرِ

سِوَاهَا .

أَنَا الْجَسَدُ الشَّمْسُ . كُلُّ النِّسَاءِ إِذَا
مَا افْتَرَبْنَ احْتَرَقْنَ . تَحَوَّلْنَ نِصْفًا
دُمُوعًا ،
وَنِصْفًا
سَوَادًا

وَصِرْنَ بِكَفِّ الرِّيحِ
رَمَادًا .

رَأَيْتُ إِلَى الْوَقْتِ ، كَانَ قَصِيرًا .
لِمَاذَا لَدَيَّ الَّذِي لَيْسَ تَكْفِي عُصُورٌ لِيَضْجَرَ مِنْ

رُؤْيَا الشَّمْسِ وَهِيَ

تَغِيبُ؟!

رَأَيْتُ إِلَى الْكَوْنِ، مُنْتَظِمًا!

عَامِضًا!

وَعَجِيبًا!

وَلَسْتُ سِوَى زَمَنِ كَأْسِهِ الصُّبْحِ

قَدْ صَبَّ فِيهِ

الْعُرُوبُ.

وَيُزْعِبُنِي الصَّمْتُ فِي الشَّيْءِ. أَسْأَلُهُ: كَمْ. ؟

إِلَى. ؟ وَلِمَاذَا. ؟ وَكَيْفَ. ؟ وَمِنْ أَيْنَ. ؟ لَكِنَّهُ لَا

يُجِيبُ!

أَنَا الْقَلْقُ الْبَحْرُ. شَكِّي مِنْ مُقَلِّ

لَا تَنَامُ. وَقَلْبِي حَسُودٌ كَشَمْطَاءَ بَيْنَ يَدَيْهَا صَبَايَا.
أَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ. فَهُوَ فَنَائِي. وَلِي جَسَدٌ كُلُّهُ شَهَوَاتٌ،
وَقَدْ يَتَنَازَلُ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ لِكَيْ لَا يَمُوتَ، وَلِكَيْتَهُ سَوْفَ
يَفْنَى،

وَبَيْنَ السَّمَاءِ وَأَنْ هُوَ يَبْقَى عَلَى
الْأَرْضِ حَيًّا، سَيَخْتَارُ حُبَّ الْبَقَاءِ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى وَلَوْ كَانَ

رَبِّ

السَّمَاءِ

تَوَهَّمْتُ أَنِّي أُحِبُّ الْفَضَاءَ،

الطَّبِيعَةَ،

أُمِّي،

نِسَائِي،

أَبِي،

أَصْدِقَائِي.

وَلَكِنِّي لِلْحَقِيقَةِ أَشْهَدُ أَنِّي

أَحِبُّ بَقَائِي،

بَقَائِي،

بَقَائِي،

بَقَائِي .

وَتَعْصِفُ فِي رِيَاخِ السُّنَيْنِ، فَيَلْجَأُ

قَلْبِي إِلَى نِسْوَةِ الْأَرْضِ كَيْ لَا أَحْسَّ بِمَوْتِي، فَيَطْرُدَنِي

قَلْبِي . فَأُشْهِرُ فِي جِسْمِهِنَّ ذُكُورَةَ جِسْمِي، وَأُغْرِفُهُنَّ بِدَبْجِي

لَهُنَّ . وَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى دَمِيهِنَّ،

رَأَيْتُ

دِمَائِي

وَأَدْرَكْتُ أَنِّي مِنْ ذَنْبِ عُنُقِ الصَّبَاحِ

بِهِنَّ يَسِيلُ

مَسَائِي .

جُدُورِي مَلَائِكَةً، وَثِمَارِي خَطَايَا. إِذَا
جَاءَ صَيْفِي انْتَهَرْتُ النِّسَاءَ لِأَعْرِفَ إِنْ كُنَّ يَحْبِبْنَ
أَكَلَ ثِمَارِي. فَكُنَّ إِذَا ذُقْنِي اذْذَنْ جُوعاً، تَشْمَمْنَ
مَائِي، وَفَاحَتْ رَوَائِحُ مِنْهُنَّ تُغْرِي مَلَكَ

الْجُدُورِ الْبَرِيئَةِ

بِفَتْحِ جَنَاحِهِ نَحْوِ
نَسِيمِ الْخَطِيئَةِ.

أَتَى زَمَنٌ كُنْتُ أُغْلِقُ فِيهِ جَنَاحَ
الْمَلَائِكَةِ عَلَيَّ وَأَبْكِي. شَعَرْتُ بِأَنِّي أَنْفَهُ مِنْ . فَلَأُضِفَ
حَرْفَ يَائِي إِلَيْهَا، فَلَا شَيْءَ فِي الْأَرْضِ أَنْفَهُ مِنِّي.
بَكَتْ نِسْوَةٌ فَوْقَ صَدْرِي كُنَّ أَشْفَّ
مِنَ الدَّمْعَاتِ الَّتِي الدَّمْعُ تَنْسَابُ مِنْهُ لَوِ الدَّمْعُ يَبْكِي.
فَكَيْفَ أَذُقْتُ نَوَاقِيسَهُنَّ الْجَنَازَةَ؟! وَافْتَرَفْتُ نَحْلِي فِي بَرَاعِمِهِنَّ
خَطِيئَةً شَمِعِي؟!!

أَمَا كَانَ يَا

أَيُّهَا الشُّكُّ أَنْ نَسْتَرِنِحَ قَلِيلًا، فَتَغْفُؤُ،

وَأَعَشَّقَ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ؟

أَنَا وَالنِّسَاءُ إِذَا مَا التَّقِينَا انْتَقَمْنَا.

نَجِيءُ وَكُلُّ يُخْبِيءُ سَيْفًا. وَلَيْسَ الْهَدِيَّةُ إِلَّا خَنَاجِرَ

فِي شَكْلِ

عَضَنِ الْبَنَفْسِجِ.

مَتَى أَطْمَئِنُّ أَنَامُ وَلَكِنْ عَلَى صَدْرِ

أُخْرَى. وَهَنْ يَخُنُّ إِذَا مَا اطْمَأَنَّتِنِ أَنِّي وَفِي. وَمِنْ

خَشِيَّتِي أَنَّهُنَّ سَيُطْفِئُنَّ قَلْبِي أَخَافُ لَدَيْهِنَّ

أَنْ أَتَوْهَجَّ.

وَلَسْنَا سِوَى قَاتِلِ كَقَتِيلِ. وَمِنَّا

الَّذِي قَدْ تَضَرَّجَ بِالشَّمْعِ وَالْبَيْلَسَانِ، وَمِنَّا الَّذِي

بِالدُّمُوعِ تَضَرَّجَ.

أَنَا

لَنْ أَحِبَّ .

وَلَيْسَ لَدَيَّ سِوَى أَنْتُكَنَّ قَوَارِيرُ

مَكْرٍ، وَأَنْتِي جَبَانٌ .

ضَعِيفٌ كَمَا اسْتَنْدَتِ مَوْجَةٌ فَوْقَ

عُكَازِ دِفْلَى . وَأَخْشَى اِكْتِشَافَ دَنَائِيرِ عُمْرِي، لِأَنَّ لِسَانِي

طَرِيقٌ، وَكَفَيَّ أَعْمَى . وَلَا شَيْءَ يَخْفَى عَلَيَّ امْرَأَةً . فَلَأُصِيبَهَا

بِعَيْرَتِهَا فَيَنْمُ تَاجُهَا، وَيُفِيقُ سَيْفُ ضَعْفِي . فَكَانَتْ جَمِيلٌ

هَوَاهَا، وَكُنْتُ هَوَايَ ضَرِيحٌ يَبِيعُ جَنَازَةَ لِصٍّ .

وَتَبْكِي .

وَتَبْكِي .

فَأَلْمَحُ صُورَةَ وَجْهِهَا إِذَا مَا

عَشِيقْتُ، فَأَزْدَادُ سَيْفًا، وَأَقْتُلُ كُلَّ الدَّمُوعِ الَّتِي أَرْسَلْتَهَا

النِّسَاءِ إِلَيَّ لِتَشْفَعَ عِنْدِي لَهُنَّ . وَأَتْرُكُ فُرْسَانَ ضَعْفِي

يَطُوفُونَ بَيْنَ الْمَنَادِيلِ وَالْيَاسَمِينِ وَقَدْ رَفَعُوا أَلْفَ رُمْحٍ،

عَلَيْهَا رُؤُوسُ دُمُوعِي .

خَدَعْتُ جَمِيعَ النِّسَاءِ لِأَنِّي جَبَانٌ .
 فَقَدْ كُنْتُ لِيصًا ، وَهَنْ يَظُنُّنَ أَنِّي قَاضٍ . وَكُنْتُ
 أَصْلِي لِعَارِي حَتَّى يَظَلَّ خَفِيًّا . وَأَلْبَسْتُ عُشْبِي عَبَاءَةَ
 شَيْح . وَأَوْهَمْتُهُنَّ بِأَنِّي قَصِيرٌ لِأَنِّي فَحْلٌ ، وَلَمْ يَكْتَشِفْنَ
 بِأَنَّ رُكُوعِي أَوْقَفَ رُوحِي عَلَى رُكْبَتِي . دَنِيءٌ كَمَرَحَاضِ
 سُوقٍ . قَلِيلٌ كِحِزْبَاءِ بَيْنِ الظَّلَالِ . وَلَيْسَ لِي وَجْهِي مَرَايَا .
 وَلَا لِيَدَيَّ جَنَاحَ . وَمَا مَرَّ يَوْمٌ شَمَمْتُ خَطَايَايَ فِيهِ
 وَلَمْ أَتَقَيًّا . أَنَا أَكْذَبُ الخَلْقِ . جَاءَ المَسِيحُ بِمَمْحَاتِهِ لِذُنُوبِ
 سِوَايَ ، وَلَكِنْ لِأَجْلِي جَاءَ بِحَبْرٍ . أُخْبِيءُ فِي النِّسَاءِ كَأَنِّي
 كِنِيسُ مُرَابٍ ، وَهَنْ دَرَاهِمُ . رَخْوٌ . تَرِيكٌ ، وَلَا نَارَ بَدُو

لَهَا أَثْرٌ فِي

خِيَامِ دُخَانِي .

سَأَلَنِي عَلَيَّ عَمَّا كُلُّ

شَيْءٍ

لَكِنِّي لَا يَرَانِي .

فَيَا ضَجْرِي الْمُرِّ مِئِّي، كُنْتُ
اسْتَرَحْتُ قَلِيلًا، لَوِ الْأَرْضُ لَا ظِلَّ مُلَقَى عَلَيْهَا لِجَسْمِي.
وَلَا عَيْنَ فِيهَا تُشَاهِدُ عَارِي. وَلَيْسَ لَدَيْهَا أَمَامِي مَرَايَا.
وَيَا فَأْسَ حُزْنِي أَقْطَعِيْنِي. فَأَجْمَلُ
مِنْ خُضْرَتِي رَقِصُ نَارِي. وَأَجْمَلُ مِنْ رَقِصِ نَارِي
رَمَادِي قَدْ ذُرُّ فِي
كُلِّ رِيحٍ.

لَقَدْ أَغْلَقْتُ بَابَهَا الْأَرْضُ دُونِي.
وَرَدَّتْ تُرَابِي إِلَيَّ، فَمَا عُدْتُ مُسْتَعْرِبًا كَيْفَ يَهْرُبُ
مِئِّي، إِذَا مَا عَدَوْتُ
وَرَاءَ ضَرِيحِي.

طَرِيْدٌ إِلَى حَدِّ أَنْ
الْجَحِيمَ سَيَرْفُضُ
تَغْذِيْبَ رُوْحِي.

وَعَادَ

الرَّيِّئِ .

مَحَا جَسَدَ الْعِشْقِ مِنِّي . وَكَوَّنَ لِي
جَسَدًا لَيْسَ يَعْشَقُ . حَبًّا فِي رِمَاحًا . وَوَزَّعَ خَضَرَ
حِصَانٍ بِخَضْرِي . وَلَثَمَ وَجْهِي . وَحَوَّلَ كَفِّي لَأَسْلَامٍ
وَلَا لِيُودَاعٍ ، وَقَالَ : إِذَا غِيبَتْ فَانَسَ . وَإِنْ عُدْتَ
فَأَذْكَرُ بِأَنَّ لِكُلِّ شِرَاعٍ مَجَاذِيْفَ لَيْسَتْ لِتَرْسُوَ ، لَكِنْ
لِتُبْحِرَ ،

إِلَى أَيْنَ ؟ لَا

هَمَّ ،

أَبْحِرْ

فَأَجْمَلُ مَا فِيكَ

أَنَّكَ لَسْتَ

تُفَكِّرُ .

أَلَا جِئْنَا يَا نِسْوَةَ الْأَرْضِ مُمْتَلِئَاتٍ
لِهَيْبَا، فَإِنِّي أَلَدُ بِإِطْفَائِكُنَّ. وَكُنَّ سِيُوفَا لَتَجْرَحَنِي
وَأَسْمَ دِمَائِي، فَتَنْهَضَ فِيَّ ذِنَابٌ تُمَزَّقُ كَأَزْجَلِ خَيْلٍ
تُمَزَّقُ إِذْ تَعْبُرُ النَّهْرَ جَزِيًّا خُصُورَ الْمِيَاهِ. تَعَالَيْنِ
فِي شَعْفٍ وَجُنُونٍ وَفَتْكٍ، فَإِنَّ اللَّوَاتِي يَجِئْنَ بِطَبْعِ
لَطِيفٍ، وَأَسْنَانِ مَاءٍ، وَأَيْدٍ تَمُرُّ عَلَيَّ مُرُورَ النَّدَى،
لَا يُهْرَنُ بِكَفِّي رَغْبَةً تَدْمِيرِهِنَّ.

تَعَالَيْنِ مِثْلَ اجْتِيَاكِ بَرَابِرَةَ لِإِبِلَادِ
مُكُونَةٍ مِنْ بَرَارٍ وَوَعْرِ، تُحْبِيءُ فِيهَا رِجَالًا خَفَافًا،
شَوَارِبُهُمْ مِنْ خَنَاجِرِ سُودٍ، لِحَاهُمْ تُرُوسٌ، وَقَامَاتُهُمْ لَيْسَ
فِيهَا فُتَاتٌ وَطِينٌ،

تَعَالَيْنِ، مَا مَسَّ ظَنُّ بَكَارَاتِكُنَّ.
يَطِيبُ انْقِضَاضِي عَلَيْكُنَّ، فَتُكِي بِكُنَّ، وَإِشْعَالُكُنَّ لِتُضْبِحْنَ
نَارًا تُذَكِّرُنِي كَيْفَ كُنْتُنَّ بَيْنَ ذِرَاعِي تَرْقُضْنَ أَوْ
تَتَلَوْنِ، يَضْحَبُكُنَّ صُرَاخٌ عَمِيقٌ، كَمَا فِي الْعَوَاصِفِ يَضْحَبُ
رَقِصَ الصَّوَارِي تَكْسُرُهُنَّ.

أَجْنُ إِذَا طِفْلَةٌ لَمْ تَسِرْ فِي
السِّنِينَ إِلَيَّ مَتَى أَصْبَحَتْ ذَاتَ خَضِرٍ وَنَهْدَيْنِ. لَا
شَيْءَ عِنْدِي أَلْحَ عَلَيَّ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ النِّسَاءِ
وَتَحْطِيمِهِنَّ. أَنَا السَّهْمُ هُنَّ الدَّوَائِرُ. أَرْفَعُهُنَّ سَحَابًا،
أَعَذِّبُهُنَّ، أَشْرُدُهُنَّ، وَأُنزِلُهُنَّ دُمُوعًا عَلَيْهِنَّ.

يَا ذَكَرًا،
أَيْنَ كُنْتَ، وَمَا كُنْتَ، إِنِّي أَنَادِيكَ، أَقْبِلْ وَزِدْنِي
مَعْرِفَةً بِالنِّسَاءِ، لِأُصْبِحَ أَعْمَضَ سِحْرًا، وَأَكْثَرَ فَتْكَأَ، وَأَعْمَقَ
فَيْضًا وَدَقْفًا.

أَلَا انْضَجْنَ يَا نِسْوَةَ الْأَرْضِ. تَمُوزُ
فِيَّ، وَإِنِّي قَدِيسُ عَيْدِ الْقَطَافِ، وَأَجْسَادُكُنَّ عَنَاقِيدُ هَذِي
الْمَعَاصِرِ فِي جَسَدِي الدَّيْرِ، حَيْثُ تَرَهَّبَ كُلُّ السُّكَارَى.
خَلِيعَ،

أَخَفُ الَّذِي بِي الْمُجُونُ.
وَأَرْشَحُ مَكْرًا وَعَارًا. وَبِي رَغْبَةٌ أَنْ أَخُونَ اللَّوَاتِي
يُزَيِّنُ أَرْوَاحَهُنَّ الْوَفَاءَ، وَالْأَأَعُودَ إِلَى مَنْ يَلْدُ

لَهُنَّ انْتِظَارِي. وَكَمْ أَشْتَهِي أَنْ تَظَلَّ النِّسَاءَ عَوَانِسَ،
أَوْ أَنْ يَمْتَنَّ وَهَنَّ عَدَارَى، إِذَا لَمْ تُقَدِّسْ أَصَابِعُهُنَّ
خَوَاتِمَ طَفْسِي، أَوْ لَمْ تُفْتَحْ تُوْبَجَاتُهُنَّ بِنَيْسَانِ تَخْتِي.

وُلْدَانَ عَلَى الْمَاءِ كَيْ يَتَأَمَّلْنَ
قَامَاتِهِنَّ قُبَيْلَ حُلُولِ الظَّلَامِ، مَخَافَةَ أَنْ هُنَّ نَمَنَّ
وَأَبْصَرْنَنِي، أَنْ يَكُنَّ نِسَاءً بَعِيرٍ مَرَايَا.

وَأَجْمَلُ حُلْمٍ لَهُنَّ:

أَنَا الْقَهْدُ،

هُنَّ الْعَزَالَةُ

عِشْنَ يُلْمَعْنَ تُفَاحَهُنَّ لِأَسْنَانِ

وَفَتِي. وَيَرْحَلْنَ لِلْحَوْرِ لَمَّا أُغْنِبُ. وَلَوْلَا وَصَايَايَ لِلنَّارِ

صِرْنَ رَمَادًا. أُورَعُهُنَّ،

أَبْدُلُهُنَّ،

وَأَشْتَاقُ لَكِنْ لِتَغْيِيرِهِنَّ. وَأَفْتَحُ بَابِي فَتَلْقَى

اللَّوَاتِي يَرْحَنَ وَجُوهَ اللَّوَاتِي يَجْتَنُّ. فَبَيْتِي كَالْمَرْهَرِيَّةِ، أَرْمِي

اللَّوَاتِي ذَبْلَنَ، لِأَعْمَسَ فِي الْعِشْقِ مَنْ لَمْ يُفْتَحَنَّ بَعْدُ.

إِذَا اللَّيْلُ جَاءَ

ابْتَهَلْنَ إِلَيَّ :

لِأَجْلِكَ نَحْنُ نُدَوِّرُ فِي صَدْرِنَا
النَّهْدَ. نَنْحُلُ عِنْدَ الْخُصُورِ، وَنُعْطِي لِأَفْحَاذِنَا
بُعْدَ طَعْمِ حُمُورِكَ.

وَأِنَّا قِيَانُكَ، حُورُكَ. سِرْبُ جَوَارِيكَ.
جِئْنَا إِلَيْكَ وَأَذْرَعْنَا الْهَيْفَ مِنْ زَنْبَقَاتِكَ، أَثْدَاؤُنَا
مِنْ حِقَاقِ بَخُورِكَ.

عَدَاوِي تَزَيَّنَّ بِالْعِشْقِ جِئْنَاكَ، فَاسْكُبْ
نَيْدَ طَهَارَتِنَا فِي كُؤُوسِ شُرُورِكَ.

أَلَا افْتَحْ لَنَا جِبْرَكَ الْمَلَكِيَّ لِنَدْخُلَ
فِي مَلَكُوتِ الدَّوَاةِ كَلَامًا
يُطَوِّفُ حَوْلَ سَطُورِكَ

وَمَا أَنْتَ؟ خَمَّارُ هَذِي الْبُرُوقِ
بِقَامَتِكَ الْكَرِيمِ، فَأَقِطْ لَنَا،
وَاسْقِنَا مِنْ عَصِيرِكَ.

نَوُؤُهُ وَأَنْتَ تُنْقَلُ جَمْرَكَ فِينَا. أَسِلْ
مَاءَكَ الْحَارَّ فِي مَعْمَضِ الْخِصْبِ،
وَأَمَلًا مَجَامِرَ أَحْوَاضِنَا بِبُذُورِكَ

أَلَا أَيُّهَا الْفَائِقُ الْمُسْتَبِدُّ أَلَا

فَاعْطِنَا

لَيْلَةً فِي سَرِيرِكَ.



أَحَاذِرُ فِيهِنَّ طَبَعَ الثَّعَالِبِ . أَذْنُو
 وَفِي نَوَايَا السُّيُوفِ . وَأَبْعُدُ فِي زِيِّ رِيحٍ لِأَنْقَدَ
 ظَهْرِي مِنْ سَهْمِهِنَّ . أَحْبَبْتُ عَنْهُنَّ لَيْلِي مَخَافَةَ أَنْ
 يَتَّشَحْنَ بِنَوْمِي ، فَيُخَفِّقْنَ عَنِّي وَهَنَّ يُغَادِرْنَ تَخْتِي إِلَى
 تَخْتِ غَيْرِي . وَإِنِّي إِنْ لَمْ أَرِقْ دَمَعَهُنَّ أَرَقْنَ

دِمَائِي. وَإِنَّا تَوَجَّهْتُهُنَّ عَلَى عَرْشِ عُرْيِي حَوْلَنِي
 جَيْشَهُنَّ لِيَجْتَحْنَ رُوحِي. أَجْمَلُ شَكْلِي لَدَيْهِنَّ أَنِّي الْقَتِيلُ.
 يَجْتَنُّ حَمَامًا فَلَا أَغْلِقُ الْبَابَ، أُخْرِجُهُنَّ وَهُنَّ حَمَامٌ.
 فَإِن هُنَّ عِنْدِي أَطْلُنَ الْبَقَاءَ تَحَوْلُنَ أَفْعَى. وَإِنِّي
 نَبْعٌ، وَيَطْلُبُنَ قَطْرَةَ مَاءٍ، فَأَتْرُكُهُنَّ عَلَى النَّبْعِ عَطَشَى.
 لِأَنِّي لَا أَمْلِكُ الْبَحْرَ إِنْ دُقْنَ قَطْرَةَ مَاءٍ. أُعَانِقُ
 أَجْسَادَهُنَّ، وَأَسْمَعُ آهَاتِهِنَّ، وَلَكِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ
 مَنْ يَسْكُنُ الْآنَ فِي رُوحِهِنَّ، لَعَلَّ وَرَاءَ التَّأْوِهِ
 فِيهِنَّ مَنْ يَتَصَوَّرُنَّ أَنَّ شِفَاهَهُمُ الْجَمْرُ تُلْهَبُ
 أَفْحَاذَهُنَّ، كَأَنَّ فَمِي لَيْسَ إِلَّا رَسُولًا أَتَى بِبَرِيدِ
 الْمَوَاقِدِ لِلْعَارِيَاتِ بِتَخْتِي عِنْدَ حُلُولِ الشِّتَاءِ.
 قَرَأْتُ الشَّيَاطِينَ. عَاشَرْتُ أَشْبَاحَ كُلِّ
 الصَّحَارَى. رَقَيْتُ وَعَزَّمْتُ. مَارَسْتُ ضَرْبَ الْمَنَادِلِ وَالسُّحْرِ.
 طَوَّقْتُ نَفْسِي بِإِبْلِيسَ وَالْجِنِّ. أَلْقَيْتُ فِي النَّيْلِ أَسْرَارَ
 خِضْبِي. وَأَلْفْتُ عُهْرَ الْمَعَابِدِ فِي الْهِنْدِ. فِي الصَّيْنِ
 وَرَّعْتُ «تَاو» الْمَخَادِعِ. شَاعَ الْمُجُونُ بِبَابِلَ بَعْدَ مُرُورِي

فِيهَا. وَمِنْ نَيْنَوَى لِأَثِينَا وَطَيْبَةَ، حَتَّى تَهْتُكِ أُورَشَلِيمَ
وَرُومًا، وَمِنْ «غَانَةَ» «الْبَابَوَانِ» إِلَى زَنْجِ «فَانْتِي»، وَمِنْ
بِنْتِ «لُوطٍ» إِلَى الْمَجْدَلِيَّةِ، حَتَّى خَوَاتِمِ «هَيْرَا» وَأَشْعَارِ
«سَافُو»، جَعَلْتُ النِّسَاءَ

فَوَاكِهَ
لَيْلِي،
وَأَجْرَاسَ
صَيْفِي.

وَحَوَّلْتُ أَجْسَادَهُنَّ حَدَائِقَ عِشْقٍ، مَفَاتِيحُ

أَبْوَابِهِنَّ

بِكَفِّي.

فَأَفْتَحُهُنَّ،

وَأُغْلِقُهُنَّ.

وَلَمَّا يُفِثْنَ يَشَاهِدْنَ جِسْمِي . وَلَمَّا
يَنْمَنَ يُشَاهِدَنَّ
طَيْفِي ،

وَبَيْنَهُمَا
عُنُقُهُنَّ وَسَيْفِي .

وَأَسْتُرُ ضَعْفِي عَنْهُنَّ . قَالَتْ لِي
السَّاحِرَاتُ اللَّوَاتِي قَرَأْنَ مَصِيرِي إِنِّي سَأَغْلِبُ يَوْمًا
بِضَعْفِي .

وَأَوْصَيْنَنِي لَا أَمُوتُ . فَحَتَّى مَدْرُ
رَمَادِي فِي الرِّيحِ غَيْرُ مُفِيدٍ . فَلِإِنَّ النِّسَاءَ لَهُنَّ
أُنُوفٌ تَشْتُمُ إِذَا شِئْنَ حَتَّى ذُرَيْرِ الرُّقَاتِ ، فَيَجْمَعُنِي
أَيْنَ كُنْتُ . وَيَبْرَأَنِي مِنْ جَدِيدٍ ، طَرِيداً سَتَخْلَعُ عَنْهُ
السَّوَادَ اللَّيَالِي ، وَتُغْلِقُ أَبْوَابَهَا إِنْ

رَأَتْهُ
الْبُيُوتُ .

وَيَضْلُبُنِّي فَوْقَ شَمْسٍ مِّنَ الْوَقْتِ
لَيْسَتْ تَغِيبُ ،
وَلَسْتُ
أَمُوتُ .

٤

أَنَا

الْقَمُّ

ذو الشُّعْرِ، وَالْقُبَلَاتِ، وَجِبْرِ الْغِنَاءِ،

وَيَدِّ

الْخَلِيقَةِ.

أُسْمِي فَمِي مَلِكًا يَا نِسَاءَ .
أَحْوَلُكُنَّ لِكِي يَتَنَزَّهَ عِنْدَ الْمَسَاءِ
حَدِيثَةً .

وَأَجْعَلُ مِنْ كُلِّ نَهْدٍ لَهُ سَاعَةً ،
فُطْبُهَا حَلْمَةً ، وَعَلَيْهَا اثْنَا عَشْرَةَ الْقُبْلَاتُ ، وَأَنَا
يَدُورُ ثَوَانِي ، أَنَا
دَقِيقَةً .

إِذَا مَسَّ أَجْسَادُكُنَّ اسْتَحَالَتْ غَمَائِمَ
يَقْلُقْنَ فَوْقَ سَرِيرِ الرِّيَّاحِ ، وَأَجْرِي كَعِيدِ
الشُّعَانِينَ فِيهَا
بُرُوقَةً .

يَهْبُ عَلَيكُنَّ كِي تَتَمَوَّجْنَ كَالْبَحْرِ
يَمْتَصُّ مِنْكُنَّ صَخَوَ النَّهَارِ وَأَنْتُنَّ بَيْنَ نُعَاسِ

وَرَقِصٍ . وَتَشْرُكُ أَسْنَانُهُ فُوقَكُنَّ دَوَائِرَ كَالْوَرْدِ يَهْبِطُ
فُوقَ رُحَامِ الْمِيَاهِ . وَيَكْتُبُكُنَّ قَصَائِدَ قُرَاؤُهَا اللَّيْلُ ،
وَالشَّمْعُدَانُ ، وَصَاحِبُ دَارِ النَّبِيدِ .

يَرِقُّ فَيَعْدُو عَلَى
خَصْرِكُنَّ جَنَاحاً وَنَيَاءً . وَيَفْسُو فَيَجْعَلُكُنَّ خَرَائِبَ أَلْقَى
عَلَيْهَا عَوَاصِفَهُ الْعَازِيَاتِ ، وَأَشْعَلَ فِيهَا
حَرِيقَهُ .

إِذَا كَانَ أَشْهَاهُ وَهُوَ مِيَاهُ .
فَأَبْهَى الشُّقَاهُ لَكُنَّ
الْعَرِيقَهُ .

وَهَلْ أَغْفَتِ النَّسْوَةُ الشَّبَقَ
الْمَارِجَ النَّارِ فِيهِنَّ إِلَّا لِيَعْدُو فَمِي حُلْمَهُ ،
أَوْ
يُفَيِّقَهُ؟

تَعَالَيْنَ مِنْ كُلِّ شَهَقَةٍ خَضِرٍ .
مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَعُرِيِ الخَزَامَى . وَمِنْ أَنَّةِ النَّهْدِ، وَالرَّقَصَاتِ
اللَّوَاتِي يُؤَلَّفُهُنَّ اللُّسَانَ .

تَعَالَيْنَ مِنْ نَوْمِكُنَّ، وَوَهَجِ التَّمْلَمِلِ
فَوْقَ السَّرِيرِ، وَوَقْفَتِكُنَّ وَرَاءَ الشَّبَابِيكِ أَوْ تَحْتَ نَافُورَةِ
المَاءِ مِثْلَ البِنْفَسِجِ .

زِدْنَ لَذَائِدِكُنَّ اشْتِعَالاً تَطْيِبْنَ بِالبَلْبَلِ
المَالِحِ المِسْكِ، طَوْفَنَ حَوْلَ بَحُورِ الصَّنَوْبِرِ حَتَّى تَصِرْنَ
يَمَامِي .

تَدُورُ وَجُوهُ النَّبَاتَاتِ حَيْثُ تَكُونُ
الشُّمُوسُ . وَحَيْثُ النَّدى الهَفُّ تَأْتِي عُرُوسُ اليَوَاقِينِ . تَمْضِي
الجُدُورُ إِلَى حَيْثُ تَسْمَعُ صَوْتَ المَجَارِي . وَمِنْ وَجْهَةِ
البَجَعِ المُبْجِرِ السَّرْبِ عِنْدَ العَشِيَّةِ نَعْرِفُ أَيْنَ البَحِيرَاتِ .

أَقْبِلْنَ

يَا

نِسْوَةَ الأَرْضِ . فِي شَفَتِي الآنَ

عِندُ الثُّدُورِ، وَلَيْلَةُ رَفِصِ الذُّنَابِ، وَتَفْتِيحُ وَرْدِ حِرَابِ

الرِّيَّاحِ

بِخَصْرِ الحَدَائِقِ.

وَمَذْبَحَةُ المَوْجِ

ضِدَّ الزَّوَارِقِ.

فَجِئْنَا تَبَاعاً كَمَا فِي

الزَّمَانِ

تَجِيءُ الدَّقَائِقِ.

وَصِرْنَا لِكَيْ لَا يُطْلَنَ

البَقَاءُ

زَنَابِقِ.

أَطَلْتُ

لَهَا قَامَةً مِنْ نَهَارٍ. نَظَرْتُ إِلَى
صَدْرِهَا، كَانَ صُبْحاً نَظَرْتُ إِلَى تَحْتِ خَاصِرَتَيْهَا

رَأَيْتُ

الغَسَقَ.

لَهَا جَسَدٌ، سِرُّهُ فِي الرَّمَّاحِ
وَرَائِحَةُ النَّوْمِ فِي الْيَاسَمِينِ. وَلَا تَلْمَسُ الْأَرْضَ إِلَّا
وَتَنْشُرُ دَارُ الثَّرَابِ
كِتَابَ الْحَبَقِ.

يَمُوجُ بِهَا الْبَحْرُ، لِكِنَّهُ، لَمْ
يَذُقْ بَعْدُ مَرَّ جَنَاحِ عَلَى الْمَاءِ. لَمْ يُضْغِ
يَوْمًا لِبَحَّارَةٍ. أَوْ يُودِّعُ شِرَاعاً يُسَافِرُ لِالْفُقِ
أَوْ لِلْعَرَقِ.

وَمَا مِنْ فَمٍ عَلَّقَ الْقُبُلَاتِ
عَلَى أُذُنِهَا أَوْ تَوَاشِيحِ مِعْصَمِهَا دِمَلَجاً أَوْ
حَلَقِ.

وَعَدْرَاءُ،

لَا ابْتَلَّ بَعْدُ بِمَاءِ الْأَنْوَةِ

فِيهَا الْخُزَامَى . وَلَا رِعْشَةٌ رَافَقَتْ نَائِي أُنْتِيهَا . أَوْ
جَنَاحَ لِطَائِرٍ لَذَّتِيهَا
قَدْ
خَفَقَ .

وَلَا عَرَفْتُ أَنَّ أَشْهَى اللَّقَاءِ مَتَى
عَاجُ فَخْذٍ عَنِ الْآخِرِ الزَّبْدِيِّ
اِفْتَرَقَ .

أَظُنُّ إِذَا مَا اِزْتَدَّتْ أَخْضَرًا فَأَحَ .
أَوْ مَا اِزْتَدَّتْ أَزْرَقًا سَالًا . أَمَّا الْبَيَاضُ فَصَارَ بِخُورًا
عَلَى جَمْرَةٍ ،
وَاحْتَرَقَ .

أَنَا الْآنَ مُلْقَى قَطِيعِ ذِيَابٍ عَلَى
سُرُرٍ مِنْ حَشِيشِ الْيَنَابِيعِ . قَاسٍ كُنْهِي . جَمِيلٌ

كَصَيْفِ أَعَالِي الْجِبَالِ . مُذَابٌ كَقِرْصٍ مِنَ الشَّهَوَاتِ الَّتِي
امْتَصَّهَا نَحْلٌ تَمُوزُ

مِنْ زَعْتَرَاتٍ
بِرَارِي الشُّبُقِ .

تَنَادَتْ أَيَائِلُ جِسْمِي . وَفِي قِصَّةِ
الْغُضَنِ أَنَّ الزُّهُورَ إِذَا هِيَ نَادَتْ أَجَابَ
الْوَرَقُ .

وَفِي الْعِشْقِ أَجْمَلُ مِنْ قَوْلٍ :
مَدَّ الذُّرَاعَيْنِ ، قَوْلُ :
امْتَسَّقُ .

وَرَغِمَ امْتِلَاكِي لَهَا ، كَانَ أَشْهَى
الَّذِي ذُقْتُهُ مِنْ يَدِي نَظْرِي اللَّصَّ مَا قَدْ
سَرَقُ .

تَفُوحُ مَفَاتِيْهَا عِطْرَ مِلْحٍ . هُنَا
هَبَّةٌ مِنْ صَبَا الشَّقَاتَيْنِ ، هُنَا عَشْبَةٌ
مِنْ
عَرَقٍ .

وَلَا هِيَ بَانَ ، وَلَا صَنَدَلٌ أَوْ
زُرُودٌ ، فَمِنْ أَيْنَ قَدْ جَاءَ هَذَا
الْعَبَقُ ؟ !

هُوَ التَّخْتُ ، كَالشُّعْرِ ، فِي سِرِّهِ .
كُلَّمَا اِزْدَادَ كِذْبًا ،
صَدَقَ .

وَأَعْصِفُ فِيهَا ، فَتَقْلُقُ بَيْنَ يَدَيَّ . وَإِنْ هَبَّتِ
الرِّيحُ كَانَ أَلْدُ الَّذِي يَغْتَرِي الغُضْنَ مِنْهَا
الْقَلْقُ .

وَبَيْتَنَا، إِذَا مَا صَحَا
الْقَمُ، نَامَ
الْحَدَقُ.

وَأَمَتَّصُ فِي شَعْفِ شَمْسِهَا. ثُمَّ
يَأْتِي الْأَيْنُنُ، فَيُضْبِحُ أَجْمَلَ مِنْ شَمْسِ قَامَتِهَا، مَا
يَلُوحُ بِمُقْلَتِهَا مِنْ بَقَايَا
الشَّفَقِ.

وَلَا تَنْتَهِي.
إِنْ أَمَاتَ بِهَا الشَّبِيقُ امْرَأَةً،
عَادَ وَامْرَأَةً غَيْرَهَا
قَدْ خَلَقَ.

وَيَأْتِي الضَّبَابُ لِتَغْدُو فِي الْعُزْرِ
أَبْهَى. وَيُطْرِقُ أَجْفَانَهُ الشَّمْعُ كَيْ لَا أَرَى فِي

وُضُوح. وَرَعَمَ التِّفَافِ ذِرَاعِي عَلَى خَضْرَاهَا الدَّلَّ، تَبْدُو
كَأَنَّ يَدِي لَا تَطَالُ يَدَيْهَا. وَأَنْبِثُ فِيهَا الْحُقُولَ.
وَأُجْرِي السَّوَاقِي. وَأُشْعِلُ مِثْلَ الرُّعَاةِ فَوَانِيَسَهَا
كَيْفَ

هَبَّتْ بِي الْعَيْرَةُ الْآنَ؟! بَتْ كَأَنِّي أُخْرِجُ مِنْهَا الرِّجَالَ،
وَأَذْبَحُهُمْ عَاشِقًا،

عَاشِقًا يَا

لِعِشْقِي كَيْفَ تَحَوَّلَ مِنْ
شَارِبٍ نَهْدَهَا لِمُنْتَقِمٍ! كَيْفَ أَغْدُو عَطِيلاً وَشَاعِرَ حِمَصٍ
وَلَا أَصْبَحْتُ بَعْدُ وَرَدًّا وَلَا دِيدْمُونَةً. شَكًّا بِمَا
أَمْسَ ظَنَّاهُ صَارَ، فَكَيْفَ أَشْكُ بِمَا بَعْدُ لَيْسَ
يَصِيرُ؟!

تَدُورُ بِبَالِي السُّيُوفِ. وَيَضَعُدُ فِي
دَاخِلِي اللَّيْلُ حَتَّى لَا أَسْمَعَ وَقَعَ حِجَارَةِ كُلِّ السِّنِينَ
بِقَلْبِي. لَقَدْ هَدَّنِي أَلْمُ الشُّكِّ. أَصْبَحْتُ أَحْسَدُ مَنْ هُوَ
وَهُمْ. وَأَرْسُمُ شَكْلًا لِمَنْ لَا أَرَاهُ. وَالْمَحُهَا وَهِيَ

تَرْقُصُ، أَوْ تَتَلَوَّى وَتَشْهَقُ، عَارِيَةً بَيْنَ أَيْدِي عُرَاةٍ،
فَأَغْفِرُ، لَكِنْ لَهُمْ، وَتَمُرُّ سُوْفِي فِيهَا، وَأَبْكِي،
وَأَبْكِي.

لِأَنَّ رِجَالًا سِوَايَ عَلَى الْأَرْضِ
أَفْضَلُ مِنِّي
لَدَيْهَا.

وَأَبْكِي عَلَيَّ،
وَأَبْكِي عَلَيْهَا.

وَأُغْمِضُ عَيْنِي كَالْمُطْمِئِنِّ. لِأَنِّي
كَيْ لَا تَرَى بَعْدُ غَيْرِي أَطْفَأْتُ فِي وَجْهِهَا
مُقْلَتَيْهَا؛

وَكَيْ لَا تَضُمَّ سِوَايَ،
فَقَطَعْتُ يَدَيْهَا.

آدم بين هلالتي المحام

١

كُنْتُ

وَحَدِيثِي .

لَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ بِالْخَوْفِ . فَلَا شَيْءَ
يَهْدِي الْأَرْضِ مَوْجُودٌ لِكُنِّي أَخْشَاهُ . لَا شَيْءَ سِوَى أَنِّي

وَحَدِيثِي .

لَا نَهَارًا جَاءَ مِنْ جَبْرِ دَوَاةِ
الشَّمْسِ. لَا طَيْرٌ. وَلَا وَحْشٌ. وَلَا خُفُّ نَبَاتٍ، أَوْ
مَزَامِيرُ مِيَاهٍ. لَيْسَ؛ إِلَّا أَنِّي قَدْ كُنْتُ
وَحْدِي.

قَتَلْتَنِي الْوَحْدَةَ السُّودَاءَ فِي الْأَرْضِ
لَأَنِّي كُنْتُ
وَحْدِي.

فَافْتَرَشْتُ الرِّيحَ فِي
اللَّيْلِ،
وَنِمْتُ،

فَحَلَمْتُ

أَنَّ سَيْفًا فِي يَدِ الرَّغْبَةِ قَدْ

مَرَّ كَوْمٌ مِضٍ، شَاطِرًا لِي جَسَدِي شَطْرَيْنِ: شَطْرًا غَيْمَةً،
شَطْرًا تُرَابًا،

فَانْقَسَمْتُ:

رَجُلًا،

وَأَمْرَاءَةً كَانَتْ إِذَا عَانَقَهَا، فَرَّتْ
حَيَاءً مِنْ ذِرَاعِيهِ، فَإِنْ صَارَتْ عَرِيشًا صَارَ عُثْقُودًا،
فَإِنْ صَارَتْ نَخِيلًا صَارَ رِيحًا، صَارَ مِنْ كُحْلِيهَا الْأَزْرَقِ إِنْ صَارَتْ
سَمَاءً، وَإِذَا صَارَتْ نُجُومًا صَارَ لَيْلًا وَمِنْ الثُّبْتِ إِلَى
الْمَاءِ، مِنَ الْوَحْشِ إِلَى الطَّيْرِ، مِنَ الْأَحْجَارِ وَالشَّمْسِ إِلَى
النُّيِّرَانِ وَالْأَفْلَاقِ، حَتَّى اكْتَمَلَ الْكَوْنُ،

فَجَاءَ

الْعَيْدُ،

كُلُّ ذَكَرٍ، عَانَقَ
مَنْ مِنْ جَنْسِهِ أُنْثَى. وَأَصْبَحْنَا جَمِيعًا وَاحِدًا. إِنْ هَزَّتِ
النُّشُورُ نَخِيلًا شَعَرَ الْبَحْرِ بِهَا؛ أَوْ أَنْجَبَتْ سُنْبُلَةً صَيْفًا،

أَتَى الْوَرْدَ مَخَاضٍ مِنْ نَدَى؛ أَوْ لَفَّ عُضْفُورٌ جَنَاحِيهِ
عَلَى عُضْفُورَةٍ، هَفَّتْ ذِرَاعَا أَيْلِ الْمَاءِ إِلَى
خَضِرِ الْغَزَالَةِ.

عِنْدَمَا صِرْتُ أَنَا الْعَاشِقُ مِنْ كُلِّي
خَيَالِي، مَا تَبَقَى أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ مِنْ كُلِّهِ
صَارَ خَيَالَهُ.

كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ خَطٌّ يَفْسِمُ الْأَشْيَاءَ
كَيْ يَجْمَعَهَا، مِنْ حَبَّةِ الْقَمْحِ، إِلَى الْيَوْمِ، إِلَى
خَمَارَةٍ مَفْتُوحَةٍ
فِي الْبُرْتُقَالَةِ.

أَهْ مَا أَقْرَبَنَا حَتَّى مِنْ الْمَجْهُولِ فِي
الْأُمَّتِنَاهِي. لَا نِدَاءَ بَيْنَنَا يَغْلُو، وَلَا
تَجْرِي رِسَالَهُ.

جَسَدٌ هَذَا النَّهَارُ الْقُرْجِيُّ الْعِشْقِي،
لَمْ يَذْهَبْ إِلَى مَوْعِدِهِ، إِلَّا وَصَرَ الْمَوْجُ حُقْنِ لَهْ،
وَالْأَرْضُ سَجَادَتُهُ الْخَضْرَاءُ،
وَاللَّيْلُ ظِلَالَةٌ.

كَانَتْ الرَّغْبَةُ مَنْ أَنْقَذَنِي مِنْ وَحْدَتِي.
مَرَّ أَمَامِي كُلُّ مَا أَبَدَعَهُ اللَّهُ، فَلَمْ أَخْتَرْ لِنَفْسِي
مِنْ نُصُوصِ اللَّهِ إِلَّا امْرَأَةً. لَا شَيْءَ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ
غَيْرُهَا. مَا قَالَ هَذَا جَسَدِي، قَالَتْهُ رُوحِي.
أَوْجَدَ اللَّهُ الْبُحَيْرَاتِ لِكُنِّي يَهْتِفَ
بِي: كُنْ كَالْبُحَيْرَاتِ نَقِيًّا. أَوْجَدَ الْغِزْلَانَ كُنِّي أَغْدُو
وَفِيًّا كَغِزَالِي. ثُمَّ أُعْطِيَ جَسَدِي قُوَّةَ صَوَّانٍ وَلَكِنِ،
كُنِّي أَضْمَمَ امْرَأَتِي حِينَ أَرَاهَا بِسِذْرَاعٍ مِنْ نَدَى.
وَهُوَ قَضَاءٌ، وَأَنَا مُتَّهَمٌ. يَحْكُمُ
بِالْقُرْبِ إِذَا كُنْتُ بَرِيئًا. وَإِذَا مَا كُنْتُ فَالْبُعْدُ مَصِيرِي.
لَيْسَ مِنْ سِجْنٍ بِهِذِي الْأَرْضِ أَفْسَى مِنْ عَذَابِ الْبُعْدِ فِيهَا.

عِنْدَمَا طَيَّبْتُ بِالصَّنْدَلِ هَذَا الْجَسَدَ
الصَّاعِدَ صَوَانًا وَمَوْجًا، أَقْبَلْتُ مَسْكُوبَةً فِي عُرْبِهَا الْمُمْتَصِّ
يَأْفُوتُ عَرِيْسِ الشَّمْعِ. كَانَتْ تَقْطِفُ الْخَطْوَةَ عَلَى الْأَعْشَابِ
نَحْوِي، قَدَمَاهَا: نَقْلَةٌ مَسْحُ جَنَاحِ، نَقْلَةٌ حَفُّ نَسِيمِ،
طَالِعٌ فَوْقَهُمَا بَيْنَ مَنَادِيلِ ضَبَابِ، قَامَةٌ، بَلْ سَنَةٌ
ذَاتُ نَهَارَاتِ صِبَا، مُرْخِيٌّ عَلَيْهَا لَيْلُهَا. فِي خَضْرَاهَا
النَّاحِلِ أَيْلُولٌ. وَتَمْوِيْجُ عَمَامٍ مِنْ أَصِيلِ ذَائِبٍ فِي
لَا زَوْرِدِ الْبَحْرِ رِدْقَاهَا. وَنَهْرٌ ظَهْرُهَا، فِيهِ الْحَصَى أَيَّامُ
نَيْسَانِ. ذِرَاعَاهَا، كَأَنِّي جُمْلَةٌ مِنْ سُكْرِ بَيْنِ هِلَالَيْنِ
مِنَ الْمَاءِ. وَمَا فِي وَجْهَهَا غَيْرُ فِضَاءَاتٍ عَلَيْهَا لَوْحَةٌ
الْخَلْقِ الَّتِي وَقَّعَهَا اللَّهُ. غِنَاءٌ عَنْقُهَا التَّفُّ عَلَى
نَائِي. وَصَيْفَانِ يَلُونِ الصُّبْحَ نَهْدَاهَا. وَقَوْسَا بَطْنِهَا صَيْبِيَّةٌ
مَلَأَى خُرَامِي، فَوْقَ فَخْذَيْنِ رَبِيعِيَيْنِ، قَدْ فَتَّحَ مَا
بَيْنَهُمَا تِسْعَ تُوَيْجَاتٍ، لِفَانُوسٍ إِذَا أَشْعَلْتَهُ، شَاهَدَتْ دَيْرًا
مِنْ نَبِيذٍ، لَيْسَ مَنْ يُمَضِي بِهِ اللَّيْلُ يُصَلِّي، غَيْرُ
رُهْبَانِ عَرِيْسِ.



20 F 520542

لَمْ يَكُنْ أَجْمَلَ مِنْهَا الْآنَ إِلَّا
أَنَّهَا بَعْدَ قَلِيلٍ، سَوْفَ يَغْدُو خَطُومَهَا أَكْثَرَ قُرْبًا.
يُولَدُ الشَّوْقُ عَلَى الْبُعْدِ. لِمَاذَا كَلَّمَا قَدْ أَضْبَحْتَ
أَقْرَبَ مِنِّي ازْدَدْتُ شَوْقًا؟! لَسْتُ أَذْرِي مَا الَّذِي
يَحْدُثُ لِي، وَهِيَ تَخِفُ الْخَطُومَ نَحْوِي!! لَمْ يَعْذُ لِي
جَسَدًا! أَضْبَحْتَ هَذَا الشَّرْقَ مَلْقِيًا عَلَى قَوْسِ عَمَامٍ،
عُضْوُهُ الْحَمْرِيُّ يَغْلُو قُرْصَ شَمْسٍ، تَحْتَهُ خَاصِرَتَاهُ امْتَدَّتَا
سَهْلًا مِنَ الصَّيْفِ لِبَرْقِ قَادِمٍ. إِنِّي أَضْغِي لَا إِلَى
قَلْبِي، وَلَكِنْ لِطُبُولٍ فِي الْمَسَا يَفْرَعُهَا زَنْجٌ وَهُمْ
يَسْتَحْضِرُونَ الشَّبَقَ الْمَالِحَ كَيْ يَنْسَابَ فِي أَمْوَاجِهَا لَمَّا تَصِيرُ
الْبَحْرَ تَحْتِي

خَمْسَةٌ مِنْ عَازِفِي قَامَتِهَا صَارَتْ يَدِي. صَارَ
فَمِي نَهْرًا بِتَمُوزٍ، إِذَا مَا انْعَمَسَتْ فِي مَائِهِ ارْتَعَشَتْ. وَالنَّوْمُ
نَوْمَانٍ، وَإِنِّي الْآنَ فِي نَوْمٍ لِرُؤْيَا جَسَدٍ مُسْتَيْقِظٍ، سَكَبَ صِبَاً،
مِنْ بَعْدُ لَنْ يَشْفَى،
وَلَنْ يَعْرِفَ نَوْمًا.

تَأْخُذُ الْأَشْيَاءَ شَكْلًا كَنَسِيًّا، كَلَّمَا
مَرَّتْ عَلَيْهَا مُقْلَتَاهَا، وَيَصِيرُ النَّبْعُ فِي رَقْصَتِهِ خَمْسَ
سَوَاقٍ، كَلَّمَا لَاحَتْ لِئِنْبَعِ يَدُهَا لَا آلَةَ لِلْعَزْفِ إِلَّا
وُلِدَتْ مِنْ خَضْرِيهَا. كُلُّ جَمَالٍ، أَوْ مَلَابٍ، كَانَ فِي
قَامَتِيهَا، ثُمَّ مَضَى مُسْتَوِطِنًا حَيْثُ هُوَ الْآنَ، مِنْ
الشَّلَالِ حَتَّى كَوَّكِبِ الْبَرِيَّةِ الصَّافِي وَبُنِّ الْبَدْوِ. لَا يُلْمَسُ
نَهْدَانِ لَهَا إِلَّا وَتَجْرِي رِغْشَةً فِي بُزْتُقَالِ الْحَقْلِ.
لَيْسَتْ صُورَةٌ التَّرْجِسِ فِي الْمَاءِ سِوَى خُفِّ لَهَا. وَالشُّعْرَاءُ
اِكْتَشَفُوا قَبْلَ اِكْتِشَافِ الْجَبْرِ أَنَّ اللَّيْلَ مُرْخَى شَعْرِيهَا.
وَرَزَعَهَا اللَّهُ فَكَانَ الْكَوْنُ. وَالْكَوْنُ إِذَا جَمَعَهُ اللَّهُ لَكَانَتْ.
يَخْتَفِي النُّجْمُ مَسَاءً كَلَّمَا أَخْفَى فَمِي حَلْمَتَهَا. تَطْهَرُ فِيهَا
الْأَرْضُ وَالْآفَاقُ لَمَّا تَتَعَرَّى. إِنْ رَأَيْتُ الظُّلَّ أَعْدُو
وَإِثْقَا أَنِّي إِنْ أَعْلَيْتُ رَأْسِي سَأَرَاهَا. لَمْ تَغِبْ
يَوْمًا، فَقَدْ حَلَّتْ كَمَا قَالَ النَّدَى فِي كُلِّ شَيْءٍ.
كُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ قَدِيمًا، كُلُّ مَا فِيَّ وَمَا فِيهَا
اِقْتَسَمْنَاهُ مَعًا فِي جَسَدَيْنَا.

أَوْ لَوْ كُنَّا مِنَ الْمَاءِ . وَلَكِنْ ،
لَيْسَ يَكْفِي الْمَاءَ كَيْ نَشْعُرَ إِنْ نَحْنُ تَعَانَقْنَا امْتَزَجْنَا . إِنَّ
أَشْهَى مَا أَكُونُ الْآنَ أَنِّي رَجُلٌ . أَجْمَلُ شَيْءٍ مِثْلِكَ
عِنْدِي أَنْ تَكُونِي امْرَأَةً . لَا شَيْءَ يَبْدُو قَابِلًا لِلْمَزْجِ
كَيْ يَغْدُو أَصْفَى ، مِثْلُ مَزْجِ امْرَأَةٍ فِي رَجُلٍ لَيْلَةً عَشِقِي .
عِنْدَمَا تَلْمِسُ أَطْرَافَ يَدِي
أَوَّلَ أَطْرَافِ يَدِكَ ،

لَكَأَنِّي زَائِرٌ يَفْرَعُ كَالنَّسَمَةِ
زَرًّا لَيْنًا فِي جَسَدِكَ ،

وَلَهُ
رَنَّةٌ بُلْبُلٌ ،

تَفْتَحِينَ الْجَسَدَ الْعَارِيَّ ،
وَأَدْخُلُ .

لَمْ أَضِيءَ يَأْفُوتَ قِنْدِيلٍ، فَلَا
إِضْبَعَ فِي رِجْلَيْكَ إِلَّا وَهُوَ يَأْفُوتُ لِقِنْدِيلِ مَلَاكٍ.
وَنَبِيذُ الْكَرْمِ لَنْ يُسَكِرَنَا أَكْثَرَ مِنْ نَهْرِي نَبِيذِ عُنُقَا فِي جَسَدَيْنَا.
وَلِمَاذَا الْوَرْدُ؟! مَنْ يَأْتِي بِلِصِّ عَاشِقٍ، يَسْرِقُ تَفْتِيحَكَ
مِنِّي؟ حَائِرٌ، أَيَّ سَرِيرٍ أَنْتَقِي! لَا أُرُ الْمَارِيَّ، أَوْ قَوْفُ الصَّبَا،
أَوْ مَلَمَسُ الْكِنَّارِ، إِلَّا وَهُوَ مَنْسُوجٌ بِأَيْدٍ لَمْ تُثِرْ فِي جَسَدِي
الْوَالِهِ إِلَّا غَيْرَتِي مِنْهَا. أَلَا لَيْتَ مَعِيَ سَيْفًا لِكُنِي
أَقْطَعَهَا. وَاللَّهِ لَوْ شَارَكَنِي لَمَسِكَ لَيْلٌ أَوْ نَسِيمٌ،
صِرْتُ دِيكَ الْجَنُّ أَوْ قَيْسًا. سَيَعْدُو بَعْضِي الْعُشْبَ، وَبَعْضِي
الرِّيْحَ وَاللَّيْلَ لِكُنِي أَفْتَتِحَ الْقَامَةَ وَخَدِي. لَيْسَ يَكْفِي
أَنَّ هَذِي الْأَرْضَ مَا بَعْدُ عَلَيَّهَا رَجُلٌ كُنِي يَطْمَئِنُّ
الْمُشْتَهَى فِي جَسَدِي. إِنِّي سَأَعْدُو كُلَّ شَيْءٍ فَلِذَا
لَا مَسَ شَيْءٍ مِنْكَ نَهْدًا أَوْ فَمَا أَوْ هُذَبَ جَفْنِ

كَانَ

مِنِّي

قَامَتِي مَلَأَى بِبِرْقِ سَاطِعٍ، يَلْمَعُ
فِي حَاصِرَتِي حِينَ يَفِيضُ الْمَطَرُ الْأَبْيَضُ دُوَ الْمِلْحِ الَّذِي
تَرْكِيْبُهُ نَارٌ، وَمَاءٌ، وَهَوَاءٌ،
وَتُرَابٌ.

كُلُّ شَيْءٍ سَوْفَ يَزْتَدُّ إِذَا مَا
فَسَدَ الْمِلْحُ
خَرَابٌ.

تُشْرِقُ الشَّمْسُ عَلَى نَصِّ قَدِيمٍ،
تَوْلَدُ الْوَرْدَةُ مَمْحُورًا بِهَاءِ الْعِشْقِ مِنْهَا. وَتَدُورُ الْأَرْضُ
لَا تَعْرِفُ شَيْئًا؛ لَا مَفَاتِيحَ لِسِرِّ مَعَهَا؛ لَا غَامِضٌ
تُضْغِي إِلَى يَنْبُوعِهِ؛ لَا قَبْلُ، لَا بَعْدُ؛ وَلَا خَالِقَ فِيهَا،
وَحَلَا الْأَمْوَاجِ، وَالْبُلْبُلِ، لَا نَائِي عَلَيْهَا
أَوْ
كِتَابٌ.

قَامَتِي أَلْيَافُ صَوَّانٍ، وَعَظْفٌ لِأَعَاصِيرٍ،
وَسَيْلٌ قَاطِعٌ. فَخُذَايَ جِدْعَانِ مِنَ الْإِبْرِينِ. صَدْرِي مَرْكَبٌ
عَاصِرٌ. وَمَجْدَافَانِ مِنْ مَرُورِ ذِرَاعَايَ. قَوِيٌّ، مَلَأْتُ رَائِحَةَ
الرَّغْبَةِ فِي نَهْدِيكَ أَعْضَائِي. أَنَا الصَّيْفُ وَأَنْتِ الْكَرْمُ.
لَا رِيحَ وَلَيْسَتْ بِي، وَلَا شَهْوَةَ مِنْ مَوْجٍ وَلَيْسَتْ
فِيكَ. هَذَا
جَسَدِي.

تَمَتَّصُهُ قَامَتُكَ الْعَامِضَةُ الرَّغْبَةُ،
كَالَلَيْلِ الَّذِي يَمْتَصُّ فِي جِلْبَابِهِ
عُزِّي النَّهَارِ:

لَا مَفَاتِيحَ سَتَكْفِي كُلَّ أَبْوَابِكَ عِنْدِي.
وَأَنَا الْوَاضِحُ، أَنْتِ السَّرُّ وَالْكُحْلِيُّ. أُعْطِي جَسَدِي الْقُوَّةَ كَيْ
أُعْطِيكَ الْمِتْعَةَ، فَلْتَتَّحِدَا، حَتَّى تَرَى الْأَشْجَارَ فِيكَ الرَّقِصَةَ
الْأُولَى، وَحَتَّى يَنْقُلَ الْقَارِبُ فِي إِبْحَارِهِ، عَنْ جَسَدِي،
رَفَعَ الصَّوَارِي؛

وَتَلُفَّ الطَّيْرُ مِنْقَاراً بِمِنْقَارٍ، وَتَسْتَرْوِحَ
أُنثَاهَا ذُكُورُ الْوَحْشِ فِي
عُمُقِ الْبَرَارِيِّ؛

وَيَصِيرَ الزَّبَدُ الْأَبْيَضُ فِي الْأَمْوَاجِ
قُمْصَاناً رَمَتْهَا نِسْوَةُ الْأَسْمَاكِ عَنْهُنَّ
بِأَغْرَاسِ الْبِحَارِ؛

وَنَرَاهَا مَوْعِداً أَوْ لَعَةً فِي الْغُضَنِ تِلْكَ
الْمَيْسَةُ الْخَضْرَاءُ. إِنَّ غُضَّنَانِ مَاجَا فِي نَسِيمِ الصُّبْحِ،
كَأَنَّا فِي عِنَاقٍ، أَوْ
جَوَارٍ؛

وَإِذَا أَعْمَضْتُ أَجْفَانِي عَلَى الْأَنْجُمِ، لَا
تَسْمَعُ رُوحِي، غَيْرَ نَقْرِ الْعُودِ، فِي لَيْلِيَةِ اللَّهِ،
وَرَنَاتِ السُّوَارِ.

كُلُّ شَيْءٍ قَامَةٌ لِامْرَأَةٍ بَيْنَ ذِرَاعَيْ
رَجُلٍ. يَفْتَحُ فِيهَا آبُهَا. تَفْتَحُ فِيهِ آبُهُ. يَمْتَصُّ
كَالتَّحْلَةِ كُلُّ مِنْهُمَا مَا فِيهِمَا
مِنْ جُلَّتَارٍ.

تَأْخُذُ الْخَضِرَ ذِرَاعِي. ثُمَّ أَمْضِي، لِي
جَنَاحَانِ مِنَ الْفَيْرُوزِ أَعْلُو
ثُمَّ أَعْلُو

لِيَصِيرَ الْبَدَأُ أَعْيَادَ
سَرِيرِي. أَنْتِ فِي عُرْيِكِ، قُرْبِي. وَنِسَاءُ ضَمَّرٍ مِنْ
كَهْرَمَانَ الشَّمْعِ، حَوْلِي. وَمَلَكَاءُ عِنَبٍ صَارًا تَبِيدًا،
فِي جَوَارِي.

أَفْتَحُ الْقَامَةَ. يَغْدُو أَوْلَ
الْكُونِ عَلَى الْأَرْضِ
انْفِجَارِي.

بَيْنَمَا كُنَّا عُرَاةً، وَتَعَانَقْنَا طَوِيلًا،
 أَصْبَحَتْ أَشْكَالُنَا أَجْنِحَةَ ذَاتِ تَأْوِيهِ، رَأَيْنَاهَا بِتَخْتِ،
 عَارِيَاتٍ مِثْلَنَا. لَمَسْ، وَضَمٌّ، وَالتِّفَافُ، وَصُرَاخٌ، وَإِبَاحِيَّاتُ
 أَوْضَاعٍ، وَعَضُّ، وَامْتِصَاصٌ، وَانْفِرَاجَاتٌ، وَتَعْدِيْبٌ لَدِيْدٌ،
 وَتَرَجٌّ،

وَوُلُوجٌ، وَازْتِطَامٌ، وَتَشْطُّ، وَالتَّيَوَّاتُ، وَلَا وَعْيِي لِيَوْفَتِ أَوْ
 مَكَانٍ، وَصِرَاعٌ، وَأَنْقِلَابَاتٌ لِأَذْوَارٍ، وَعُغْفٌ، وَضِيَاعٌ،
 وَوَقَاحَاتُ زُنَاةٍ، وَاغْتِصَابٌ، أَيَّنَ نَحْنُ الْآنَ؟ لَا نَذْرِي! وَمَنْ نَحْنُ؟
 وَمَا يَخْدُثُ؟ لَا نَذْرِي! قَتَلْنَا عَقْلَنَا الْحَارِسَ حَتَّى نَفْتَحَ
 الْبَابَ الَّذِي يُوصِلُنَا سِرًّا إِلَى غُرْفَةِ نَوْمِ الْكَوْنِ،
 لَمْ نَشْهَدْ بِهَا إِلَّا عُرَاةً مِثْلَنَا لَمَّا نَزَعْنَا شَكْلَهُمْ
 عَنْهُمْ، رَأَيْنَا

صُورَتَيْنَا

وَعَرَفْنَا أَنَّ هَذَا الْكَوْنَ

حَيٌّ، سَاكِنٌ فِي

جَسَدَيْنَا.

أَقْطَفُ الْقُبْلَةَ. بَعْدِي، أَخَذَ الْخَمَّارُ
 عَنِّي، وَبَنَاتُ الْحَقْلِ، قَطَفَ الْخَمْرَ وَالتَّرْجِسَ. لَا شَيْءَ بِلَا
 جَذْرِ. وَجَذْرُ التَّعْسِ الْجِنْسِيُّ أَتَانِكَ لَمَّا شَفَيْتَنِي تَمْشِي

عَلَى ظَهْرِكَ كَالْعَزْفِ، وَلَا أَطْرَافَ فِي الْمَشْيِ لَهَا إِلَّا
لِسَانِي، حَامِلًا لِلْعُنُقِ وَالْأَكْتِافِ ذَاكَ الْخَدَرَ الْآتِي بِهِ مِنْ قَرْيَةٍ
هِنْدِيَّةٍ فِي جَسَدِي، كُلُّ بَهَارَاتِي فِيهَا.

جَذْرُ لَيْلِ الشَّهْرِ مُرْخَى شَعْرِكَ الْمَائِي. جَذْرُ
الْمَرْمَرِ الرَّؤْمِيِّ فَخْذَاكَ. وَهَذَا الشَّبَقُ الْمَالِحُ فِي حَاصِرَتِي
الْمَلَأَى بِمُهْرَيْنِ وَسَهْلٍ، جَذْرُهُ أَنَّكَ عُرِي لَيْسَ تُبْقِي
نَارَهُ مِنْ جَسَدِي إِلَّا رَمَادِي.

عِنْدَمَا شَاهَدْتُ نَهْدَيْكَ تَذَكَّرْتُ لِمَاذَا
كُنْتُ مَفْتُونًا بِقَوْسِ الْقَرْحِ الْبَحْرِيِّ، وَالتَّدْوِيرَةِ الْبَيْضَاءِ
إِنْ جَاءَ الْمَسَا فِي شَجَرِ الْخَوْخِ، وَتَحْرِيكِ يَدِي مِثْلَ
الْمَجَازِيْفِ بِمَاءِ النَّهْرِ. أَنْتِ الشَّمْسُ وَالشَّرْقُ قَمِيصٌ. أَجْمَلُ
الْمَشْهَدِ لَمَّا تَبْلُغُ الشَّهْوَةَ عَيْنِيكَ. وَأَبْهَى مَا يُعْطِي
عُرْفَ الْأَرْضِ مَرَايَا أَنْتِ فِيهَا.

أَفْتَحُ الْمَوْجَةَ صُنْدُوقًا بِبَيْتِ الْبَحْرِ
كَيْ آتِي بِمِنْدِيلِكَ مِنْهَا. هَوْدَجُ نَيْسَانَ مَرْفُوعٌ بِكَ
كَيْ تَعْبُرِي سُوقَ الرَّعَايَا، حَيْثُ تَصْطَفُ السُّنُونُو

رَافِعَاتِ بِالنَّدَى أَعْنَاقَهَا حَتَّى تَرَى مِرَآئَهَا؛ وَالسُّوسَنَاتُ
الْبَيْضُ يَرْشُقُنكَ بِالْأَزْرَارِ مَلَأَى قُبْلَا؛ وَالْحَوْرُ يَغْدُو غُرْفَا
عَطَّ عَلَى شُرْفَتِهَا شَهْرُ يَمَامٍ كَيْ يَرَى هَوْدَجَكَ
الْمِسْكِ مِنْهَا.

وَتَمْرَيْنِ،

وَسُوقِ الْأَرْضِ تَلْوِيحِ غَمَامَاتِ. وَتَضْفِيقِ
نَسِيمِ. وَأَكْفِ مِنْ سَوَاقِ تَفْرِعِ الْمَاءِ كَأَجْرَاسٍ مِنْ
الْفِضَّةِ نَادَتْ كُلَّ زُهَبَانِ الْبَرَارِيِّ كَيْ يَجِيئُوا لِيَرَوْا
مَوْكِبَ قَدِيسَتِهِمْ.

أَيُّهَا السَّيِّدَةُ الْبَيْضَاءُ لَا نَمْلِكُ
إِلَّا خَرَزًا أَزْرَقَ عَلَّقْنَاهُ فِي أَعْنَاقِنَا كَيْ يَحْرُسَ
الْحَبَّ الَّذِي نَحْمِلُهُ مِنْ حَسَدِ الرِّيحِ، وَمِنْ أَعْيُنِهَا.
أَيُّهَا السَّيِّدَةُ الْبَيْضَاءُ، كَيْ يَبْقَى بِنَا الْحَبُّ نَقِيًّا، بَارِكِينَا.
كُنْتُ وَخِدِي. حَرَكَاتِي، وَأَنَا وَخِدِي شَقَّتْ
ثُرْبَةَ الْحَقْلِ. رَمَتْ رُمْحًا. بَنَتْ كُوخًا. أَزَاحَتْ صَخْرَةً، هَزَّتْ
جُدُوعًا. غَمَسَتْ فِي الْمَاءِ مِجْدَافًا. عَدَّتْ. عَنَّتْ. بَكَتْ.

صَارَعَتِ الْوَحْشَ، وَسَلَّتْ شَرَرَ النَّيِّرَانِ مِنْ صَوَانَةِ الْأَرْضِ.
اسْتَعَاثَتْ. نَسَجَتْ ثَوْبًا. وَصَلَّتْ. وَحَدَّهَا كَانَتْ إِشَارَاتِ
بَقَائِي.

إِنْ

أَتَتْ آتِي. وَأَمْضِي حِينَ تَمْضِي. لَمْ تَكُنْ تُسْعِدُنِي.
كَانَتْ عَلَيَّ كُزْهِي لَهَا، أَفْضَلَ مِنْ أَنِّي مَيِّتٌ.
لَمْ تَكُنْ تُسْجِرُنِي شَمْسٌ. وَلَمْ أَشْعُرْ بِلُطْفِ الْوَرْدِ، أَوْ رَنَّ
السَّوَاقِي. جِئْتِ أَنْتِ. لَمْ أَعُدْ وَحْدِي. هَذَا سِرُّ أَنِّي لَمْ
أُمْتُ. سِرُّ وُجُودِ اللَّهِ، وَالسُّحْرِ، وَثَالُوثِ بَقَائِي جَسَدًا
يَمْضِي، وَيَأْتِي جَسَدًا، حَامِلًا مِشْعَلُهُ فِي عَثْمَةِ الْكَوْنِ لِكَيْ

يَعْرِفَ

سِرَّهُ.

أَجْمَلُ الْكَوْنِ وَأَبْهَى الْأَرْضِ لَمَّا الْأَرْضُ
تَجْرِي، نَحْوَهُ عَارِيَةَ الرُّوحِ
وَحُرَّةً.

وَتَعَانَقْنَا، فَلَمْ تَبَقْ انْحِنَاءَاتٌ وَلَا إِيقَاعٌ
 شَيْءٍ نَابِضٍ، أَوْ حَرَكَاتٍ تَمْلَأُ الْأَكْوَانَ إِلَّا وَاكَتَشَفْنَا
 أَنَّهَا فِي جَسَدَيْنَا. نَحْنُ لَمْ نَكْتَشِفِ الْغَامِضَ فِي الْأَكْوَانِ إِلَّا
 عِنْدَمَا نَكْتَشِفُ الْغَامِضَ فِي أَجْسَادِنَا. وَالرَّاقِصُ الْمُكْتَشِفُ
 الْإِيقَاعَ فِي قَامَتِهِ، مُكْتَشِفٌ إِيقَاعَ شَيْءٍ غَامِضٍ بَعْدُ
 بِهَذَا الْكَوْنِ. كَمْ مِنْ رَقْصَةٍ لِإِلَانَ قَدْ أَبَدَعَهَا مَنْ
 رَقَّصُوا فِي الْأَرْضِ؟! لَكِنْ، لَمْ يَزَلْ فِي جَسَدِي رَقْصٌ
 كَثِيرٌ بَعْدُ مَجْهُولٌ، خَفِيٌّ. مَا انْتَهَى كُلُّ اكْتِشَافِ الرَّقْصِ
 لِإِلَانَ، لِأَنَّ الْجَسَدَ الرَّاقِصَ مَمْلُوءٌ بِإِيقَاعَاتِ هَذَا الْكَوْنِ.
 إِنَّا رَقْصَةٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. يَنْتَهِي فِينَا اكْتِشَافُ الْكَوْنِ
 لَمَّا يَنْتَهِي فِينَا اكْتِشَافُ الرَّقْصِ. هَذَا جَسَدِي، عَارٍ لِكَيْ
 تَكْتَشِفَنِي أَبْعَدَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِيقَاعِ؛ أَقْوَى مَا بِفَحْلِ
 الْمَوْجِ لَمَّا يَضْرِبُ الْمَفْتُوحَ مِنْ أَفْحَازِ خُلْجَانِ الْبِحَارِ
 السُّودِ؛ أَشْهَى مَا مِنَ اللَّذَاتِ تَخْتَارِينَ إِنْ نَهْدَاكِ
 قَدْ مَرَّ عَلَى تَوْنَيْهِمَا
 صَيْفُ لِسَانِي.

شَارَكْتَنَا شَغَفَ الْعِشْقِ عُيُونٌ كُحِلْهَا
 مِنْ تَعَبٍ. نَعْرَانِ آهَا كُلَّمَا اللَّذَّةُ عَنَّتْ. أَذْرُعُ تَأْخُذْنَا
 مَاءَيْنِ كَيْ نُصْبِحَ مَاءً. رَغَبَةٌ تَصْعَدُ شَمْسًا فِي نَهَارَاتِ
 لَتَمُوزَ بِنَا. طَيِّبْتُ بِالصَّنْدَلِ أَعْضَائِي، وَبِالزَّيْتِ الْمُرَوِّى بِالْخَزَامَى
 طَيِّبْتُ أَعْضَاءَهَا.

دَقَّ عِنَاقُ،

فَتَحَتْ قَامَتَهَا قَاعَةً بِلَلُّورٍ، عَلَى جُذْرَانِهَا
 لَوْحَاتُ رَسَامِي طُقُوسِ الْعُرِي، أَبْيَاتُ بَيَاضٍ أُخِذَتْ
 مِنْ شَعْرَاءِ الْمِسْكِ. لَا شَيْءَ سِوَى الرَّقِصِ، وَنَايَاتِ
 الْمَوَاوِيلِ بِهَا. أَضْغِي إِلَى مَدَاتِ «يَا لَيْلُ» إِذَا مَا
 شَعْرَهَا عَنَّى. وَإِنْ نَايَتْ بِخَضِرٍ، خِلْتُ قُطْعَانَ غُرُوبِ
 أَكَلْتُ عُشْبَ صَبَاحِي. فَخُذْهَا مُنْفَرِّجَ كَالصَّفْحَةِ الْأُولَى
 لِدِيَوَانِ رُخَامٍ. كُلَّمَا مَدَّتْ يَدَيْهَا، صِرْتُ لَيْلًا مُزْهَرًا بَيْنَ
 هِلَالَيْنِ وَعَاجٍ. كُلَّمَا فِي إِضْبَعَيْنِهَا لَامَسَتْ لِي جَسَدِي،
 أَذْرَكْتُ كَمْ قَدْ لَامَسْتُ بِالْإِضْبَعَيْنِ الشَّمْعَ، وَاللُّوزَ الْمُوسَى،
 وَرُؤُوسَ الْوَرْدِ.

قَالَتْ :

«مُدَّ لِي أُزْجُوحَةٌ دَوَّارَةٌ فِي السَّهْلِ»
فَرَبْتُ ذِرَاعِي، اسْتَنْدَت كَالزَّبِيدِ الْوَاهِي عَلَيْهَا. وَبَدَأْنَا دَوْرَانَا
شَارَكْتَنَا امْرَأَةٌ فِيهِ عَلَى قَامَتِهَا بَحْرٌ،
وَعُشْبٌ، وَطُيُورٌ،

وَاسْمُهَا الْأَرْضُ،
وَمَا زَالَتْ تَدُورُ.

عِنْدَمَا أَشْعَلَتِ الرَّغْبَةَ فِيْنَا الشَّبَقَ
ازْدَدْنَا تَعَازِينَ وَسِحْرًا. إِنِّي أَسْحَرُهَا.

تَسْحَرُنِي. أَجْعَلُ مِنْهَا ذِئْبَةً، أَفْعَى،
يَمَامًا، جَرَسًا. تَجْعَلُ مِنِّي نَمْرًا، صَقْرًا، حِصَانًا. لَسْتُ أَدْرِي
مَا الَّذِي يَحْدُثُ بِي! مَا عُدْتُ مِنْ حَفِّ نَحَاسِ بَابِلِي، وَدَمًا
أَخْضَرَ، أَضْبَحْتُ بُرُوقًا، وَأَعَاصِيرَ، وَنَبْعًا. أَضْبَحْتُ
عُضْنَ يَمَامٍ، وَدَعَا، سَيْفًا، غَزَالًا إِنَّنَا الصُّورَةُ



Ghs046.F

لا الأضل. ولما خلتها ملكي اختفت. لما أحاطت بي
تحوّلت ضباباً. كنت حراً، حرة كانت. وكنا: كاهناً
أفتح أجراسي لها، عرافة جمرية تفتح لي قامتها
حتى أرى أسرار لذاتي فيها.

أنا نبع، وهي في الأرض جراري.
كلما جاءت تدفقت لكي أملاًها. يثمر مائي، عندما
تحملها الأيام كي تشرب منها. هي حضان فارغ
أملاه طفلاً. وإني غيمها وهي ثرابي. ليس لي
عضو ولكن مطر، ليس لها فرج ولكن حضان أم.
وكلانا ذاب في الآخر حتى لم يعد يُعرف أي
منهما أنثى وأي ذكر. واتحدا بالكون حتى أصبحا الكون
أنواعاً تراءت صوراً عند نيام.

يبلغ النشوة فينا كل شيء:
المجرات، مدارات البعيد، المطر، الصخر،
أسماك المحيطات، فصول الأرض،
قطعان البراري.

عِنْدَمَا آهَتْ سَمِعْتُ الْإَيْلَ الْمَائِيَّ .
لَمَّا هَبَّ صَوْتِي سَمِعْتَ وَعْلاً . وَلَمَّا ارْتَعَشْتَ مَاجَتْ بِحَارًا ،
وَتَهَادَى شَجَرٌ . لَمَّا تَفَجَّرَتْ الْيَنَابِيعُ اسْتَعَادَتْ دَفْقَهَا ، اَزْدَادَ
رَمِيَّ الْبَرْقِ . ثُمَّ اسْتَعْرَقَتْ بِالنُّومِ عَيْنُ الْكَوْنِ لَمَّا نَحْنُ نِمْنَا .
لَيْسَ بُغْدًا ذَلِكَ الْبُغْدُ الَّذِي يُرْجِعُنَا .
لَمَّا انْتَهَتْ لَدُنُنَا عُدْنَا إِلَيْهَا ، وَكَأَنَّا الْآنَ نَحْيَا اللَّذَّةَ
الْأُولَى . رُجُوعِي لَيْسَ تَكَرُّرًا وَلَا شَوْقًا لِشَيْءٍ كُنْتُ قَدْ
فَارَقْتُهُ . لَمْ نَخْسِرِ الْبَدْءَ فَمَا زِلْنَا بِهِ . لَا يَسْتَطِيعُ
الْمَوْتُ قَتْلَ الشَّوْقِ لِلشَّهْوَةِ فِينَا . يَدْخُلُ الْمَوْتُ إِلَى
الْكَائِنِ كَاللِّصِّ لِكَيْ
يَسْرِقَ وَقْتَهُ .

أَغْلِبُ الْمَوْتَ الَّذِي يَأْتِي ، بِمَنْ
حَبَّأْتُهُ فِيكَ . فَمَنْ يَبْقَى أَحْيَرًا؟ أَنَا أَمْ مَوْتِي الَّذِي
لَا هَمَّ عِنْدِي غَيْرُ أَنْ
أَصْبِحَ مَوْتَهُ .

طَاهِرٌ مِنْ غَيْرَتِي . لَا عَذْرَ يَجْرِي
 فِي دَمِي أَوْ حَسَدٌ . كُنْتُ نَقِيًّا ، لَا خَطَايَا بِي وَلَا
 بِي دَنَسٌ . مُغْتَسِلٌ مِنْ أَيِّ عَارٍ أَوْ غَوَى . أَجْمَلُ
 مَا بِي أَنِّي صَافٍ مِنَ اللَّعْنَةِ وَالْعَيْبِ . تَطَيَّبْتُ
 بِأَنِّي لَمْ أَخُنْ ، لَمْ أَزْنِ ، لَمْ أَكْذِبْ ، وَلَمْ أَعْرِفْ
 مُجُونًا أَوْ أَصَبَ فِي صَلْفٍ . لَسْتُ بِخِيَلًا أَوْ جَبَانًا .
 كُلَّمَا دَاخَلَنِي الْعَتَمُ اسْتَحَمْتُ قَامَتِي بِالنُّورِ . إِنِّي رَجُلٌ
 قَدَّمْتُ لِلْمَرَأَةِ مَا قَدْ خَبَّأْتُ فِي دَاخِلِي . قَدَّمْتُ
 صُنْدُوقَ عَطَايَاهَا إِلَيْهَا . عَزِيهَا مَا كَانَ أَبْهَى وَهَجًا
 مِنْ طَهْرِهَا الْمُمَطَّرِ فِي الْقَلْبِ بَيَاضًا . لَمْ تَكُنْ عَذْرَاءَ فِيهَا
 امْرَأَةٌ ، كَانَتْ حَيَاءً .

كَيْفَ لِلْعَاشِقِ أَلَّا يَعْشَقَ الطُّيْبِينَ :
 طِيْبَ الْمَاءِ ، مَاءِ الطُّيْبِ . يَأْتِي جَسَدَ الْعَاشِقِ مِنْ
 مَاءٍ وَطِيْبٍ . لَا مِنَ الْيَاقُوتِ أَوْ صَفْوِ الْمَرَايَا .
 هَكَذَا جِئْنَا نَقِيَيْنِ قَوَامًا ،
 وَاشْتِيَاقًا .

قَالَ لِي وَهُوَ كَمَنْ أَصْبَحَ نَائِباً
«كَمْ

جِرَاحِي؟

سَبْعَةٌ. مِنْ أَحَدٍ تَبْدَأُ حَتَّى
جُرْحَ سَبْتٍ. لَيْسَ فِي وَقْتِي أَيَّامُ أَسَابِيعَ وَلَكِنْ
فِيهِ جُرْحٌ، بَعْدَهُ جُرْحٌ، فَعُدِّي لِي جِرَاحِي،

إِنَّهَا

عِنْدَكَ سَبْعَةٌ.

كُلُّ جُرْحٍ،
هُوَ يَوْمٌ.

أَنْتِ لَا تُحِينَ أَيَّامَ سِنِينِ

بَلْ

جِرَاحاً.

كَمْ أَصَلِّي أَنْ يُطِيلَ اللَّهُ فِي عَمْرِكَ كَيْ تَزْدَادَ
فِي حُبِّي جِرَاحَاتِي الَّتِي أَوْزَأُ رُزْنَامَتِكَ الْحَمْرَاءَ مِنْهَا.

كُلَّمَا يَنْتَصِفُ اللَّيْلُ أَقْلِبِي جُزْحًا
لِتُخَيِّبِي آخِرًا، لَيْسَ مَعِي، بَلْ مَعَ مَنْ تَهْوِينِ مِنْ
كُلِّ رِجَالِ الْأَرْضِ. إِنِّي جِئْتُ حَتَّى تَسْعِدِي أَنْتِ.
وَلَا هَمَّ إِذَا كُنْتُ أَنَا مَحْبُوبِكَ الْعَالِي، أَوْ كُنْتُ
إِذَا أَحْبَبْتَ غَيْرِي

وَزِدَّةً بَيْنَكُمَا،

أَوْ مَحْسَبِي عِشْقِي،

وَشَمْعَهُ

لَوْ جِرَاجِي زَمَنْ لَيْسَ لَهُ
جُرْحٌ أَخِيرٌ. زَمَنْ يَبْقَى بِهِيَّ الْوَقْتِ حَتَّى لَا
تَشِيخِي، كُلَّمَا يَسْقُطُ مِنْ عُمْرِكَ

جُرْحٌ

لِي أَنَا،

تَسْقُطُ مِنْ عَيْنِي

دَمْعَهُ .»

أَفْتَحُ النَّسْمَةَ صُنْدُوقًا بِبَيْتِ السَّهْلِ
كَيْ آتِي بِمِنْدِيلِكَ مِنْهَا. كُلَّمَا مَاجَ بِنَهْدَيْكَ تَثْنُ
أَنْتَقِي مِنْ سُوقِ بَحْرِ لَهْمَا مِنْهَدَةً مِنْ زَبَدٍ. لَا
نُزْهَةً قُمْتِ بِهَا إِلَّا وَحَاكْتَ ظِلَّهَا الْأَشْجَارُ شَمْسِيَّةً
خَوْخٍ. لَيْسَ خُفَّاكَ سِوَى مُخْمَلِ عُودِي صَنْدَلٍ أَوْ
فَرْوِ غَيْمٍ. كُلُّ بُسْتَانٍ خِرَانَاتٍ، إِذَا زَهَرَ قُلْنَا:
عَلَّقْتَ قُمْصَانَهَا فِيهَا. وَمِنْ كَثْرَةِ مَا تِيَّمَهُ شِفُ
مَنَامَاتِكَ أَوْ هَلْهَلُّهَا، صَارَ هَوَاءُ الْفَجْرِ بِيَّاعِ ضَبَابٍ.
تَرْتَدِينِ الْخَالَ، وَالرَّفْرَفَ، وَالْأَوْشَحَةَ الزَّرْقَاءَ، يَغْدُو مَاؤُهَا
الْمَعْصُورُ بَعْدَ الْعَسَلِ طَيْبًا فِي زُجَاجَاتِ نِسَاءِ الْأَرْضِ.
لَا تُنْسَجُ مِنْ نَوْلِ سَرَاوِيلِكَ بَلْ مِنْ شَفَةِ الْعَاشِقِ.
يَا مَشَقَّ رُخَامِ النَّارِ، كَمْ مِنْ مَرَّةٍ صَارَ عَلَيْكَ
الْحُبْرُ، وَالسَّاتَانُ، وَالذُّنْتِيلُ، وَالتَّفْتَا، رَمَادِيًّا؟! وَهَلْ
رُذْنَاكِ إِلَّا كَيْمُ غَيْمٍ مُمَطَّرٍ قَدْ خَرَجْتَ مِنْهُ ذِرَاعُ
السُّمُسِ؟! مَاخُودٌ بِمَنْ صَمَمَ أَزْيَاءُكَ لَكِنْ، أَنْتِ أَبْهَى
قَامَةً فِي الْعُرْيِ. تَعْرَى لَوْزَةَ الْحَقْلِ، فَيَبْدُو كُلُّ غُضَنِ

مِثْلَ عُكَازِ لَهَا، حَتَّى إِذَا مَا مِنْ جَدِيدٍ لِبِسْتِ
أَزْهَارَهَا الْبَيْضَ، بَدَتْ مِثْلِكَ لَمَّا تَتَعَرَّيْنَ مَسَاءَ بَيْنَ
تَفَاحِ الْقَنَادِيلِ بِبُسْتَانِ السَّوَاقِي

أَفْتَنُ الْقُمْصَانِ عِنْدَ امْرَأَتِي، مَا
تَرْتِدِي مِنْ قُطْفِ الْحُزَنِ الْمَوْشَى، فِي غِيَابِي. شَوْقُهَا
مِنْ دِيلِهَا الْمُزْحَى عَلَيْهَا. دَمَعُهَا لَمْ تَشِخْ عَيْنُ بِهِ
إِلَّا إِذَا كَانَ طَوِيلًا مَا ازْتَدَتْ فِي الْبُعْدِ نَسِيَانًا
وَلَا إِغْفَاءَةً أَوْ رَجُلًا. كَانَتْ إِذَا مَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ
يُعْطِي وَجْهَهَا إِكْلِيلُ شَجْوٍ، ثُمَّ تَمْضِي لَيْلَهَا سَهْرَانَةً
مَعَ نِسْوَةٍ مِنْ ذِكْرِيَاتِ. لَمْ تَكُنْ إِلَّا هَدِيلاً يَكْتَسِي
طَيْفَ يَمَامٍ. وَذِرَاعَاهَا نِدَاءً إِذَا مَدَّتْهُمَا صَارَا صَدَى.
كَمْ غَالَبَتْ فِي الْبُعْدِ أَنْ تَعْدُو خَيْالًا، خَوْفَ أَلَّا
تَكْتَسِي قَامَتَهَا إِنْ عُدْتُ أَوْ، أَلَّا أَرَاهَا. حَاوَلْتُ أَنْ
تَسْتَعِيدَ النِّسْوَةَ اللَّائِي قَدِيمًا كُنْهَا، أَنْ تَخْلُقَ اللَّائِي
سِيُضِحْنَ غَدًا مِيلَادَهَا، كَيْ أَلْتَقِي فِيهَا بِإِحْدَاهُنَّ إِنْ مَاتَتْ
حَيْنًا.

عِنْدَمَا وَدَّعْتَنِي، حَوَّلْتَنِي الْمُمْرَدَ مَا
بَيْنَ رِجَالِ الْأَرْضِ، كَيْ لَا تُخْطِئِي إِنْ أَنْتِ شَاهَدْتِ
شَبِيهَا لِي. فَقَدْ يُغْرِي السَّرَابُ الْخَيْلَ فِي
حَرِّ الصَّحَارَى.

غَيْرَ أَنَّ الْخَيْلَ إِنْ خَانَتْ تُنَادِي
مَوْتَهَا. فَالْمُبْجِرُونَ الْمُهْتَدُونَ الْمِجْدَافِ بِالنَّجْمِ إِذَا غَامَ
عَلَيْهِمْ لَيْلُهُمْ،
نَادُوا النَّهَارَ.

كُنْتُ فِي الْبُعْدِ إِذَا طَافَتْ نِسَاءُ
الْأَرْضِ بِالنَّهْدَيْنِ حَوْلِي، وَبِخَضِرِ شَبَقِي، وَبِأَفْحَاذِ عَلَيْهَا عَلَّقْتُ
تُفَاحَةَ سَوْدَاءَ لَا تَقْطُرُ إِلَّا سُكَّرًا، تَخْتَارُ رُوحِي طَيْفَهَا. مَا كُنْتُ
مُحْتَاجًا لِدَيْنٍ أَوْ قُضَاةٍ كَيْ أَرَى أَنِّي وَفِيَّ وَمَلَائِكُ.
أَبْعِدُوا مَوْعِظَةَ الْكُهَّانِ، وَالْقَانُونَ، عَنَّا. إِنَّنَا أَنْقَى مِنَ
الْفِرْدَوْسِ أَوْ شَيْخِ مَسَاءٍ.

كَانَ يَأْتِي قَمَرٌ يَخْرُسُهَا . سِتُّ
 عُيُومٍ أَطْفَأَتْ أَعْيُنَهُنَّ الرِّيحُ يَغْسِلُنَّ لَهَا أَرْدَافَهَا بِالْخَزْ
 وَالنَّيَّاتِ . كَانَ الْكَوْكَبُ الْبَحْرِيُّ يَسْقِي بَيْنَ فَخْذَيْهَا مَسَاءَ
 الْعِشْقِ حَيْثُ الشَّمْسُ لَا يَظْهَرُ مِنْهَا غَيْرُ قَوْسٍ
 تُشْبِهُ الْحَاجِبَ فِي وَجْهِ نِسَاءِ الْبَدْوِ . لَمَّا عَادَ مِنْ
 حَلَمَتِهَا تَمُورٌ أَوْصَى شَهْرَ أَيْلُولٍ عَلَى عَامِ رَبِيبٍ .
 أَرْسَلَ الْعَرَافُ تِسْعِينَ شِتَاءَ كَيْ يَجِيئُوهَا بِمَنْ مَدُّ
 ذِرَاعِيهِ أَعَاصِيرُ وَبَرْقٌ . عَاقِرٌ إِلَّا إِذَا ضَاجَعَهَا مَنْ
 مِلْحُهُ قَمْحٌ وَزَيْتُونٌ وَوَرْدٌ وَحَمَامٌ . لَمْ تَجِءْ فِي
 صُورَةَ الْأَفْعَى . وَلَا غَطَّتْ عَلَى أَكْتَافِهَا الْبَيْضُ الْخَطَايَا .
 وَجْهَهَا نَصٌّ مَلَائِكُ غَامِضٌ . مَا بَيْنَ ذِي الْإِكْلِيلِ
 وَالسُّرَّةِ صَخْنُ الْأَسِ ، أَبْهَى لَيْلَةَ لِلشَّمْعِ ، أَوْ صَوْمَعَةَ
 فِي الْكَزْمِ لِلرُّهْبَانِ . يَا

قَدَيْسَةَ أَرْفَعُ فِي الصُّبْحِ ذِرَاعِيَّ
 إِلَيْهَا ، وَأَنَا أَجْشُو أَمَامَ الْعُرِي فِيهَا ، إِفْتَحِي لِي
 مَاءَ الْسَّرِيِّ كَيْ يَدْخَلَ مِلْحِي .

لَا نَبَاتُ الْأَرْضِ، وَالْأَطْيَارُ، وَالشُّورُ،
وَلَا الزُّزُقَةُ، وَالْأَمْوَاجُ، وَاللَّيْلُ الْمُوشَى بِقَنَادِيلِ
عَقِينِي، سَحَرْتَنِي مِثْلَمَا قَدْ سَحَرْتَنِي امْرَأَتِي. لَمْ
أَضَاجِعْهَا لَأُمِّ، بَلْ لِنَارِ، كُلَّمَا ازْدَادَتْ لَهَيْباً فِي دَمِي
ازْدَدْتُ اشْتِيَاقاً لِرِمَادِي. آه مِنْ عُرِّي نِسَاءِ الْأَرْضِ، لَيْتَ
الشَّرْقَ يَا عُرِّي فَمِي، وَالصُّبْحَ فِيهِ
نَهْدُهُنَّ

آه كَمْ عُمْرِي قَلِيلٌ،
وَكَثِيرٌ
عُرْيُهُنَّ

أَنَا لَمْ تَضَنَّعَ يَدِي لِي جَسَدِي، كَيْ
يَقْطَعُوهَا! هَكَذَا أُعْطِيتَ لِي يَا جَسَدِي مُمْتَلِئاً
بِالْعِشْقِ. إِنِّي لَا أَرُوْنِي فِي غَيْرِ الشَّجَرِ الْهَارِبِ مِنْ
دِفْلَى الْمَرَارَةِ.

فَلِمَآذَا أَطْلَقَ الْقَاضِي عَلَيَّ الْفَأْسَ،
وَالدِّينُ عَلَيَّ النَّارَ، لَمَّا شَجَرِي لَمْ يَزْتَكِبْ
إِلَّا اخْضِرَارَهُ؟

هَكَذَا جِئْتُ، وَلَوْلَا شَبَقِي، كُنْتُ
يَبَاسًا أَوْ بَقَايَا حَجَرٍ. كُنْتُ وَعَاءَ لِرَمَادٍ، وَنَوَاقِيسَ
جَنَازَاتٍ، وَقَبْرًا فِيهِ أَنْفَاسٌ، وَيَمَشِي. سَحَرْتَنِي امْرَأَتِي، هَذَا
الَّذِي أَنْقَذَ دِينِي. غَيْرَ أَنِّي عِنْدَمَا شَاهَدْتُ فِيهَا
الْأُمَّ كَوْنَتْ دِيَانَتِي الَّتِي تَعْبُدُهَا، مِنْ بَعْدِ أَنْ كَوْنَتْ
طَقَسَ الْعُرِّي كَيْ أَعْبُدَ نَفْسِي.

فَلَقِي، وَالْحَبْسُ فِي ذَاكِرَتِي، وَالْجَرَسُ
الصَّادِحُ فِي وَدْيَانِ حُلْمِي، جَعَلْتَنِي أَعْبُدُ الْأُمَّ الَّتِي
فِي امْرَأَتِي. أَطْلَقْتَنِي أَخْضِرًا، أَبْيَضَ، حُرًّا، لِي جَنَاحَانِ
إِلَى الْكُحْلِيِّ وَالسَّرِّ، أَهْرُ الْوَقْتِ كَيْ تَسْقُطَ فِي
كَفِّي الْأَسَابِيعُ، وَأَزْوِي عَطَشِي مِنْ كَوَكِبِ عَلَقَهُ لِي
الْوَقْتُ إِبْرِيْقَ نِسَاءٍ فِي طَرِيقِي.

قَالَ لِي وَهُوَ كَمَنْ أَضْبَحَ نَائياً:
مَا الصُّبَا؟! لَيْسَ لَهُ عِشْرُونَ
نَيْسَاناً، كَمَا قَالُوا. وَلَا مِنْ مَزْمَرٍ جَاءَ، وَيَأْقُوتُ،
وَبَرْقِ. لَمْ يَجِءْ إِلَّا مِنَ الْأَعْمَاقِ. وَالْأَعْمَاقُ
فِي الْبَحْرِ هُدُوءٌ، لَا مَجَازِيفُ وَلَا أَعْرَاسُ مَوْجِ.
عِنْدَمَا شَاهَدْتُهَا، كُنْتُ كَمَنْ
شَاهَدَ دِيواناً مِنَ الشُّعْرِ الْمُرُويِ
بِالرُّويِ، لَكِنْ عَلَى أْبَيْضٍ مُمْتَدِّ تَجَاعَيْدِ سَطُورِ

إِنِّي أَحْفَظُ عُمُقَ
الشُّعْرِ، لَا سَطْحَ
الْوَرَقِ.

لَيْسَ يَزُوي ظَمّاً
الْبَحَّارِ فِي أَسْفَارِهِ
إِلَّا
الْعَرَقِ.

قَالَ لِي وَهُوَ كَمَنْ أَصْبَحَ نَائِبًا:
 لَمْ تَكُنْ مَشْقًا، وَلَا نَحْتِ رُخَامِ.
 لَمْ تُثِرْ قَامَتُهَا الْفِثْيَانَ، أَوْ مَنْ أَصْبَحَتْ خَمْسُونُهُ تَرْضَى
 بِمَا لَمْ يَرْضَهُ مِنْ قَبْلُ. كَانَتْ مَنْظَرًا مِنْ آخِرِ الصَّيْفِ
 الَّذِي وَلَّى. لَهَا نَهْدَانِ مِنْ أَيْلُولٍ. خَضِرٌ مِنْ غُرُوبِ
 فِيهِ غَيْمٌ. وَعَلَى حَوْرِ ذِرَاعَيْهَا حَزَائِي الطَّيْرِ. لَمَّا وَدَعْتَهَا
 لَيْلَةُ الْأَعْرَاسِ أَعْطَتْ عُنُقَهَا طَيِّبَاتٍ مِنْدِيلٍ. وَمَا أَخْطَأَ
 مَنْ حَاكَ اللَّيَالِي عِنْدَمَا مَرَّ بِخَيْطِ أَبْيَضٍ فِي شَعْرِهَا.
 مَا عَادَ فِي ظَفْرِ يَدَيْهَا سِنَّ سَيْفِ أَحْمَرَ، بَلْ مَدُّ
 مِنْقَارِ يَمَامٍ. لَمْ أَعُدْ أَمْضِي إِلَى النَّهْرِ لِكُنِّي أَلْمَحَ
 كَيْفَ الْوَرَقِ السَّاقِطِ قَدْ صَارَ عُيُونًا تَنْسُجُ الرِّيحُ
 حَوَالَيْهَا تَجَاعِيئًا مِيَاهِ، أَصْبَحَتْ تَلْكَ التَّجَاعِيئُ أَرَاهَا
 تَحْتَ عَيْنَيْهَا. وَلَمْ يَبْقَ مَدَى قَامَتِهَا أَوْتَارَ عُودِ
 شَدَّهَا الْعَوَادُ كَنِي يَغْرِفُ، صَارَتْ ذَاتَ جِسْمٍ لَيْنٍ
 مِثْلَ أَرَاجِيحِ الْقُرَى، تَذْهَبُ بِالْمُبْحَرِ فِيهَا إِنَّمَا
 لَيْسَ بَعِيدًا.

لَيْسَ لِلْأَشْيَاءِ عُزِّي . دَائِمًا لِلشَّيْءِ
سِتْرٌ مَا ، عُمُوضٌ مَا . خُصُوصًا عِنْدَمَا يَغْرَى . وَإِنِّي كُلَّمَا
أَنْظَرْتُ لِلْعُزِّيِ أَلَقِيهِ مِيَاهًا تَزْتَدِيهِ مِلْحًا وَلَكِنْ لَا أَرَاهُ .
فَإِذَا أَلْقَيْتُهُ عَنْهَا أَصْبَحَتْ عُزِّي غُيُومٌ تَزْتَدِيهِ ثُوبًا
مِنَ الْأَمْطَارِ لَكِنْ لَا أَرَاهُ . فَإِذَا أَلْقَيْتُهُ عَنْهَا أَصْبَحَتْ
عُزِّي رَبِيعٍ يَزْتَدِيهِ عِطْرًا وَلَكِنْ لَا أَرَاهُ .

أَجْمَلُ

الْإِنْسَانَ عُزِّي يَزْتَدِيهِ عِشْقًا طَوِيلًا دَافِئًا ، حَتَّى وَلَوْ
كَانَ عَجُوزًا ، صَارَ يَمْشِي خَلْفَ مَوْتِي جِسْمِهِ الْمَاضِي ، وَيَبْكِي .
كُنْتُ إِذَا عَانَقْتُهَا أَشْعُرُ أَنِّي سَوْفَ أَبْكِي .
دَائِمًا يَأْتِي غِيَابَ مَا لِكَيْ يَأْخُذَهَا مِنِّي . أَكَانَتْ جَسَدًا
مِثْلَ الضُّحَى أَمْ جَسَدًا كُلُّ الَّذِي بَاقٍ بِهِ غَيْمٌ عَلَى
قَبْرِ غُرُوبٍ . لَيْسَ مَا يَجْعَلُنِي الْعَاشِقَ جِسْمًا . إِنَّهُ عِشْقِي .
أَغْمُرِيْنِي يَا غُيُومَ الْجِسْمِ ، أَوْ يَا صَيْفَهُ . أَجْمَلُ جِسْمٍ مَن
تَرَى الصَّيْفَ بِهِ وَهُوَ شِتَاءٌ دَامِعٌ . أَجْمَلُ جِسْمٍ ضَمَّنِي مَنْ كَانَ
سَيْفًا ضِدَّ مَوْتِي .

مَطَرٌ يَفْطُرُ مِنِّي . سَوَسَنْ يَصْعَدُ مِنْهَا .
يَلْتَقِي أَعْمَقُ مَا فِيَّ بِأَبْهَى مَا بِهَا . لَا مَوْقِدٌ يَعْرِفُ
مَعْنَى الدَّفءِ إِنْ جَاءَ الْمَسَا إِلَّا الَّذِي تَلْقَى بِهِ مِنْ
عَامِهِ الْمَاضِي رَمَاداً كُلُّ بَحَارٍ عَتِيْقٍ ، لَا يُجِبُّ الْمَوْجَ
مَنْحُوتاً كَنُومٍ ، بَلْ عَمِيْقاً ، سَطْحُهُ الْمَوَاجُ آثَارٌ لِإِعْصَارِ
قَدِيمٍ . أَجْمَلُ الْأَجْسَادِ مَنْ تَعْمُرُهُ بَعْدَ تَأْوِيلِهِ الْهَوَى ، لَا
مَنْ تَرَى بَيْنَكُمْ عُدْرَ نُعَاسٍ أَوْ وَدَاعٍ . آهَ كَمْ
رَاقِبْتُ فِي التَّخْتِ ذِرَاعَيْهَا إِذَا مَا شَهْوَتَانَا انْتَهَتَا .
مَا فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي أَجْسَادِ مَنْ كُنَّ بِكَفِّهِ حُزَيْرَانَ
وَأَبَا ، عِنْدَمَا يَعْشَقُ مَنْ إِكْلِيلُهَا الصَّفْصَافُ ، وَالنَّخْتُ الَّذِي
يَغْفُو بِهِ ، مَا قَدْ تَبَّيَ الْآنَ مِنْ تَمُورٍ فِيهَا .

رَجُلٌ آخِرُ يَأْتِي دَائِماً . يَقْرَعُ بَابِي
حَامِلاً لِي خَمْرَةَ الدُّفْلَى انْتِقَاماً . دَائِماً فِي الْحُبِّ تَأْتِي امْرَأَةٌ حَامِلاً
لِامْرَأَةٍ نَاراً مِنَ الْغَيْرَةِ . لَا عِنْدَ سِوَى الدَّمْعِ . وَلَمَّا
نَلْتَقِي ، لَيْسَتْ هَدَايَانَا سِوَى أَنَّكَ تُعْطِينِي سِنِينِي ، بَعْدَمَا
صَارَتْ رَمَاداً .

وَسَدَّتْنِي نَوْمَهَا . وَسَدَّتْهَا نَوْمِي . اعْتَقَدْنَا
أَنَّ الْآنَ سَنَنْغُفُو . عِنْدَمَا جَاءَ نُعَاسِي ، حَرَكْتُ قَامَتَهَا .
لَمَّا أَتَاهَا النَّوْمُ ، أَيْقَظْتُ ذِرَاعِي .
وَرَجَعْنَا .

أَيُّ مَنْفَى هُوَ هَذَا النَّوْمُ فِينَا؟!

بَلَدَانَا

أَيْقَظَانَا .

أَنَا أَبْحَرْتُ إِلَيْهَا . وَهِيَ أَلَقَتْ نَوْمَهَا عَنْهَا
وَعَادَتْ .

فَتَشَّتْ لِي جَسَدِي ، مَا وَجَدَتْ فِيهِ سِوَاهَا .

وَأَنَا

فَتَشَّتْ

فِي قَامَتِهَا عَنِّي ، فَمَا شَاهَدْتُ غَيْرِي . كُلُّ شَيْءٍ كَانَ
فِينَا عِنْبًا مُنْتَظِرًا خَمَارَهُ . كُنَّا كَمَنْ لَمْ يَكْتَشِفْ مِنْ قَبْلُ
شَيْئًا . لَمْ يُمَارِسْ طَيْرَانًا فِي مَدَى الْآخِرِ . لَمْ يُضْبِحْ جَنَاحًا
يُشْعِرُ الْقَامَةَ بِالرَّعْشَةِ إِنْ مَرَّ عَلَى غُصْنَيْنِ لَوْزِيِّينِ أَوْ مَوْجَةٍ

خَضِرٍ . إِنَّهَا رَغَمَ التَّتَالِي الرُّحْلَةَ الأُولَى . وَلَكِنْ ؛ أَصْبَحَتْ أَعْمَقَ
مِجْدَافاً وَبَحْرًا أَصْبَحَتْ أَوْسَعَ وَقْتًا أَصْبَحَتْ أَجْمَلَ غَمْسًا
وَوُضُؤًا

نَحْنُ سِجْنٌ مِنْ خُصُورٍ ، وَذِرَاعَيْنِ
وَنَهْدٍ . وَأَنَا حِينَ تُنَادِينِي الأَعَاصِيرُ الَّتِي فِي دَاخِلِي ،
لَا أَرْفَعُ القَامَةَ بَلْ أَهْدِمُهَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحْتُ حُرًّا ،
عُدْتُ مُشْتَاقًا إِلَى جِسْمِي ، كَيْ أَهْدِمَ سِجْنِي مِنْ
جَدِيدٍ . غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ فِي عِبَادَاتِ ، لَهَا عُمُقَ عِبَادَاتِي
لِجِسْمِي .

أَه لَوْ يَبْقَى . وَلَكِنْ بِجَنَاحَيْنِ ،
وَعِشْقٍ .

هُوَ حَقِّي وَحَدَهُ . لَا شَيْءَ إِلَّا
جَسَدِي فِي الأَرْضِ
حَقِّي .

لَيْسَ لِي سَيْفٌ سِوَى عُمْرِي،
وَعُمْرِي طَوْلُهُ أَقْصَرُ مِنْ
وَمَضَّةِ بَرْقٍ.

كَمْ سَيُوفٍ رَحَلَتْ أَوْ سَوْفَ تَأْتِي؟
كُلُّهَا لَنْ تَقْتُلَ الْمَوْتَ. فَمَا شَفَرْتُهَا إِلَّا كَظِلِّ
فَوْقَ عُنُقٍ.

وَبِرْغَمِ الظِّلِّ فِيهَا، سَوْفَ تَبْقَى
تَطْحَنُ الْمَوْتَ سُيُوفِي. جَسَدِي شَمْسٌ مَجِيئِي. عَرَبِي
الْمَوْتُ. فَلَا شَوْقَ جَرَى فِي جَسَدِي
إِلَّا لِشَرْقِي.

كَانَ أَرْضًا، أَهْلُهَا أَبْوَابُهُمْ مُغْلَقَةٌ.
سَاحَتُهَا مَلَأَى دِمَاءً. لَا زِيَارَاتٍ، وَلَا أَعْرَاسَ فِيهَا. لَيْسَ
إِلَّا أَعْيُنُ حُمْرٍ، وَقَتْلَى، وَانْتِقَامَاتٍ، وَلَيْلٌ مَالِحُ الْأَشْبَاحِ،

لَا يُسْمَعُ فِيهِ غَيْرُ تَرْجَاعِ نَجِيبٍ لِنِسَاءٍ طُفْنِ حَوْلِ
القَبْرِ سُودًا، بِمَنَادِيلَ عَلَى أَطْرَافِهَا الْبَيْضِ دِمَاءٌ لِعَرِيسٍ .
سَاحِرٌ يَمْلَأُ رُوحِي بِالْحَطَايَا . وَمَلَاكُ
يَحْرُسُ الْأَرْضَ مِنَ الْمَوْتَى . قَتِيلٌ، قَاتِلٌ . فَايْنِ، وَبَاقٍ .
مَاجِنٌ، عَفٌّ . وَقِدْيَسٌ، وَزَانٍ . وَلَهُ بَابَانِ : بَابُ رَحْمٍ ،
بَابُ ضَرِيحٍ .

لَمْ يُسَلِّ السَّيْفُ ضِدَّ السَّيْفِ مَا
بَيْنَ عَدُوَيْنِ، كَمَا سَأَلْتُ بِهِ كُلُّ سُيُوفِ الْفَتْكِ
بَيْنَ الضُّدِّ وَالْآخِرِ . أَضْدَادٌ بِهَذَا الْجَسَدِ الْفُتْنَةِ .
لَمْ أَغْمِضْ جُفُونِي مَرَّةً إِلَّا وَأَصْغَيْتُ إِلَى مَذْبَحَةِ
فِيهِ، وَأَجْرَاسِ جَنَازَاتِ، وَأَصْوَاتِ لُصُوصِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
دَنَائِرُ نَهَارٍ .

مَرَّةً فِي جَسَدِي جَاعَ فَقِيرٌ . مَرَّةً
بِالْحَبَّازِ، لَمْ يَسْرِقْ سِوَى قِطْعَةِ خُبْزٍ
لَيْسَدُ الْجُوعِ فِيهَا، لَا
لَيْشَبَعُ .

وَتَضَرَّعُ .

قَالَ :

«رَبِّي ،

ثِقُلُ هَذَا الْخُبْزِ
لَا يُتَعَبُ إِضْبَعُ .

وَهُوَ ذَنْبُ الْجُوعِ ، فَأَغْفِرْ ،
لَيْسَ ذَنْبِي»

لَا حَقَّتْهُ شُرْطَةٌ عَبَرَ شَرَايِينِي . وَكَانَ
الْبَابُ مَفْتُوحًا بِقَلْبِي . دَخَلَ الْقَلْبَ ،
فَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ . حَتَّى الْآنَ لَا أَسْمَعُ دَقَاتِ
لِقَلْبِي ، بَلْ يَدُ الشُّرْطَةِ
تَقْرَعُ

بَاب قَلْبِي .

حِينَ جِئْتِ انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ هَذَا
الْجَسَدِ الْمَلَانِ حَرْبًا وَخَرَابًا، وَأَنْكِسَارَاتٍ وَبُومًا . فَطَرَدَتْ اللَّصَّ
وَالْبَائِعَ . أَلْقَيْتِ عَلَى مَنْ عَذَّبُونِي الْحُرْمَ . لَأَحْقَبَ رِيَّاحَ
الشَّرِّ، وَالرَّغْبَةَ . أَلْقَى نَفْسَهُ عَنِ بُرْجِهِ الْعَالِي
الظَّلَامِ .

كُنْتُ أَرْضًا قَبْلَ أَنْ تَأْتِي خَرَابًا،
ثُمَّ أَصْبَحْتُ وَقَدْ فَتَّحَ فِي الرِّيحِ
الْحَمَامُ

ثُمَّ صِرْتُ الْجَسَدَ الْأَكْمَلَ . صَافٍ . هَادِيءٌ
فِي جَمَالِ النَّوْمِ . لَا عَابِرَ فِي وَجْهِهِ . وَكَفَّنِي شَكْلُهَا
الْعَاطِي . وَصَوْتِي مِنْ نُبُوتٍ . وَأَضْلَاعِي عِصِي لِكَمَنْجَاتٍ عَلَيْهَا

أَلْفَ اللَّهِ رِيَّاحِ الْبَحْرِ، وَالرَّغْدَ، وَصَوْتَ الطَّيْرِ، وَالْأَمْطَارَ.
أَخِيْتُ رُخَامَ الصَّخْرِ حَتَّى صَارَ مِنْ بَعْدِي تَمَائِيلَ
الرُّخَامِ.

أَيُّهَا الْمَحْسُودُ حَتَّى مِنْ يَدِي خَالِقِهِ
يَا جَسَدِي. كَمْ حَسَدَ الرَّسَامُ فِي إِبْدَاعِهِ لَوْحَاتِهِ.
وَالنَّحْتُ مَا كَانَ سِوَى الْمَحْسُودِ مِنْ نَحَاتِهِ. مَا كَانَ
مَحْسُوداً لَدَى الشَّاعِرِ فِي دِيْوَانِهِ إِلَّا
الْكَلَامُ.

خَلَقَ اللَّهُ لِهَذَا الْجَسَدِ الْمَوْتَ لِكَيْ
يَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنَ اللَّهِ الَّذِي أَبْدَعَهُ. لَا مُبْدِعَ إِلَّا أَصَابَتْ
رُوحَهُ الْغَيْرَةُ مِنْ إِبْدَاعِهِ. كَمْ حَاوَلَ الْفَنَّانُ أَنْ يَبْقَى، فَلَمْ
يَقْدِرْ، فَأَبْقَى فَنَّهُ. لَوْ قَدِرَ الْفَنَّانُ لَمْ يُبْدِعْ. إِلَى أَيِّ
زَمَانٍ سَوْفَ يَبْقَى الْمَوْتُ فِينَا سَبَبَ الْخَلْقِ الَّذِي يَغْدُو بَدِيلاً
خَالِداً عَنَّا؟ أَمَا كُنَّا نَرَى أَبْهَى وَجُوداً، لَوْ بَقِينَا نَحْنُ

لا الصُّورَةُ عَنَّا؟ كَمْ يُثِيرُ الحُزْنَ أَنِّي رَاجِلٌ بَعْدَ كَمَالِي .
كُلُّ مَا فِي جَسَدِي لا يَسْتَحِقُّ المَوْتَ . صَفَى جَسَدِي الحُبُّ
وَخَلَاهُ نَفِيًّا ، جَوْهَرًا لا عَرَضًا . إِنِّي مِنَ الخَمْرِ الثَّمَالَاتِ اللُّطِيفَةُ

لا

الجَمَامُ .

أعْظَمُ الفَنِّ ، الَّذِي يَبْقَى ، وَيَمْضِي
بَدَدًا مُبْدِعُهُ . كَيْفَ يَظَلُّ اللهُ بَعْدَ الجَسَدِ النَّصِّ الَّذِي
أَبْدَعَهُ؟ كَيْفَ إِذَا المَاءُ هَمَى ،

يَبْقَى

العَمَامُ؟!

يَبْلُغُ الجِسْمُ كَمَالَ الرُّوحِ لَمَّا
يُضْبِحُ العَاشِقُ . لا جِسْمَ لِقَاضٍ كَامِلٌ ، أَوْ مَلِكٌ .
كُلُّ غَنِيِّ جِسْمُهُ جِسْرٌ إِلَى دِينَارِهِ . لا بَطْلٌ إِلَّا
لَهُ رَائِحَةُ القَتْلِى . وَلا أَجْسَادَ لِلرُّهْبَانِ بَلْ كَيْسُ

خَطَايَا. وَأَنَا وَحْدِي الَّذِي لَمْ يَغْرُنِي نَقْصٌ، وَلَمْ
يَمْتَصَّ أَعْضَائِي

السَّقَامُ.

مَالِكُ لَا أُمْلِكُ الشَّيْءَ أَنَا أُطْلِقُهُ.
أُطْلِقُ حَمَامَ الدَّيْرِ كَيْ يَرْجِعَ لِلدَّيْرِ.

الْحَمَامُ.

لَمْ أَعُدْ أَسْتَجِ مَاءً أَوْ نَسِيمًا.
لَيْسَ لِي جَارِحَةٌ تَخْفِقُ، أَوْ
عَيْنٌ تَنَامُ.

هَائِمٌ فِي أَبَدٍ مِنْكَ بَهِيًّا. جَسَدِي يَمْتَصُّ
مَا عَتَقَ مِنْكَ، مَثَلَمَا السَّكْرَةُ
تَمْتَصُّ
الْمُدَامُ

شَرِبْتَنِي الشَّمْسُ،
زَادَ الثُّورُ فِيهَا.
وَالذُّرَى، أَصْبَحَنَ أَعْلَى.
وَالصَّحَارَى ازْتَدَتِ المَوْجَ عِبَاءَاتِ.
وَلَمَّا نَضِحتَ بِي،
أَصْبَحْتَ خَضِرَاءَ فِي القَبْرِ
العِظَامُ

كُلُّ مَنْ يَأْتِي
فَلَنْ يَمُضِي وَيَقْنَى.
بَقِي
الأَحْيَاءُ،
وَالأَمْوَاتُ قَامُوا،
وَأَنْطَلَقْنَا.

سَابِحْ حَوْلِكَ، وَالْأَفَاقُ حَوْلِي سَابِحَاتٌ،
مِثْلَمَا يَسْبَحُ حَوْلَ الْمَاءِ فِي الصُّبْحِ
الْيَمَامُ

وَإِذَا الْأَنْجُمُ أَجْرَاسٌ. وَتَسْبِيحُ صُغُودُ
الشَّمْسِ. وَالْعَاشِقُ صَارَ السَّيِّدَ الْآتِي، وَأَنْتِ
مِنْكَ قَدْ حَلَّ عَلَى الْأَرْضِ
السَّلَامُ.

مَقَامُ الْمِحَاةِ

ضَبَابٌ

رَجُلٌ، هُوَ أَنْتَ،

دَعَانِي إِلَى حُبِّهِ.

عِنْدَمَا أَغْلَقَ الْبَابَ خَلْفِي بَعْدَ

الزِّيَارَةِ، ذَاكِرَتِي نَسِيَتْ عِنْدَهُ إِسْمَهَا؛ مُقْلَتِي

نَسِيَتْ نَوْمَهَا.

عِنْدَمَا أَغْلَقَ الْبَابَ خَلْفِي، نَسِيتُ
لَدَيْهِ أَنَا. إِنَّنِي امْرَأَةٌ نَسِيتُ حِينَ زَارْتَهُ

حَتَّى

اسْمَهَا

فَكَّرْتُ:

رُبَّمَا لَنْ أَرَاهُ غَدًا. قَدْ يُرِينِي
صُورَتَهُ النَّوْمُ فِي الْحُلْمِ حِينَ يَغِيبُ.

أَتَى اللَّيْلُ،

مَا وَجَدْتُ نَوْمَهَا.

فَتَشَّتُّ.

لَمْ تَجِدْ نَوْمَهَا.

- نَوْمَهَا عِنْدَهُ -

وَهِيَ إِنْ ضَيَّعَتْ نَوْمَهَا،

ضَيَّعَتْ

حُلْمَهَا.

بَهَجَتِي لَمْ تَدَعْ لِي هِلَالَيْنِ
حَتَّى أُحْبِيءَ بَيْنَهُمَا الْحَوْفَ مِنْ أَنْ تَكُونَ بِلاَ رَحْمَةٍ،
أَوْ جَمِيلاً إِلَيَّ حَدُّ أُنِّي لَا أُسْتَطِيعُ اخْتِمَالَ
جَمَالِكَ إِلَّا

بِمَوْتِي .

بُرْجِي الْمَرَائِبُ،

وَالْبَحْرُ بُرْجُكَ .

أَصْبَحْتُ رَاهِبَةً مِنْ بَتُولَا
لَأَنَّكَ دَيْرُ الرِّيَّاحِ؛ وَسَاقِيَةٌ مِنْ صَلَاةٍ صَدَاهَا، لِأَنَّكَ
وَادٍ عَمِيقٌ يُعْطِي غَمُوضَكَ شَفُّ ضَبَابِ العُرُوبِ .
أُحِبُّكَ .

حَتَّى لِأَشْعُرَ أَنَّكَ رَبِّي، وَأُنِّي
رُؤُوسُ العَصَافِيرِ عِنْدَ المِيَاهِ، أَعْطُ المَنَاقِيرَ
فِيهَا،

وَأَرْفَعُ

عُنُقِي إِلَيْكَ

كُلَّمَا ذُقْتُ قَطْرَةَ مَاءٍ

لَأَشْكُرَ

عَنِمَ يَدَيْكَ .

أَخْتَفِي فِيكَ كَمَا يَخْتَفِي الْمِلْحُ
فِي الْبَحْرِ؛ وَالطَّيْبُ فِي جَسَدِ الْفُلِّ . لَا أَزْتَدِي
غَيْرَ زِيِّ الْمَسَارِجِ وَهِيَ تَذُوبُ . وَلَا شَفَتَايَ تَمْرَانِ
فِي فَمِكَ الْمُثْرَفِ الرَّيْقِ إِلَّا مُرُورَ الْخُمُورِ بِعَيْنِي
«خَمِيسِ السُّكَارَى» . أُخْبِيءُ فِي جَمِيعِ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي تَدْخِرُ
تَاجَ الْمُلُوكِ عَلَى بَابِهِنَّ ، لِكَيْ تَشْتَهِنِي . وَأَسْدِلُ وَقْتاً
عَلَيَّ ، وَتَأْتِي وَتَنْزَعُهُ ، فَإِذَا مَا رَأَيْتَ خَرِيْفاً عَرَفْتَ
غِيَابَكَ عَنِّي . إِذَا مَا رَأَيْتَ رَبِيعاً عَرَفْتَ حُضُورَكَ
فِيَّ . وَأَحْلُمُ أَنَّ شَبَابِيكَ بَيْتِكَ كَأَنْتَ لِتَلْمَحَنِي فِي
مَجِيئِي إِلَيْكَ ، فَتَفْتَحَ لَا الْبَابَ لَكِنْ ذِرَاعِيكَ .
كَأَنْتَ لِتَلْمَحَنِي فِي رَجِيلِي ، فَتُمْطِرُ تُمْطِرَ دَاخِلَ عَيْنِيكَ
حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ .

مِثْلَمَا الطَّيْرُ تَأْتِي عَشِيًّا إِلَى
كُوْحِهَا فِي قُرَى السُّنْدِيَّانِ، أَتَيْتُ إِلَيْكَ. يَدٌ شَاهَدَتْ
جَمْرَاتٍ، وَكَانَ يُطَارِدُهَا الثَّلْجُ، فَاخْتَبَأَتْ كَالْفَقِيرَةِ فِي
أَرْجَوَانِ الشِّتَاءِ. طَرَدْتُ الْأَصَابِعَ مِنْ بَيْتِ خَضْرِي وَرَبَّبْتُهُ
بِالرُّخَامِ، وَأَشَعَلْتُ فِيهِ مَزَامِيرَ رَقِصٍ، لِتَسْكُنَ خَضْرِي.

أَخِيرًا

أَنَا السُّنْبُلَاتُ

رَأَيْتُ حَصَادِي.

أَخِيرًا

لِأَنَّ حَيَاتِي سَتُضْبِحُ تِلْكَ الْقِيَامَةَ
مِنْ مَوْتِ صُبْحَيْنِ فِيَّ وَجَدُولِ كُحْلٍ، بَدَأْتُ أَرْيَنُ
عُرْيِي، وَأَفْرِشُ فِيَّ نُحُولِي، وَأَفْتَحُ مِرَاةَ نَوْمِي حَتَّى
أُشَاهِدَ طَيْفَكَ فِيهَا، وَأَرْمِي الْعُرُوبَ عَلَى شَفْتِي لِكَيْ
يَتَنَزَّهُ صَفْصَافٌ وَجْهَكَ فِي قُبْلَاتِي. وَرُحْتُ أَلْمَلِمُ دَمْعِي

قَبْلَ مَجِيءِ الْبُكَاءِ كَأَنِّي

فِي مَأْتِمِكَ.

وَأُحْفُ الدَّقَائِقَ فِيَّ حَصِي،
ثُمَّ أَضْغِي إِلَيْهَا تَرِينٌ وَتَلْمَعُ حِينِ
يُرْفَرُقُ فَوْقَ مَكَّاسِرِهَا الْبَيْضِ
نَهْرُ
دَمِكَ.

لَيْتَنِي أُسْتَطِيعُ إِعَادَةَ خَلْقِي
كَمَا أَنْتَ تَهْوَى، فَأُخَذَ كُلَّ مَسَافَاتِ
لَمْسِكَ لِي، مِنْ رُؤُوسِ أَصَابِعِكَ الْفَاتِنَاتِ
إِلَى
مِعْصَمِكَ.

أَنَحْتُ الْوَجْهَ مِنْ غَامِضِ
وَمُشِيعٍ. وَأَدْخُلُ حُلْمَكَ حَتَّى إِذَا صِغْتَنِي
امْرَأَةً مِثْلَمَا تَشْتَهِيهَا، خَرَجْتُ إِلَى عَيْنِ ضَمِّ ذِرَاعِكَ
مِنْ حُلْمِكَ.

أَخْرُجُ الْآنَ مِنْ مُنْتَهَى
نَخْتِكَ الْحَجَرَ الْخَفِقَ، أَوْ تُحْفَةَ الشُّعْرِ مِنْ
مُرْتَوَى
قَلْمِكَ .

لَا أَرَى فِي خِيَانَاتِكَ
السُّودَ، أَوْ بُعْدِكَ الْمُرَّ، أَوْ هَجْرِكَ
المَالِحِ الْوَقْتِ،
أَوْ
سَأْمِكَ .

أَزْفَعُ الْيَاسْمِينَ فِي جَسَدِي
كَيْ يَهْلَ عَلَيْهَا التَّفْتُحُ أَبْيَضَ
أَبْيَضَ،

مِنْ رَاحَتِي
دِيمِكَ .

وَأَدْوُرُّ نَهْدِي هِلَالاً لِكُنِي

يَسْتَجِمَّ

بِلَيْلٍ فَمِكَ .

لَمْ أَفَكِّرْ بِطَرْحَةِ عُرْسٍ، وَلَا خَاتَمٍ .
لَا شُمُوعَ وَلَا وَزْدَ مَرًّا بِبَالِي . وَلَمْ أَتَصَوَّرْ سَرِيرًا
وَرَقِصَةَ عُرْيٍ .

مَحَا كُلَّ شَيْءٍ جَمَالَكَ مِمَّا يَدُورُ
بِخَاطِرِ كُلِّ النِّسَاءِ . وَإِنَّ اخْتِفَالِي فِيكَ يُخَفِّفُ مِنْ وَهْجِهِ
كَاهِنُ الْعُرْسِ، وَالشَّاهِدَانِ، وَهَنْ، وَهَمَّ،

وَالْهَدَايَا .

جَمِيعُ الْأَسَاطِيرِ صَدَّقْتُهُنَّ، وَصَدَّقْتُ
مَا لَا يُصَدَّقُ مِنْ قِصَصِ الْجِنِّ، وَالسُّحْرِ، وَالْكَاهِنَاتِ
اللَّوَاتِي يُحَرِّكُنَّ فِينَا رِيَّاحَ الْوُضُولِ إِلَى حَيْثُ شِئْنَا،

لِأَنَّكَ

أَحْبَبْتَنِي .

لَمْ يَذُقْ أَحَدٌ فِيَّ مَائِي.
أَنَا نَبْعُكَ الْبَابِلِيُّ الَّذِي لَمْ يَمْجُ فَمُ رَاعٍ عَلَيْهِ،
وَلَا مَرٌّ فِيهِ نَسِيمٌ
لِسَانٍ.

نَقِيٌّ، وَصَافٍ، وَكُلُّ
الْعَصَافِيرِ تَعْرِفُ ذَلِكَ. وَالشَّجَرُ الْمَائِلُ الْغُصْنِ نَحْوِي
لَيْسَ يُلَامِسُ مَائِي مِنْهُ سِوَى وَرَقِ سَاقِطٍ
فِي
خَرِيفِ الْغِيَابِ.

كُنْتُ أَلْمَحُ فِي كُلِّ أَيْدِي
الَّذِينَ يُحِبُّونَنِي أَحْجُرًا، أَوْ
حِرَابٍ

كُنْتُ مَفْتُونَةٌ فِيكَ. سَكَّرُ رُوحِي
يَذُوبُ بِمُرِّكَ. حَتَّى يَبَاسُكَ قُرْبِي، أَحَبُّكَ فِيهِ اخْضِرَارِي.

وَمَا جَسَدِي غَيْرُ أَنْكَ إِنْ قُلْتَ: أَيْنَ خُمُورِي؟
صُبَّ.

وَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ شُمُوعِي؟
ذَابَ.

وَإِنْ غَبَّتْ،

نَامَ.

وَأَعْدُوْ أَعَانِيكَ عِنْدَ الْقَطَافِ، وَتَاجِ
مَحَابِرِ عَيْنَيْكَ عِنْدَ بَلَاطِ الدَّوَابِّ.

أَحْلُمُ حِينَ أَرَى رَاحَتَيْكَ بِأَنَّ
مَسَاءَيْنِ مَرًّا عَلَى آخِرِ الْبَحْرِ.

مَنْ

أَنْتَ؟

عَاصِفَةٌ؟ سَاحِرٌ؟ سَيْفٌ
عُنُقِي الَّذِي يَشْتَهِيهِ دَمِي؟ طَعْنَةٌ مِنْكَ خَلَّتْ لِيَالِيَّ
تَعَشُّوْ بَرْقِ رِمَاحِكَ. مَوْجَ خَضْرِي لِسَانِكَ حَتَّى اشْتَعَلْتُ
فَأَحْبَبْتُ فِي رَمَادِي لِأَنَّكَ نَارِي.

قَرَعْتَ :

اَفْتَحِي .

فَانْعَلَقْتُ عَلَيْكَ .

وَقُلْتُ :

اَغْلِقِي .

فَانْفَتَحْتُ اَمَامَكَ ، حَتَّى تَحْوَلْتُ بَاباً لِبَيْتِكَ .

تَدْخُلُ مِنْهُ النِّسَاءُ .

وَتَخْرُجُ مِنْهُ النِّسَاءُ .

وَأَرْضَى وَهَنَّ يَجِئْنَ .

وَأَرْضَى وَهَنَّ يَرْحَنَ .

وَأُصْغِي لِأَصْوَاتِهِنَّ وَأَنْتِ تُضَاجِعُهُنَّ ،

وَأَرْضَى .

وَأَنْتِ تُجَمَّرُهُنَّ ،

وَأَرْضَى .

وَأَرْضَى ،

وَأَرْضَى .

إِلَى أَيْنَ أَنْتَ تَقُودُ النِّسَاءَ
اللَّوَاتِي تَوَزَّعْنَ بِي؟ قُلْتُ:

فَلَا تَوَزَّعْ بِكُلِّ الْجَمِيلَاتِ بَيْنَ
النِّسَاءِ، لَعَلَّكَ تَخْتَارُ مَنْ أَسْتَطِيعُ التَّجَسُّدَ فِيهَا.
تَجَسَّدْتُ فِي كُلِّهِنَّ، فَعَذَّبْتَنِي فِي
جَمِيعِ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي تَلَبَّسْتُهُنَّ لِأَرْضِيكَ.

مَنْ

أَتَلَبَّسُ بَعْدُ؟

إِذَا صِرْتُ خَارِجَ كُلِّ النِّسَاءِ،
تُعِيدُ النِّسَاءَ إِلَيَّ،

وَتَبْدَأُ

تَغْذِيَهُنَّ

مِنْ جَدِيدٍ، لِأَنِّي سَاحِمِلُ

وَحْدِي

أَوْجَاعَهُنَّ

كَهْرَمَانِكَ عِقْدُ بِأَعْنَاقِهِنَّ .
وَفِي عُنُقِي
سَيْفُهُنَّ .

ذُبْتُ فِيهِنَّ حَتَّى تَمَوْجَ نَهْدِي
فِي إِذَا مَاجَ مِنْ شَفَةِ
نَهْدُهُنَّ .

لَمْ يَكُنْ أَنَا مَرَّةً .
دَائِمًا
أَنَا هُنَّ .

مِنْ ضَبَابِ أَنَا، وَمَسَاءٍ . هَدَايَايَ
مِنْكَ الْمَنَادِيْلُ . لَسْتُ تُحِبُّ سِوَى الدَّمْعِ بِي . أَجْمَلُ
اِثْنَيْنِ عِنْدَكَ : مَوْتِي
وَأَجْرَاسُهُنَّ .

مَا أَنَا غَيْرُ سُكَّرَةٍ، أَوْ غُرُوبٍ
عَلَى حَوْرَةٍ، أَوْ سُتُونُؤُ. لِمَآذَا تُمَارِسُ تَدْمِيرَ رُوحِي
بِمَا فِيكَ مِنْ قَبْضَاتِ الْبُرُوقِ، وَفَتْكِ الْأَعَاصِيرِ؟
يَا سَيِّدِي،

كَأَن يَكْفِي لِقَتْلِي سَهْمُ نَسِيمِ.
سَوَادُ بُعَيْدِ الْمَسَا. خَيْطُ دِفْلَى يُلْفُ عَلَى سُكَّرِ الْعُنُقِ،
كَالْعَنْكَبُوتِ

إِذْ يُعَلَّقُ فِي خَيْطِهِ الْمُخْمَلِيَّ
جَنَاحَ الْفَرَّاشَةِ
حَتَّى تَمُوتَ.

رُبَّمَا مَرَّ فِي خَاطِرِي قَتْلُ كُلِّ النِّسَاءِ.
لِمَآذَا هُنَاكَ نِسَاءٌ عَلَى الْأَرْضِ غَيْرِي؟! لِمَآذَا الرِّجَالُ
الَّذِينَ أَتَوْا كُنْتَ مِنْهُمْ؟! أَمَا كَانَ أَرْفَقَ لَوْ جِئْتَ
نَهْرًا؟

دَوَاةٌ؟

حُزَيْرَانَ قَمَحٍ؟

أَمَا كَانَ أَفْضَلَ لَوْ لَمْ تَجِيءِ

رَجُلًا؟

أَيُّهَا الْعَاصِيفُ الْمُسْتَبِدُّ الْمُتَوَجِّعُ بِالْبَرْقِ مِثْلَ مُلُوكِ

الْحَصَادِ،

أُحِبُّكَ .

ظَلَّ كَمَا أَنْتَ . قَدْ لَا أُحِبُّكَ لَوْ
كُنْتَ غَيْرَ الَّذِي أَنْتَ . أَجْمَلُ مَا فِيكَ أَنْتَ غَضَّتْ
عَمِيقًا بِرُوحِي حَتَّى اكْتَشَفْتَ الَّذِي لَمْ يَغْضُ رَجُلٌ فِيهِ
بَعْدُ بِأَعْمَاقِ كُلِّ النِّسَاءِ .

نِسَاءٌ

نِسَاءٌ

لِكَثْرَةِ حُبِّي لِهَذَا الْحُطَامِ
الَّذِي فِيَّ ، بِتُّ أَعَارُ إِذَا أَنْتَ حَطَّمْتَهُنَّ . فَأَجْمَلُ
مَا فِي الرِّجَالِ الْعَوَاصِيفُ . أَجْمَلُ مَا فِي النِّسَاءِ الْغَمَائِمُ .

فَاعْصِفْ عَمِيقًا،

وَخَلِّ بُرُوقِي تَلْمَعُ؛

وَمَائِي يَهْطِلُ.

وَإِنْ عُدْتُ لِلْبَحْرِ فَاَنْقَضْ صَفْرًا عَلَيَّ.

وَإِنْ غَضْتُ فِي الْأَرْضِ، زَلْزِلْ عَلَيَّ تُرَابِي. وَإِنْ صِرْتُ

عُشْبًا، ظِلَالًا، حُرَامِي، اقْتَلِعْنِي. وَلَكِنْ، سِرَاجِي

يُنَادِيكَ :

يَا

مَنْ يَأْغَصِرُهُ الْمَلَكِيُّ

اخْتَمَيْتُ،

لَا تَدْعُ أَيَّ شَيْءٍ

لِغَيْرِكَ مِنِّي

إِذَا مَا انْتَهَيْتُ

أَجْمَلُ الْمَوْتِ أَنِّي

بَيْنَ
رِيَّاحِ يَدَيْكَ
انطَفَيْتِ .

آه
إِنِّي أَنَادِيكَ :

يَا
مُطْفِئِي ،

لَا تَدْعُ فِيَّ
قَطْرَةَ
زَيْتِ .

لَا تَدْعُنِي أَضْوَأُ

بَعْدَكَ

فِي
أَيِّ بَيْتِ .

نَهْى قَدِيمٍ

جَلَسْتُ تُجَمِّلُ نَصْرَ قَامَتِهَا. فَأَلَقْتُ
فِي أَصَابِعِهَا نَسِيمَ الثُّومِ. أَعْطَتْ شَعْرَهَا تَسْرِيحَةَ النَّايِ.
اسْتَعَارَتْ مِنْ صَنَادِيقِ الْقُرَى لَيْلًا لِيَطْلُعَ نَهْدُهَا. أَزْخَتْ
عَلَى الْكَتِفَيْنِ مَوَالِينِ مِنْ زَبَدٍ. أَعَادَتْ خَضْرَهَا لِلصَّيْفِ.
حَفَّتْ فَخَذَهَا بِدَوَاةٍ مِزْمَارٍ. مَحَتْ مِنْ عُنُقِهَا أَيْلُولَ.



Ghsoubfo

مَدَّتْ كُحْلَهَا كَصِيَاغَةَ الْعُضْفُورِ . نَقَّحَتِ الْحَوَاجِبَ ، وَالْخُطُوطَ
 الْمُوَحِّيَاتِ بِأَنَّ لَوْنَ سِنِينِهَا قَدْ صَارَ كُحْلِيًّا . وَلَمْ
 تَتْرُكْ عَلَى جَسَدِ لَهَا فِي صَفْحَةِ الْمِرْآةِ نَثْرًا ، أَوْ
 سُكُونًا خَلَّ بِالْإِيقَاعِ ، أَوْ خَطَأً بِصَرْفِ غُرُوبِهَا .
 مَا اسْتَعْمَلَتْ مِمَّا لَدَيْهَا فِي الدَّوَاةِ
 مِنَ الْفَوَاصِلِ وَالنُّقَاطِ سِوَى سَوَالِفِ خَائِفَاتِ ، شَامَةِ ،
 قَطْرَاتِ عِطْرِ ، كُحْلَةٍ ، حَلَقِ ، سِوَارِ ، حَلْمَتَيْنِ ، وَخَاتِمِ .
 قَرَأَتْ مِرَارًا خَضْرَهَا ، فَمَهَا ، مَعَامِضَ عُرْيِهَا خَلْفَ الْقَمِيصِ .
 وَبَعْدَمَا أَنَّهُتْ قُبَيْلَ مَجِيئِهِ تَبَيُّضَ قَامَتِهَا ، أَضَاءَتْ شَمْعَةٌ .
 مَلَأَتْ بِخُورِ اللَّيْلِ مُوسِيقَى . وَأَجْلَسَتْ الْبَنْفَسَجَ قُرْبَ كُرْسِيِّ
 النَّبِيذِ ، لِكَيْ تُضَيِّفَ إِلَى قِرَاءَتِهِ فِضَاءً لِلْسَّرِيرِ .
 وَجَاءَ .

وَاکْتَشَفَ الصَّحَارَى خَلْفَ وَمَضِ الْمَاءِ ،
 وَالْبَلَحِ الْمُعَلَّقِ مِثْلَ أَجْرَاسِ الْخُصُورِ . وَبَعْدَمَا أَلْقَى صَدَى
 عُكَّازِ قَامَتِهَا

بِمَسْمَعِهَا

أَمْضَتْ بَقِيَّةَ لَيْلِهَا، مَا مَسَّهَا
فَوْقَ الْوِسَادَةِ

غَيْرُ إِصْبَعِهَا

تَأْتِي وَتَرْجِعُ تَحْتَ غَيْمِ مَسَاءٍ
مُقَلَّتِهَا

مُبَلَّلَةٌ بِأَدْمَعِهَا.

قَاعَةٌ مِنْ مَاءٍ

تَافَهُ،

وَضَعِيفٌ.

وَرَاضٍ بِكُلِّ خِيَانَاتِهَا. لَيْسَ عِنْدِي
اغْتِرَاضٌ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ. وَلَا هَمٌّ عِنْدِي سِوَى أَنْ
أَظْلَّ أَرَاهَا. وَكُلُّ الَّذِي كَذَّبْتَ فِيهِ أَصْبَحَ صِدْقاً لَدَيَّ.

وَبِتُّ أَظُنُّ بِأَنَّ الَّذِي قَدِ رَأَيْتُهُ عُيُونِي لَمَّا
دَخَلْتُ وَكَانَا مَعَا عَارِيَيْنِ تَوْهُمُ أَعْمَى.

أَلَيْفُ

كَهْرٌ.

وَرَاضٍ بِأَنِّي

طَوَيْتُ كَثُوبٍ قَدِيمٍ.

وَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَكُونَ لَهَا

خَادِمًا، أَوْ مَلَكَكَ لِأَخْرُسَ كُلِّ مَوَاعِيدِهَا مَعَ سِوَايَ.

أَفْكَرُ

كَيْفَ وَصَلْنَا إِلَى أَنْ أَكُونَ مَعَ

الْوَقْتِ مَمْحُوهَا؟! عِبْدَهَا؟! كَلَّمَا طَرَدْتَنِي وَقَفْتُ عَلَى

الْبَابِ كَالْمُتَسَوِّلِ وَقَتًا يَمُنُّ عَلَيَّ بِهِ رَجُلٌ عِنْدَهَا

فِي السَّرِيرِ. فَأَدْخُلُ حَتَّى أُرْتَبَ عُزْفَتَهَا أَوْ أَلَمَ

عَلائِلَهَا، ثُمَّ أَمْضِي سَعِيدًا كَأَنِّي الَّذِي كَانَ فِي

تَخْتِهَا

مَعَهَا!

لَمْ أَفَكِّرْ بِأَيِّ انْتِحَارٍ. فَلَيْسَ
لِمَوْتِي دَمْعٌ لَدَيْهَا وَإِنْ مَرَّ فِي خَاطِرِي قَتْلُهَا
قُلْتُ:

إِنْ هِيَ مَاتَتْ، فَكَيْفَ أَرَاهَا؟

وَقُلْتُ:

سَأَقْتُلُهَا ثُمَّ أَقْتُلُ نَفْسِي.

وَلَكِنِّي سَوْفَ أَخْسِرُ

أَيَّ اخْتِمَالٍ بِأَنْ تَتَغَيَّرَ إِنْ هِيَ مَاتَتْ؛ وَأَنْ
تَسْتَعِينَدَ ذِرَاعَايَ ضَمَّ البَهَاءَاتِ فِيهَا إِذَا أَنَا مِتُّ.

وَهَا كُلُّ يَوْمٍ أَمُوتُ

وَلَسْتُ بِمَيِّتٍ.

وَأَحْيَا،

وَلَسْتُ بِحَيٍّ.

وَقَدْ تَفْتَحُ البَابَ فِي أَيِّ وَقْتٍ. وَتَدْخُلُ

مِثْلَ المَوَاوِيلِ أَوْ

طَائِرِ البَرْدِ.

تَعْمُرُنِي وَهِيَ تَبْكِي وَتَبْكِي، كَمَرْكَبِ
بَحْرِ إِذَا عَذَّبْتُهُ الرِّيحُ أَتَى لِلْمَرَاغِيءِ كَي يَطْمِئِنُّ، فَأَعْمُرُهَا
فِي هُدُوءٍ وَصَمْتٍ . وَلَكِنَّهَا، حِينَ تَسْمَعُ وَهِيَ بِقُرْبِي صَوْتَ الرِّيحِ
أَشْمُ رَوَائِحَ لِلْمِلْحِ فِيهَا، تَفُوحُ بِبُطءٍ لِتُضِيحَ مِثْلَ
رَوَائِحِهَا فِي السَّرِيرِ وَقَدْ بَلَلْتَهَا مِيَاهُ التَّأْوِهِ، وَأَنْهَلَ
فَوْقَ مَنَاعِمِهَا السُّمْرَ
غَيْمُ العَرَقِ .

إِنَّهَا امْرَأَةٌ مَرْكَبٌ لَيْسَ يُجْرُ
فِيهِ سِوَى شَهَوَاتِ
العَرَقِ .

دَائِمًا،
كُنْتُ أَلْمَحُ فِيهَا مَرَاجِبَ أَنَا،
وَأَنَا
جَنَاحُ

إِنَّهَا
امْرَأَةٌ

لِلرِّيَّاحِ

إِنَّهَا شَهْرَزَادُ الَّتِي
تَعَشُّقُ الْمَوْتَ عِنْدَ
الصَّبَاحِ .

مَرَّةً،

لِنَقُلْ مَرَّتَيْنِ، تَعَرَّتْ وَمَاجَتْ بِقَامَتِهَا
فِي سِرِّي. كَانَتْ تُمَارِسُ شَهْوَتَهَا كَافْتِرَاسِ الذُّنَابِ لِغُرْلَانِهَا، لَا
اشْتِيَاقاً إِلَى جَسَدِي، إِنَّمَا ضَجْرٌ مِنْ سِوَاهُ. وَلَمَّا
أَتَتْهَا يَنَابِيعُهَا دَفَعْتَنِي بَعِيداً كَأَنِّي جِذْعٌ مِنَ الزُّنْزَلِخَتِ .
فَكَانَتْ سَعَادَةٌ أُنِّي دُفِعْتُ

أَحَبُّ

إِلَيَّ

مِن بُرُوقِي فِي

غَيْمٍ

خَاصِرَتِي .

مَرَّةً ،

لِنَقْلِ مَرَّتَيْنِ ، تَعَرَّتْ . وَقَدْ
كُنْتُ يَا جَسَدِي اللَّيْلَ . مَا ضَوَّأَتْ

شَمْعَهَا

فِيكَ إِلَّا لِكَيْ تَمْضِيَ الْوَقْتَ

مُنْتَظِرًا

مَعَهَا

مَنْ إِذَا لَمْ يَجِءْ أَطْفَأَتْكَ

لِتُشْعِلَ فِيكَ لَهُ

دَمْعَهَا .

لَمْ أَكُنْ عَاشِقًا عِنْدَهَا. كُنْتُ
شَيْئًا مِنَ السُّلْحَفَاءِ أَوْ الظِّلِّ.
أَعْرِفُ
ذَلِكَ.

لِكَيْتَنِي لَمْ تَكُنْ
قَبْلُ رُوحِي كَمَا الْآنَ! كَيْفَ تَحَوَّلْتُ مِنْ سِنْدِيَانِ
وَمَوْجٍ إِلَى رَجُلٍ مِنْ قُمَاشٍ
يُعَلِّقُ خَلْفَ ثِيَابِ
الَّذِينَ تَوَقَّاهُمْ اللَّهُ بَيْنَ الْمَرَايَا

وَقَدْ أَقْنَعْتَنِي بِأَنْ لَا مَلَائِكَ أَطْهَرُ
مِنْهَا، وَأَنْتِي وَخِدْيِ سَهْمِ الْجَجِيمِ، وَقَوْسِ
الْخَطَايَا

خَطَايَا

خَطَايَا

خَطَايَا

وَمُقْتَنِعُ أَنْبِي مَا ازْتَكَبْتُ
طَوَالَ حَيَاتِي فِي جِسْمِهَا الْهَفُّ إِلَّا
الْخَطَايَا

وَلَيْسَ عَلَيَّ سِوَى أَنْ أُكْفُرَ
عَمَّا ازْتَكَبْتُ، بِأَنْ لَا أَرَى مَا تَقُومُ بِهِ
ضِدَّ حُبِّي
خَطَايَا

وَأَنَّ خَطَايَايَ تُمَحَى إِذَا صِرْتُ
مَاءً. فَأَصْبَحْتُهُ. فَاسْتَحَمْتُ بِهِ كَيْ يُضَاجِعَهَا الْعَابِرُونَ.
أَنَا الْمَاءُ

أَغْسِلُهَا قَبْلَهُمْ ثُمَّ أَمْضِي. وَأَغْسِلُهَا
بَعْدَهُمْ ثُمَّ أَمْضِي. فَيُسْعِدُنِي أَنْبِي الْمَاءُ، أَلْمِسُ قَامَتَهَا
كَيْ تُثِيرَ سِوَايَا

وَأَمْضِي بَعِيداً بَعِيداً، وَأَفْرَحُ أَنِّي
انْسَكَبْتُ عَلَيْهَا، فَمَرَّتْ بِخَضِرٍ وَنَهْدَيْنِ مِنْهَا
يَدَايَا.

وَمَا كُنْتُ قَبْلُ كَمَا الْآنَ. كُنْتُ
مَمَالِكٍ فِي قَامَةٍ. دَخَلْتُ جَسَدِي تَتْرَأَ أَحْرَقُوا فِيهِ
بَغْدَادَ. لَا سَيْفَ، لَا تَاجَ، لَا حَائَةَ، لَا قَصِيدَةَ،
إِلَّا وَصَارَتْ رَمَاداً. أَنَا الْآنَ مَمْلَكَةٌ مِنْ خَرَابِ.
جِرَاحِي مَرَايَا لِيَزِينَنِي هَذَا الدُّخَانَ مِنَ النُّسُوءِ
الرَّاقِصَاتِ اخْتِفَالاً

بِعَارِي.

لَا مَجْدَ بَعْدُ بِبَغْدَادَ. تِلْكَ الْخِلَافَةُ
وَلَّتْ. وَأُورَاقُ بَغْدَادَ سُودٌ.

أَنَا.

الْآنَ

لَا شَيْءَ،

لَا شَيْءَ،

إِلَّا دُخَانٌ

شَاخٌ مُنْتَدٍ

قَدِيمِ الزَّمَانِ .

مَرَّ فِي خَاطِرِي قَتْلُهَا . مَرَّ إِحْرَاقُهَا
بِنِسَاءٍ أَضَاجِعُهُنَّ ، وَأُنشِدُ أَجْمَلَ شِعْرِي لِهِنَّ ،
وَأَعْلِنُهُنَّ الْجَمِيلَاتِ ، وَالْمُسْكِرَاتِ ، وَأَنَّ لَهُنَّ خُصُورًا إِذَا مَا
التَّوْتُ كَسَرْتَنِي ؛ وَأَفْحَاذَ بِلَلُّورِ صُبْحِ إِذَا مَا تَنَقَّلَ فِيهَا
فَمِي بَاتَ أَغْنَى فَمِ بِكُنُوزِ رُخَامِ النِّسَاءِ ، وَعَاجِ
لَذَائِدِهِنَّ .

وَحَاوَلْتُ ،

حَاوَلْتُ ،

كُنْتُ كَمَا يَحُطُّ عَلَى كَتِفِيهِ الصُّخُورَ
وَيَمْشِي . وَكَانَتْ تُرَاقِبُ فِيَّ انْتِقَامِي مِنْهَا ، وَتَضْحَكُ .

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الَّذِي
سَيَكُونُ.

عِنْدَمَا تَحْمِلُ الرُّوحُ مَا هُوَ أَوْسَعُ
مِنْهَا. وَلَا تَسْتَطِيعُ إِذَا النَّارُ هَبَّتْ عَلَى بَيْتِهَا
الْيَاسْمِينِيَّ إِطْفَاءَهَا. عِنْدَمَا يَغْرُقُ الْقَلْبُ فِي يَأْسِهِ،
وَتَضِيقُ عَنِ الدَّمْعِ فِيهَا
العُيُونُ،

لَنْ يَكُونَ لِأَزْوَاجِنَا أَيُّهَا
الْحُبُّ غَيْرُ الَّذِي
سَيَكُونُ.

وَهُوَ
إِمَّا الْمَمَاتُ، وَإِمَّا
الجُنُونُ.

مَقَامُ الدَّفْعِ

عِنْدَمَا

تَقْتُلُنِي الْوَحْدَةَ، أَرْضَى قَبْلَ أَنْ
أَبْكِي بِالتَّفْتِيشِ عَنْ

أَيِّ

امرأة.

أَخَذُ الْهَاتِفَ . مَا مِنْ أَحَدٍ فِي
الْأَرْضِ ! مَا مِنْ مُقَلَّةٍ قَدْ رَفَعَتْ أَجْفَانَهَا حَتَّى تَرَى
قَلْبِي ! وَمَا مِنْ نَسَمَةٍ رَدَّتْ عَلَيَّ هَذِي
الرُّثَّةَ .

مَا الَّذِي أَفَعَلُهُ فِي الْبَرْدِ إِنْ
لَا أَنْتِ فِي الْبَيْتِ ، وَلَا نَوْمٌ ، وَلَا قِنِينَةٌ تُطْفِئُنِي ، أَوْ
مِذْفَاءٌ .

أَتْرُكُ الْبَيْتَ إِلَى الشَّارِعِ ، وَالْمَقْهَى ،
وَبَارَاتِ نِسَاءِ اللَّيْلِ . لَا تَمْحُوكِ مِنِّي امْرَأَةً حَتَّى
لِسَاعَاتٍ لَهَا رَائِحَةُ الْفَخْذَيْنِ وَالْحَمْرِ أَدُقُّ الْبَابَ فِي
كُلِّ بُيُوتِ النَّاسِ ! لَا صَاحِبَ عِنْدِي ، لَا قَرِيبٌ .
لَيْتَ عِنْدِي إِضْبَعُ الشَّحَادِ ، أَوْ مِهْنَةَ بَوَابٍ . وَكَمْ
قُلْتُ :

لِمَاذَا لَمْ أَكُنْ سَاعِي بَرِيدٍ؟ صَانِعاً فِي الْفُرْنِ؟

زَيْلًا؟ إِذَا مَا فَتَحُوا الْأَبْوَابَ قَالُوا لِي:

صَبَّاحَ الْخَيْرِ.

قَالُوا لِي:

مَسَاءَ الْخَيْرِ.

كَمْ

أَصْبَحْتُ وَحَدِيثِي.

أَفْتَحُ الْوَحْدَةَ حَتَّى أَقْرَأَ الْعَوْدَةَ
لِلْبَيْتِ. أَرَى عِنْدَ غُبَارِ الْبَابِ وَجْهَ امْرَأَةٍ مُثْقَلَةٍ
بِالْوَقْتِ. لَا أَعْرِفُهَا. لَكِنَّهَا مِثْلُ اللَّوَاتِي أَتَمَّنَّاهُنَّ حَتَّى
أَقْتُلَ الْوَحْدَةَ مِنْ بَعْدِكَ. حَاوَلْتُ كَثِيرًا أَنْ أَرَى
فِيهَا بَهَاءً لَيْسَ فِي نَهْدَيْكَ. مَارَسْتُ نَيْبِذِي مَعَهَا
وَالجِنْسَ حَتَّى انْطَفَأَتْ. كُنْتُ غَرِيْقَ الشَّبَقِ الْمَجْنُونِ. لَا
أَذْكَرُ أَنِّي قَدْ تَذَكَّرْتُكَ.

لَكِنْ،

بَعْدَمَا جَاءَ انْطِفَائِي،

لَمْ أَعُدْ أَحْتَمِلُ الْمَرْأَةَ قُرْبِي. أَصْبَحْتُ أَجْمَلَ هَذِي

الوَاحِدَةُ السُّودَاءُ . قَدَّمْتُ اعْتِدَارِي أَنَّ أَصْحَابِي سَيَأْتُونَ سَرِيعًا ،
وَمِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَزْحَلَ كَيْ أَبْقَى لَوْحِدِي
وَمَضَتْ .

أَغْلَقْتُ بَابِي .

رَجَعِ الدَّمْعُ ، وَلَكِنْ ، شَرِسًا حَتَّى حُدُودِ
الْقَتْلِ . مَنْ أَرْسَلَ هَذِي الْمَرْأَةَ الْخَنْجَرِ إِلَّا أَنْتِ؟ ! كَمْ
مِنْ خَنْجَرٍ أَرْسَلْتِ حَتَّى الْآنَ؟ مَنْ يَغْلَمُ إِلَّا أَنْتِ؟
أَنْتِي بَعْدَ كُلِّ امْرَأَةٍ ، يَمْلَأُ قَلْبِي قَرْفٌ أَسْوَدٌ مِنْ
كُلِّ نِسَاءِ الْأَرْضِ . أَغْدُو لَكَ عَبْدًا خَاضِعًا أَكْثَرَ .
أَبْكِي مِثْلَ طِفْلِ هَاتِفًا :

لَا شَيْءَ مِنْ بَعْدِكَ

أَبْهَى مِنْكَ

إِلَّا الْمَوْتُ .

فَلَأَعَشِّفُهُ

حَتَّى الْمَوْتِ .

وَلَأَذْهَبَ عَمِيقًا فِي سَوَادِ الْحُزَنِ ،

وَالْوَحْدَةَ،
حَتَّى الْمَوْتِ.

لَا تَسْتَقِمِي أَكْثَرَ. هَذَا فَرَحُ الْعَاشِقِ:
إِمَّا أَنْتِ،
إِمَّا الْمَوْتُ.

أَمَّا مَا تَبَقَّى، فَهُوَ أَنِّي جَسَدٌ
مِنْ طَعَنَاتِ. كُلَّمَا شَهَوْتُ قَتْلِي اسْتَيْقَظْتُ فِيكَ، وَأَحْبَبْتُ
أَمَامَ الشَّمْسِ تَعْلِيْقِي
رُوحاً مُطْفَأَةً

دَقَّ بَابِي خَنْجَرٌ مِنْكَ
لَهُ شَكْلُ امْرَأَةٍ.

المجدي

كَمَا تَرَى الصَّخْرَاءَ غَيْمًا، أَوْ يَرَى الْخَائِفُ
فِي الْعَتَمَةِ قِنْدِيلًا، وَنَوْمًا نَاعِمًا،
رَأَيْتَهَا.

مَا كَانَ مُوسَى وَجْهَهُ مُنْبَهَرٌ أَكْثَرَ
مِنِّْي. لَمْ أَكُنْ مَاءَ لِكَيْ أُوقِفَ جَرِيئِي، أَوْ يَمَامًا

رَاحِلًا صَوَّبَ حُضُورِ الشُّيْحِ، كَيْ يَنْسَى جَنَاحِي سَفَرِي.

إِنِّي

خَطَايَا،

لَيْسَ يَرْضَى جَسَدٌ فِي الْأَرْضِ أَنْ يَحْمِلَهَا
عَنِّي قَلِيلًا، كَيْ أَرَاهَا وَأَنَا ذُو جَسَدٍ أَنْقَى مِنْ
الْمِرَاةِ فِي عُرْفَةِ أُمِّي.

يَا

لَهْدِي الْقَامَةَ الْبَيْضَاءِ! كَمْ
يَخْجَلُ صُبْحُ الشُّلْجِ مِنْ بَيَاضِهِ أَمَامَهَا! أَخَافُ مِنْ
خَطِيئَتِي إِنْ قُلْتُ:

هَذَا جَسَدٌ.

لَا شَيْءَ فِيَّ يَسْتَجِزُّ
أَنْ يَرَكَ. لَيْسَ فِيَّ غَيْرُ اللَّصِ إِنْ كُنْتُ الْيَوَاقِيْتُ،
وَعَيْرُ الدُّبِّ إِنْ كُنْتُ قَطِيعَ الْمَوْجِ. مَاذَا أَفْعَلُ
الآنَ بِهَذَا النَّصِ؟ نَصِّي جَسَدِي. وَلَيْسَ مَفْتُوحًا عَلَى
قِرَاءَةِ أُخْرَى، وَلَا حَدْسٍ بِهِ، أَوْ وَهَجِ رُؤْيَا. مُغْلَقٌ،

خَاوٍ، قَلِيلُ السَّمْعِ إِنْ دَابَّ، وَإِنْ عَنَى قَلِيلُ النَّايِ .
كَمْ آدَمَ بِي لَا يَسْتَحِقُّ امْرَأَةً؟ تَحَدَّرَتْ يَدَايَ مِنْ
كَهْفٍ .

وَأُنْجَبَتْ فَمِی عَاهِرَةٌ تَحْتَ مَلَائِكِ .
مُنْذُ تَثْوِيحِي عَلَى كُلِّ النِّسَاءِ سَيِّدًا، فَقَدْتُ أَنِّي رَجُلٌ .
أَكْتَشِفُ الْآنَ وَلَادَاتِي الَّتِي مَارَسَ فِيهَا الْحُلَّ أَدْوَارَ
النَّبِيدِ، وَارْتَدَى التَّابُوتُ فِيهَا حَسْبَ الْمَجْدَافِ .
مَنْ يَحْمِلُ مِثْلِي جَسَدًا رَمَادُهُ
أَجْمَلُ مِنْهُ؟ قَبْرُهُ أَبْهَى لَهُ مِنْ بَيْتِهِ؟ حُضُورُهُ
مُنْطَفِئٌ، وَمُشْرِقٌ نِسْيَانُهُ؟ مَنْ يَنْتَقِي لِنَفْسِهِ تِمْتَالَ مِلْحٍ
بَدَلًا مِنْ أَنْ يَظَلَّ ذَائِبًا فِي الْبَحْرِ؟!

يَا

جِبْرَ مَجِيئِي،

لَيْتَ مَنْ مِمَّحَاتِهِ أَرْفَقُ بِالْأُورَاقِ مِنْ أَقْلَامِهِ لَا
يَعْرِفُ الْكَلَامَ . يَا

أَيُّهَا اللَّعْنَةُ، صِيرِنِي مَرَّةً صَاعِقَةً

تَغْرُقُ فِي خَاصِرَتَيْ، وَيَا

حَبَالِي الْبُؤْمِ وَلَوْلَنَ طَوِيلًا فُوقَ
قَامَتَيْ، لِكَيْ أَفْرَحَ إِنِّي الْآنَ أَصْبَحْتُ خَرَابًا.
كَمْ جَمِيلٌ أَنْ تَرَى كَيْفَ أَنَا الْآنَ،
لِكَيْ تَرَى عَدَاً، كَيْفَ يَكُونُ الْحُبُّ قَدْ عَيَّرَنِي.
إِنِّي أَصْلِي كَيْ أَرَكَ الْآنَ نَحَاتًا أَصْلِي
كَيْ تَرِينِي حَجْرًا. فِي كُلِّ تِمْنَالٍ يَعِيشُ رَاهِبٌ. فِي كُلِّ
نَحَاتٍ يَعِيشُ اللَّهُ. إِنَّهَا الدِّيَانَةُ الَّتِي لَا فِضَّةَ فِيهَا
وَلَا «تُومًا».

شُرُورِي شَجَرٌ، أَوْزَافُهُ كَفُ مُرَابِئِنَ،
ثَمَارُهُ دَنَابِيرُ، جُدُورُهُ عِصِي لِقُضَاةٍ ضَرَبُوا الشَّرَائِعَ
الْبَيْضَ بِهَا حَتَّى اسْتَحَالَتْ حَسَرَاتٍ. يَا عَوَاصِفَ السَّمَاءِ
اقتَلِعِينِي. واجْعَلِي النَّارَ جِيعًا، واجْعَلِينِي بَيْنَهُمْ أَرْغَفَةً ذَاتَ
بَقَايَا لِكِلَابٍ نِصْفُهَا فِي اللَّيْلِ رِيحٌ، نِصْفُهَا مَقْبَرَةٌ، لَمَّا
يُنَادِي الْخَالِقُ الْأَمْوَاتَ لَا يَنْهَضُ مِنْ عَثَمَتِهَا نَوْمٌ
رَمَادِي. فَأَنَا لَا أَسْتَحِقُّ الطَّرْدَ حَتَّى لِعَذَابَاتِ الْجَحِيمِ.

لَيْتَنِي كُنْتُ ضَعِيفًا. قُوَّتِي قَدْ أَنْبَتَتْ أَنْيَابَ ذئبٍ
 فِي فَمِي، وَلَمْ تَدْعُ عَيْنِي تَفْرَحَانِ إِلَّا بِأَحْتِفَالَاتِ
 الضَّحَايَا. جَرَسَ قَلْبِي، وَلَا يَقْرَعُ إِلَّا فِي جَنَازَاتِ
 نِسَائِي. أَيُّ طِينِ جَبَلَ اللهُ لِخَلْقِي؟! أَنَا أُمِّي
 لَمْ تَلِدْنِي، إِنَّمَا لَمَّا اسْتَقَرَّتْ فِي مَحَاضٍ طَرَدْتَنِي.
 أَعْلَمُ الْآنَ لِمَذَا كُنْتُ أَبِكِي كُلَّمَا اسْتَرَحْتُ رِيَاحِي،
 وَأَنْتَهَتْ أَمْطَارِي الْبَيْضَاءُ فَوْقَ مَائِجَاتِ امْرَأَةٍ. مَا جَاءَ
 صَحْوِي مَرَّةً مِنْ بَعْدِ أَمْطَارِي بَلْ جَاءَتْ دُمُوعِي. كُنْتُ
 لَمَّا أزرعُ الوُرْدَةَ

لا أَقْطِفُهَا.

كُنْتُ أَحِنُّ دَائِمًا
 لامرأة، مَرِيَمَ، لا أَعْرِفُهَا.

كَجُمْلَةٍ تَأْتِي، وَلَكِنْ،
 لَيْسَ تَأْتِي مَعَهَا أَحْرَفُهَا.

أَلَا نَ أَدْرِي أَنَّهُ أَنْتِ الَّتِي كُنْتُ قَدِيمًا
أَزْرَعُ الْوَرْدَ لَهَا. وَعِنْدَمَا كُنْتُ أَصِيءُ امْرَأَةً مِنْ
نَهْدِهَا، كَانَ خَيَالُ مَا، يَمُرُّ بِي، مَلَاكٌ مَا، يُنَادِينِي،
فَأَخْفِي عَنْهُمَا وَجْهِي كَمَا إِبْرِي عَلَى نَهْرٍ،
وَمَاءُ النَّهْرِ يَجْرِي، وَهُوَ مَكْسُورٌ. وَلَمَّا أَرْتَدِي فِي
لَيْلِي الْوَحْدَةَ، لَا أَشْتَاقُ إِلَّا لِغُرُوبِ تَحْتِ صَفْصَافَةٍ
بَحْرٍ، فِي يَدَيَّ وَرْدٌ، وَفِي وَجْهِي انْتِظَارٌ لِقُدُومِ امْرَأَةٍ،
تَأْتِي طُيُورُ الدَّمْعِ مِنْ نُزْهَتِهَا فِي غَابَةِ اللَّوْزِ إِلَى
حَوْرَةِ عَيْنِي، وَهِيَ لَا تَأْتِي. وَيَأْتِي الْحُزْنُ نَائِبًا مَعَ
رَاعٍ، وَهِيَ لَا تَأْتِي. وَلَمَّا أَتْرَكَ الْوَرْدَ عَلَى الْمَقْعَدِ
كَيْ أَمْضِي وَأَبْقَى، تَتْرَأَى لِي طَيْفًا مُقْبِلًا نَحْوِي

كَرِيحٍ
فَوْقَهَا سَحَابُهَا.

أَغْمُرُهُ، لَكِنَّهُ لَيْسَ بِطَيْفٍ،

إِنَّهُ غِيَابُهَا

كَيْفَ تَخَلَّتْ إِضْبَعَا غَنِيمِكَ عَنْ بَابِ
تُرَابِي؟! وَتَأَخَّرَتْ طَوِيلًا قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ هَذَا الْبَجْعُ
الآتِي إِلَى غَابَاتِ رُوحِي؟! كَيْفَ بُسْتَانِكَ لَمْ يُنْقِذْ يَدِي
أَيُّهَا الْمَائِدَةُ الْمَلَأَى بِعُزْسِ الْقَمْحِ مِنْ
لَمَّ الْفَتَاتِ.

لَمْ تُرْسِلِي الْحِكْمَةَ كَيْ تُبْعِدَنِي عَنْ
رَغَبَاتِ الْقَتْلِ. أَطَلَقْتَ يَدِي السُّودَاءَ فِي قَتْلِ بِيَاضِي،
ثُمَّ أَرْسَلْتَ الْقُضَاءَ.

أَفْسَى سُجُونِي جَسَدِي، حَيْثُ الَّذِي
يَحْرُسُنِي، قَبْرِي. وَحَيْثُ الْبَابُ وَالْجُدْرَانُ أَيَّامِي. وَلَا شَيْءَ
سِوَى نَافِذَةِ أَلْمَحِ مِنْهَا شَجَرَاتٍ فِي ضَبَابِ الدَّمْعِ، قَدْ نَاحَ عَلَى
أَعْصَانِهَا الْكُحْلِيَّةِ الدَّمْعِ،
حَمَامُ
الْحَسْرَاتِ.

لَا شَيْءَ
غَيْرَ الدَّمْعِ أَبْهَى مِنْكَ .

صِيرِي أذْمَعاً، ثُمَّ اضْعِدِّي فِي
مُقْلَتِي كَيْ تَضْبِحَ الْعَيْنُ سَمَاوَاتِي الَّتِي قَدْ رَجَعَتْ .
وَأَنْهَمِرِي حَتَّى أَرَى فِي جَسَدِي الْأَرْضَ الَّتِي قَدْ
وَعَدْتَنِي فَرَسُ الرِّيحِ بِهَا، وَأَنْتَشَرْتَ فِيهَا أَرَاغِيحُ لِأَزْوَاجِ
لَهَا أَجْنِحَةٌ مِنْ زَبَدٍ .

أَيُّهَا الدَّمْعَةُ لَا تَنْسِي خَطَايَايَ،
اغْسِلِينِي طَيْلَةَ اللَّيْلِ بِكَ . لَمْ أَعْرِفِ الدَّمْعَةَ مِنْ قَبْلُ .
فَقَدْ كُنْتُ تُرَاباً لَا يُحِبُّ الْعَيْمَ . لَمْ أَزْهَرْ، وَلَمْ أَخْضَرْ يَوْماً .
أَجْمَلُ الْمَرْأَةَ أَنْتِ الْآنَ . يَا عَيْمًا مِنَ الدَّمْعِ
يَعَارُ الْعَيْمُ لَمَّا تُمَطِّرِي .

فَأَنْهَمِرِي

وَرَدِي يَفْتَحُ بَابَهُ

مُرْتَدِيَا فُمُصَانَ عِشْقِي؛ وَنَوَاقِيسَ مِنَ السُّكَّرِ فِي أَيْدِي
لِرُهْبَانٍ عَلَيْهِمْ أَخْضَرٌ، يَعْلُ بِدَيْرٍ مِنْ نَسِيمِ
شَجَرِي.

فَانْهَمِرِي،

يُفِقُ مَلَكَاً حَجْرِي،
أَوْ طَائِراً،
كَأَنَّ نَحَاتَا عَفَا فِي حَجْرِي

كَانَ قَدِيمًا أَحَدَ الْعُشَّاقِ،
لَمَّا مَاتَ نَامَتْ رُوحُهُ فِي حَجْرٍ،
مُنْتَظِرًا

أَنْ تُنْطِرِي

فَانْهَمِرِي،

يَزِجُ ثُرَاباً جَسَدِي، يَضَعُ أَقَاجِي
وَعُشْباً تَحْتَ رِجْلَيْكَ، بُحَيْرَاتٍ لِكِي تَغْتَسِلِي، نَحْلًا عَلَى
رَاحَتِهِ إِيرِيْقُ خِضْبٍ سَوْسِنِي. كُلَّمَا الْأَشْجَارُ نَادَاهَا صِبَاهَا
طَافَ فِي خَاطِرِهَا نَهْدَاكَ حَتَّى يَغْتَرِي الثَّمَارَ تَدْوِيرُهُمَا.
لَا قَطْرَاتٍ مِنْ نَدَى، بَلْ عَرَقٌ فِي الصَّيْفِ مَلْمُومٌ عَنِ
الْفَخْذَيْنِ، هَذَا اللُّؤْلُؤُ الْمُوقَدُ فَجْرًا فِي الْمَرَاعِي. لَا
حَصَى فِي النَّهْرِ إِلَّا وَبَرْتُهُ رِيْشَةُ الْمَاءِ بِنَايِ كِي
يُصَلِّي. لَيْسَ يَغْلُو الشُّيْحُ إِلَّا لِيْرَاكِ. لَا يَصِيْرُ الْبَجْعُ
الرَّاحِلُ خَطَأً أَبْيَضًا إِلَّا لِكِي يَغْدُو زُنَارًا عَلَى خَضْرِكِ.
لَمَّا دَارَ عُضْفُورًا حَمَامَ حَوْلَ غُضْنِي لَوْزَةً، شَاهَدَ
كَرَامُونَ فَخْذَيْكَ، وَأَعْلَوْا يَدَهُمْ حَتَّى يَطَالُوا خَضْرِكِ الْمَخْفِي
فِي الرِّيْحِ كَلْحَنِ الرِّيْحِ. جَاءَتْكَ الْعِنَاقِيْدُ جَوَارِي الْخَمْرِ
فِيكَ. لَا يَدُقُّ الصَّيْفُ أَبْوَابِكَ إِلَّا رَافَقْتُهُ رَاقِصَاتٌ،
وَأَنَاشِيْدُ حِصَادٍ. كُلُّ مَلَاحِي بِحَارِ الْأَرْضِ، لَا تُرْسَمُ
قَامَاتٌ عَلَى رَايَاتِهِمْ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ تَقَاسِيْمُكَ فِيهَا.
يَهْجُرُ التَّرْجِسُ مِرَاةَ السَّوَاقِي، ثُمَّ يَغْدُو حَلَقًا فِي

أُدُنِّيكَ، كَيْ يَرَى صُورَتَهُ فِي مَائِكَ الْجَارِي عَلَى
أَكْتَاْفِكَ التَّعْبَى كَقَوْسٍ فِي الْمَسَا. يَأْتِي فَرَّاشٌ مِنْ
أَقَاصِي الْأَرْضِ، كَيْ يُضْبِحَ شَمْسِيَّاتِكَ الرَّيْفِيَّةَ الْأَلْوَانَ
تَحْتَ الشَّمْسِ. لَوْلَا الْعُرْيُ فِي قَامَتِكَ الْمَرْمَارَةِ الْهَيْفَاءِ،
لَا يَغْزِلُ مَوْجُ زَبَدًا، أَوْ شَرَنْقَاتُ أَرْجَوَانَاتِ حَرِيرٍ؛
وَطُيُورِي الْمُرْخِيَّاتِ الْعُنُقِ، لَا تَجْعَلُ مِنْ أَعْشَائِهَا حُفًّا
وَلَا رَانًا. إِذَا أَتَعَبَكَ الْحُزْنُ أَتَاكَ الْجَفْنُ مِنْ دَمْعِي
بِكُرْسِيٍّ مِنَ الصَّفْصَافِ. لَنْ أَضْجِرَ عَيْنَيْكَ بِأَنْي دَائِمًا
ضَيْفٌ. سَأَعْدُو سَنَةً فِي الْوَقْتِ، لِي أَرْبَعُ أَرْوَاحٍ،
وَأْتِي بِأَلْتِي لِلْقُرْبِ، أَمْضِي بِأَلْتِي لِلْبُعْدِ. صِيرِي فَرَسًا
أُضْبِحُ صَحَارَى، بَلْحَا أُضْبِحُ نَخِيلًا، جَرَسًا أُضْبِحُ عَرِيْسًا
مِنْ رَيْنِينَ. يَجْلِسُ الدَّفءُ رُعَاةً تَحْتَ شَرِيْبِيْنَ عَمَامٍ،
كُلَّمَا اشْتَقَّتْ إِلَى مِزْمَارِ جَمْرٍ. كَاهِنَاتٌ مِنْ هَوَاءِ
مَلَكِيٍّ، كُلَّمَا حَرَكَ آبَ حَرَّهُ، جِئْنَ أَمَاسِيْنَكَ بِأَطْبَاقِ
عَلَيْهَا رُوْحُ نَعْنَاعٍ، وَكُمَثْرَى نَسِيْمٍ. يَا
لَهْدِي الْأَرْضِ فِي أَعْيَادِهَا!

رِجْلَاكَ عِنْدَ «الْغَسْلِ» عِنْدَ النَّهْرِ . عِنْدَ الزَّنْبَقِ الصِّينِيِّ
 عِنْدَ الْفِضْحِ نَهْدَاكَ . وَعَيْنَاكَ لَدَى أَهْلِ خِيَامِ الْبَدْوِ
 عِنْدَ الْبُنِّ . عِنْدَ الْبَحْرِ فَخَذَا مَوْجِكَ الْآتِي . وَمَجْرَى
 ظَهْرِكَ الْعَاجِي عِنْدَ لِسَوَاقٍ لَا تُرَى . عِنْدَ حُلُولِ
 اللَّيْلِ فِي رُوحِ الْمَسَا شَعْرُكَ . أَحْشَاؤُكَ عِنْدَ الْوَرْدِ
 وَالْأَشْجَارِ وَالْقَمْحِ وَأَسْبَاطِ الْبَرَارِيِّ . وَكَمَا قَدْ جَاءَ فِي إِنْجِيلِ
 يُوحَنَّا الْمُعْنَى :

خَضْرُكَ الْمَائِجُ عِنْدَ الرَّقِصِ . عِنْدَ
 حَلْمَتَا نَهْدَيْكَ لِلْأَزْرَارِ قَدْ عَلَّقَهَا الصُّبْحُ يَوَاقِيَتْ عَلَى
 قُمْصَانِهِ . كُلُّ يَدٍ عِنْدَ خَمِينِ لِسُكَارَى الطَّيْرِ يَا
 دِينَ

الْعِبَادَاتِ الَّتِي بَشَّرَ فِيهَا جَسَدِي ، كُونِي عَمَامَ الْبَدْوِ لِي ،
 وَانْهَمِرِي .

أَوْ حَوْلِي أَرْضاً مَوَاتاً جَسَدِي ،
 يُمِطِرُ فِي الْأَفْقِ عَلَيْهَا عَفَنٌ أَسْوَدٌ ؛ تُخْفِي وَجْهَهَا

عَنْ صَبِيَّةِ الْأَيَّامِ كَيْ لَا يَزْشُقُوهَا بِحَصِيٍّ مُهْتَرِيءٍ؛
تَغْدُو كَمَا عَشْرَةٌ أَقْلَامٍ يَدَاهَا، كُلَّمَا مَدَّتْهُمَا فِي
عَرَقٍ، يَبْرِيهِمَا التِّيَّارُ؛ يَغْلُو صَدَأُ الدَّفْلَى فَمَ الْأَنْهَارِ
فِيهَا؛ يَضْرِبُ الْإِعْصَارُ خَدَيْهَا بِلَوْحَيْنِ مِنَ الصُّبَّارِ؛ يَحْيَا
دَمْعُ عَيْنَيْهَا بَقَايَا امْرَأَةٍ جَالِسَةٍ بَيْنَ الْخَطَايَا؛ لَا
تَرَى فِي دَوْرَانِ الْوَقْتِ إِلَّا

عَقْرَبِي

أَخْرَازَهَا.

لَا

تَقْتُلِينِي الْآنَ، أَخْسَرُ أَلْمِي. هَاتِي
عَذَابِي كَيْ أَصِيرَ اثْنَيْنِ: مَكْفُوفًا بِقِنْدِيلِ مُضَاءٍ، مُبْصِرًا
قِنْدِيلُهُ مُنْطَفِئٌ. لَا يَصِلُ الْمَكْفُوفُ لِلْمُبْصِرِ كَيْ يُعْطِيَهُ
الْقِنْدِيلَ. وَالْمُبْصِرُ قَدْ يَشْعُرُ بِالْمَكْفُوفِ، لَكِنْ لَا يَرَى
قِنْدِيلَهُ.

هَذَا أَنَا،

وَبَيْنَنَا لَيْلٌ مَدَارَ الْأَشْهُرِ.

يَا حَسْرَاتِ الْأَرْضِ طُوفِي حَوْلَ رُؤُوسِي .
اتَّشَجِي بِالْأَسْوَدِ الْمَالِحِ . ضُمِّي جَسَدِي ، وَانْتَجِبِي . يَا كُلَّ
أَرْوَاحِ جِهَاتِ الْأَرْضِ ، أَنْزِلْنَ أَيَادِيكُنَّ ، وَلْتَسْقُطْ سَمَاوَاتِي
التي تَرْفَعْنَهَا كَالْقُبَبِ الزَّرْقَاءِ ، وَلْتَضْبِحْ بِهَا شَمْسِي بَوْمًا ،
وَلْيَصِرْ فِيهَا

حَرَابًا قَمْرِي .

مَنْ تُطَلِّقِ الرِّيحُ عَلَى أَشْجَارِهِ ،
يُذْرِكُ سُقُوطَ الثَّمَرِ ،

مِنْ

عُضْنِهِ الْمُتَكْسِرِ

حَبَّةُ رَمْلِ فِي قَرَارِ الْبَحْرِ تَحْيَا
حُرَّةً أَكْثَرَ مِنِّي . لَيْسَ مَنْ يَطْرُدُهَا مِثْلِي . وَإِنْ
حَرَّكَهَا الْمَوْجُ اسْتَقَرَّتْ حَيْثُ شَاءَتْ ، وَالتَّقَتْ مَنْ لَوْ

رَأَاهَا قُرْبَهُ عَانَقَهَا . أَمَا أَنَا فَلَا أَرْضُ مَا دَارَتْ بِيَوْمِ
لَوْ دَرَّتْ أَنِّي عَلَيْهَا

هَكَذَا

أَحْيَا!

فَكَمْ بَحْرٍ دَمٍ تَحْتَاجُهُ عَيْنَايَ كَيْ
أُبْكِي عَلَى نَفْسِي؟! وَهَلْ تَكْفِي أَكْفُ اللَّيْلِ كَيْ أُخْفِي
بِهَا وَجْهِي؟! يَا

لَا شَيْءَ، إِنِّي أَحْسُدُ اللَّاشْيَاءَ . لَا
أَدْعُو إِلَيَّ الْمَوْتَ . حَيٌّ مَنْ دَعَا الْمَوْتَ . وَلَا أَحْلُمُ
بِالتَّعْذِيبِ، مَنْ عَذَّبَ كَانَتْ رُوحُهُ

ذَاتَ

جَسَدٍ .

يَا لَيْتَنِي لَا شَيْءَ . أَبْهَى مَا
أَرَى نَفْسِي إِيَّانِي
لَا أَحْذُ .

أَوْجَعَنِي
هَذَا الْجَسَدُ.

حَطَّمَنِي
هَذَا الْجَسَدُ

أَدَلَّنِي
هَذَا الْجَسَدُ.

يَا لَيْتَنِي لَا شَيْءَ، أَوْ يَا لَيْتَنِي
قَدْ جِئْتُ
مِنْ غَيْرِ جَسَدٍ.

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ

أَتَشْنِي السُّيُوفُ عَلَى شَفَرَتَيْهَا الْمَمَالِكُ؛
فَوْقَ مَقَابِضِهَا الْمُذْهَبَاتِ الشَّرَائِعُ؛ أَعْمَادُهَا أَرْجُلُ لِمَحْفَاتِ قَصْرِ
عَلَيْهَا الْيَوَاقِيتُ وَالْكَهْرَمَانُ؛ وَفُرْسَانُهَا مِنْ نَخِيلِ وَصَخْرِ، عَلَيْهِمْ
مَسَالِحُ كَتَّانِ لَيْلِ طَوِيلِ، فَتَحَسَبُهُمْ أَشْهُرًا مِنْ زُنُوجِ أَحَاطُوا
بِقَاعَةِ عَرْشِ الزَّمَانِ.

سُدَى كُلِّ شَيْءٍ .

فَلَا التَّاجُ يُغَرِّبِي جَبِينِي . وَلَيْسَتْ
صَوَالِحَةُ الْمَلِكِ عِنْدِي بِأَكْثَرَ مِنْ أَنَّ حَطَّابَ حَوْرٍ قَدِيمٍ ،
يَبِيعُ عَلَى النَّاسِ قُضْبَانَ جَمْرٍ . وَمَا الْخَاتَمُ الْمَلِكِيُّ وَلَسْتُ
حَبِيبِي؟! وَإِنَّ الْأَكَالِيلَ أَجْمَلَ مِنْهَا الدَّوَائِرُ فِي الْمَاءِ بَعْدَ
الْحَصَاةِ .

خُذُوا يَا قُضَاةَ الْقَوَانِينِ ، إِنِّي أَرَى
دَمَ عَانِدِي عَلَيْهَا ، وَإِكْلِيلَ شَوْكِ الْمَسِيحِ . وَيَا أَيُّهَا الصَّاعَةُ
النَّاحِلُونَ كَحَفْرِ عَلَى فِضَّةٍ أَوْ عَقِيقٍ ، وَمَنْ مَسَّ أَعْيُنَكُمْ
رَأَاتُ الْبَرِيقِ ، أَعِينُوا لِفِرْعَوْنَ هَذَا الزُّمْرَدَ ، وَالذَّهَبَ
السَّامِرِيِّ ، وَفَيْرُوزَ كِنْسَرَى ، فَلَسْتُ أَنَا الْآنَ لَيْلٌ لَأَيِّ
الْكُوَاكِبِ فِيكُمْ . أَنَا مُعْتِمٌ

مُعْتِمٌ

كَأَعْيُنِ أَهْلِ الْقُبُورِ .

لِمَنْ أَيُّهَا الْمُتَشِدُّونَ تُعْتَنُونَ بَيْنَ

كِرَانٍ وَعُودٍ؟! وَيَا

رَاقِصَاتُ،

لِمَنْ بَيْنَ هَذِي الْمَشَاعِلِ تَفْتَحْنَ
قَامَاتِكُنَّ صِنَادِيْقَ كَنْزِ بَعِيْدِ اللُّصُوْصِ؟! اَعِدْ يَا مُهْرَجُ
وَجْهَكَ مِنْ حَبْلِكَ الْوَرَقِيِّ، وَهَذِي الْعِصِيَّ الَّتِي اِنْ
وَقَفْتَ عَلَيْهَا، تَمِيْلُ كَسُنْبُلَةٍ فَوْقَهَا هُذْهُدٌ.
لَيْتَكُمْ تُبْعِدُوْنَ حِقَاقَ الْبَحُوْرِ،
وَقُضْبَانَ هَذِي الْمَنَادِلِ، وَالْمِسْكَ، عَنِّي، يَا اَيُّهَا
الْمُبْحِرُوْنَ مِنَ الْهِنْدِ شَرْقًا لَأَسْوَاقِ بُضْرِي. اَنَا رَمْلَةٌ
لَمْ يَصِلْ مَوْجُهَا؛ سَكَّرَ حُلُوهُ لَيْسَ فِيْهِ؛ وَمَاءٌ لَقِيْطٌ
رَمَاهُ الْغَمَامُ عَلٰى بَابِ مَيْتَمِ نَهْرٍ بَنَاهُ الْحَصِي
ذَاتَ صَيْفٍ. اَعِيْدِي الْخُمُوْرَ اِلَى قَبُوْهَا يَا كُرُوْمُ.
وَيَا لَابَسِي الرُّيْفَ تَحْتَ الْكِفَافِي، اَدِيْرُوا نَوَاعِيْرَ
هَذِي السَّنِيْنِ الَّتِي فِي ثُرَابِي، وَلَا تَزْرَعُوا غَيْرَ
نَوْحِ الْحَمَامِ، وَرَقِصِ الْخَرِيْفِ، وَأَذْرِعِ مَنْ لَوْحُوا لِلْمَرَآكِبِ
عِنْدَ الرَّحِيْلِ.

بِسَاطِي فَمُ الشُّعْرَاءِ، وَالِقَاؤُهُمْ قَدَمَاهَا.

فَيَا أَهْلَ شِيرَازَ عُوذُوا بِسَجَادِكُمْ فَوْقَ ظَهْرِ النِّيَاقِ،
فَإِنَّ لُصُوصَ الصَّحَارَى أَحَقُّ بِمَا قَدْ نَسَجْتُمْ لِبَيْتِي مِنِّي.

وَجَاءَ نِسَاءً خَرَجْنَ مِنَ الْمَاءِ.
وَالْمَاءُ كَانَ رِجَالاً وَذَأُوبًا. وَلَمَّا النِّسَاءُ خَرَجْنَ تَحَوَّلَ
دَمْعًا. وَكُنَّ سُقَيْنَ نَبِيدًا مِنَ الرَّقِصِ عُتِقَ فِي
دَيْرِ خَضِرٍ، رَئِيسُ أَسَاقِفَةِ النَّايِ فِيهِ مَلَأَكَ عَلَيْهِ
عَرِيشٌ. لَهُنَّ شِفَاهُ، كَأَبْيَاتِ وَرْدٍ، لِسَانُ الْقَنَادِيلِ رَاوٍ
لَهَا. مُرْسَلَاتُ الْجَدَائِلِ سُودًا، إِذَا الْجَفْنُ مَرَّ عَلَيْهَا غَفَا.
مُمْتِعَاتٌ بِبُطْءٍ. وَمَا وَقَعَتْ عَيْنُهُنَّ عَلَى جَسَدِ حَجْرِي
الذَّرَاعَيْنِ إِلَّا تَحَوَّلَ فُلًا وَرُؤُفَى، وَأَدْرَكَهُ شَبَقٌ أَوْ عِنَاقٌ.

لِمَنْ يَا نِسَاءً تُفْتَحْنَ قَامَاتِكُنَّ
بِنَفْسِجَةٍ فِي هَوَادِجِ صَيْفٍ؟ أَنَا الْآنَ رَاهِبٌ أَبْهَى
النِّسَاءِ، فَكُنَّ لَهَا مَرْيَمَاتِ عَذَارَى، يَطْفَنَ بِشَمْعٍ عَلَى
قَدَمَيْهَا، وَيَحْمِلْنَ زَهَرَ الْحُقُولِ نُذُورًا إِلَيْهَا، لِيُضْبِحْنَ



GASOUS FOD

ظِلًّا لَهَا أَوْ خَيْالًا، وَيُنْشِدَنَ بَيْنَ يَدَيْهَا:

«تَبَارَكَ مَوْجُ الْبِحَارِ بِأَطْرَافِ ثُوبِكَ .
صَلَّى لَكَ الْقَمْحُ فَوْقَ الْمَحَارِيثِ . وَاْفْتَتَحَ اللهُ بِاسْمِكَ فَضْلَ
الْبَقَاءِ؛ وَنَقَى بِكَ الْأَرْضَ فِي إِضْبَعٍ مِنْ مَلَائِكٍ» .

جَمِيلٌ عَذَابِي، فَهَوَ الطَّرِيقُ إِلَى
أَنْ أَصِيرَ مَعَ الْوَقْتِ طَيِّفًا . وَلَيْتَ الْعَنَاصِرَ تَأْتِي
وَتَجْعَلُنِي طَائِرًا أَوْ تُرَابًا . لَكُمْ أَنْتَ يَا جَسَدِي طُحْلُبِي
وَمُرٌّ وَلَوْلَا احتِيَاجِي إِلَيْكَ لَكَيْتُ اسْتَطِيعَ التَّفَكُّرَ فِيهَا،
لَنَادَيْتُ قَبْرًا لِيَفْتَحَ لِي، أَوْ رَمَادًا لِيُنْثَرَ فَوْقَ الْبِحَارِ
مَعًا كَمْ أَهْنَتْ الْيَمَامَةُ لَمَّا تَمَنَيْتُ أَنْيَ يَمَامٌ، وَقَشَّ
الطَّوَّاحِينَ لَمَّا تَمَنَيْتُ أَنْيَ قَشٌّ . وَكَمْ كُنْتُ لَا اسْتَحِقُّكَ
لَمَّا تَمَنَيْتُ أَنْ أَكْتَسِي جَسَدًا لَا يُفَكِّرُ فِيكَ .

لِلَّيْلِ لَطَافَةٌ أَنِّي لَسْتُ أَنَامُ،
وَأَنَّ الصَّبَاحَ بَعِيدٌ، وَأَنَّ أَرْقَ هَدَايَاكَ بَعْدَ الْغُرُوبِ
عَذَابُكَ لِي .

أَلَمْ مِنْكَ دَقٌّ عَلَى بَابِ قَلْبِي، فَمَا بَقِيَتْ
قَطْرَةٌ مِنْ دَمٍ لَمْ تُعَانِقْهُ مِثْلَ نِسَاءِ صَحَارَى،
إِلَيْهِنَّ عَادَ رِجَالٌ عَلَيْهِمْ مَسَالِحُ غَيْمٍ، مُوشِحَةٌ بِنَخِيلِ
وَشَهْرِ عَرَارٍ.

أُفَكِّرُ بِالنَّاصِرِيِّ لِأَضْلَبَ لَا لِأُصَلِّي؛
وَبِالْجَمْرِ لَيْسَ لِأَذْفَأَ بَلْ لِأَسِيرَ عَلَيْهِ؛ وَبِالرُّومِ لَيْسَ حَنِينًا
لِقَيْصَرَ، لَكِنْ لِأَنَّ جَبِينِي ضَيِّعَ تَاجِ مُلُوكِ الدُّمُوعِ.
أَرَقُّ سَرِيرِي أَلْوَاخِ عُزُوءَ. أُنْدَى مَكَانِي رَمَضَاءَ نَجْدِ.
أَخَفُّ وَقُوفِي عَلَى طَلَلٍ أَوْ رَحِيلِ حَبِيبٍ. أَقَلُّ نِدَائِي:
قَفَا نَبْكَ.

أَضَالُ حُزْنِي كُثِيرٌ وَابْنُ الْمُلُوحِ. وَضَاحُ تَحْتِ ثَرَابِ
الْحَدَائِقِ أَوْسَعُ مِنِّي ضُلُوعًا، وَأَكْثَرُ مَرًّا نَسِيمٍ. وَلَيْسَ
نُصِيبٌ وَعُتْبَةٌ غَيْرَ صَدِيقَيْنِ خَانَا بِمَوْتِهِمَا وَعَدَا أَنْهُمَا
سَيَصِيرَانِ مِثْلِي. انْتَهَى مَالِكُ وَابْنُ عَجَلَانَ حَيْثُ بَدَأْتُ.
وَدُو الرُّمَّةِ اكْتَشَفَ النَّوْمَ لَمَّا اكْتَشَفْتُ سُهَادِي. وَكَمْ
مُتَّصِفَةٌ قَدْ مَحَا وَجْهَهُمْ عِنْدَمَا شَاهَدُوا جِبَرَ وَجْهِي.

لِمَنْ كُلُّ هَذِي الْمَخَادِعِ؟ مَا الْعُزِّي
وَالْقُبْلَاتُ؟! وَكَمْ يُخْجِلُ الرُّوحَ أَنْ هُنَاكَ مَمَالِكٌ لِلْيَوْمِ فِينَا،
شَرَائِعُهَا الْخَالِدَاتُ التَّدَابُحُ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالصَّدْقِ،
بَيْنَ مَلَائِكٍ وَقَاءٍ وَشَيْطَانٍ إِثْمٍ. ظِلَالٌ مِنَ الْعِشْقِ
لَا شَجَرَاتٌ جَمِيعُ الَّذِينَ أَحْبَبُوا. وَلَيْسَ الْعِنَاقُ إِلَى
الْآنَ إِلَّا مَدَامِغٌ أَوْ شَهَوَاتٌ. وَيُشْعِرُنِي بِالْمَهَانَةِ أَنَّ
هُنَالِكَ فِي الْحُبِّ بَعْدُ حَيَاءٌ، وَأَنَّ هُنَالِكَ بَعْدُ خَطَايَا.
هُوَ الْحُبُّ لَيْسَ اتِّحَادًا وَلَا ذَوْبَانًا. وَيُشْرِقُ لَيْسَ
لِأَعْدُو أَنْخِطَافًا. وَيُغْبَدُ لِأَجَلٍ وَلَيْسَ لِأَفْنَى.

هُم

الْعَاشِقُونَ، غُرَاهُ الْقَنَادِيلِ وَالنَّايِ بَعْدَ
الْمَسَا. خَائِنُوكِ. لُصُوصُ الْمَرَايَا. قَرَاصِنَةُ الْوَرْدِ. أَعْدَاؤُكَ
الزَّاحِفُونَ إِلَيْكَ عَلَى صَهْوَةِ الشُّوقِ، تَحْتَ ظِلَالِ الْمَنَادِيلِ،
بَيْنَ خَرَابِ الدَّمُوعِ.

فِيَا

حُبُّ،

إِفْتَحْ لِرَيْنِحِكَ أَبْوَابَهَا الْعَاصِيَاتِ . وَدَعَهَا
 تُحَطِّمَ قَرَابِينَ كُلِّ الدِّينِ أَحْبُوا، أَسْرَتَهُمْ، طَقْسَهُمْ،
 مَرْكَبَاتِ مَسَاءِ إِيهِمْ . وَلْتَشْتِ أَصَابِعُهُمْ، رُوحَهُمْ . وَلْيَكُنْ صَوْتُهَا
 لَعَنَاتِ، وَعَضْفُ يَدَيْهَا زَلَازِلَ، وَالزَّرْعَزَعَانُ الْمُحَبَّبُ فِيهَا نَذِيرًا
 بِأَنَّ قُبُورَ الْمُجِبِّينَ ضَاعَتْ، مَقَاعِدُهُمْ تَحْتَ حَوْرِ الْعَشِيَّةِ
 صَارَتْ حَرَابًا، رَسَائِلُهُمْ أَضْبَحَتْ عَفْنًا أَوْ رَمَادًا، وَأَوْقَاتُهُمْ
 مَاءٌ دِفْلَى بِإِبْرِيْقِ بَيْتِ الزَّمَانِ .

وَيَا

أَيُّهَا الْعَاشِقُونَ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ نَبِيذُ
 الْكُرُومِ، وَقَوْسُ الزَّفَافِ . وَلَيْسَ لَكُمْ خَاتَمٌ وَشُمُوعٌ . وَحِينَ
 تَمُرُّ بِكُمْ قُبْلَةً لَا تَرَائِمُ . وَأَعْيُنُكُمْ لَنْ تَكُونَ سَمَاءَ
 مَرَاثِي الطَّوَّاجِينِ لِلصَّيْفِ زَيْنِ الْفُضُولِ . مَنَادِيْلُكُمْ رِيْشُ بُؤْمِ .
 وَأَنْفَاسُكُمْ حَسْرَاتٌ . وَكُلُّ مَكَاتِيْبِكُمْ نَعِيَاتٌ . وَكُلُّ مَوَاعِيدِكُمْ
 دَعْوَةٌ لِحُضُورِ الْمَائِمِ عِنْدَ الْغُرُوبِ :

قَضَى الْقَلْبُ .

مَاتَ الْعِتَاقُ .

تُوْفِيَتِ الْعَيْنُ . غَابَ الْأَجِبَةُ .

وُورِيَّ أَهْلُ الْيَمَامِ ثَرَاهُمْ .

وَأَنْتُمْ بِأَجْسَادِكُمْ جُنْتُمْ أُخْرِجَتْ بَعْدَ
يَوْمَيْنِ مِنْ قَبْرِهَا لِلْهَوَاءِ . فَلَا عَاشِقَ ضَمَّهُ عَاشِقُ
فِي اللَّقَاءِ ، وَلَا قَمَّ خَلَّ سَقَا قَمَّ خَلَّ ، لِأَنَّ رَوَائِحَكُمْ

خَلَّ طِينِ ،

وَمَصْلُ خَطَايَا ،

لِمَوْتِي بِقَبْرِ عَلِيٍّ عَلَى الْبَحْرِ ،

لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَرَوْا فِيهِ إِلَّا الْمَرَايَا .

وَهَبَّتْ عَلَيَّ رِيَّاحٌ مِنَ الْعَاشِقِينَ ،

رَمْتَنِي بِوَادٍ مِنَ السَّاحِرَاتِ يُذَكِّرُنِي بِاللَّوَاتِي حَكَمْتُ بِهِنَّ اللَّيَالِي

الْقَدِيمَةَ . كُنَّ بِقَامَاتِ عَلِيَّةٍ ، وَشُعُورِ دُخَانِ ،

وَأَعْيُنُهُنَّ حَصَى أَسْوَدَ دُورِ بَرِيْقٍ ، وَأَفْوَاهُهُنَّ مَلَاقِطُ عُلُقِ

فِيهَا شِفَاهُ يُحَرِّكُهُنَّ كَلَامٌ كَمِثْلِ عُوَاءِ ذِنَابِ ، وَهَنَّ

يَقْهَقِهِنَّ حَوْلَ سَرِيرِ عَلَيْهِ أَنَا يَوْمَ كُنْتُ أَسِيلُ
رِجَالًا مِنَ الْجَمْرِ، فَوْقَ نِسَاءِ ذَوَاتِ نُهُودٍ كَقَوْسَيْنِ
مِنْ قُرْحٍ أَوْ بَيَاضٍ.

نَظَرْتُ إِلَيَّ الَّذِي كُنْتُ. كَمْ أَنَا
- أَمْسٍ - بَقَايَا مِنَ الطِّينِ قَدْ نَفَخَ اللَّهُ فِيهَا، فَظَلْتُ
بَقَايَا، لَهَا وَجْهٌ ذَنْبٍ، وَرِجَالًا مُلُوكٍ، وَأَضْلَعُ كَهْفِ
مِلْتَنَ فُؤُوسًا!

لِمَنْ أَيُّهَا الْعَاشِقُونَ أَسَلُّمُ نَفْسِي
الْقَدِيمَةَ؟ أَنْتُمْ أَقَلُّ انْتِقَامًا وَأَكْثَرُ عَفْوًا إِذَا مَا رَمَيْتُمْ
أَصْبَتُمْ، وَلَيْتُمْ إِذَا مَا قَسَوْتُمْ. تَرِقُّونَ حَتَّى تَصِيرُوا
مَتَى الْمَاءُ يَغْطِشُ مَاءَ لَيْشْرَبَ. تُعْطُونَ سَيْفًا فَيَحْمِلُ
كُلُّ حَبِيبٍ جِرَاحَ سِوَاهُ. أَنَا الْآنَ أَعَمَّقُ مِنْكُمْ وَأَنْقَى.
دَعُوا حَاضِرِي الْآنَ يَقْتُلْ بَعِيدِي الْمُدِلَّ، وَلَا تَقْتُلُونِي.
فَلَسْتُمْ بِأَجْمَلَ مِنْ نَدَمِي الْآنَ. إِنِّي

رَأَيْتُ كَلَامَ دِمَائِي
لَمَّا رَأَيْتُ سَطُورَ طَرِيقِي.

وَإِنِّي الْعَمَامُ،
تَغْوَصُ بِقَلْبِي سَيْوْفُ بُرُوقِي .

وَلَسْتُمْ سِوَى مُبْجِرِينَ
أَمَامَ عَرِيْقِي .

تَفْتَحُ لِلْعَاشِقِينَ جَنَاحَ
وَعَابُوا .

وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ عَلَى الْعَيْنِ
إِلَّا
الضَّبَابُ،

تُلُوْحُ بِهِ شُعْلُ رَاقِصَاتِ
وَهْنٍ
جِرَابُ،

طَعَنْتُ بِهَا خَضِرَ أَمْسِي، فَلَا أَشْرَقَتْ
فَوْقَهُ الشَّمْسُ حَتَّى تَرَاهُ. وَلَمْ يَمْحُهُ اللَّيْلُ عَنِّي،
أَوْ يُخْفِيهِ جِئِنَ مَاتَ
تُرَابٌ.

أَحَاطَتْ بِي السَّاحِرَاتُ،
وَأَلْقَيْنَ كُلَّ حِرَابِي عَنِّي،

لِتَعْصِفَ فِيَّ
رِيَا حُ انْتِقَامِكِ مِنِّي.

العقَابُ

كَاهِنُ «الشَّامَانِ» ذُو الْوَجْهِ الَّذِي مِنْ
 حَجَرٍ، وَاللَّحِيَّةِ الْخَضْرَاءِ، وَالْكَفِّ الْمُرَوَّاةِ بِجَنَائِ الْمَسَا، مَا كَانَ
 إِلَّا قَاضِيَ الْمَوْتَى الَّذِي يَسْكُنُ فِي كُوخٍ مَلِيءٍ بِتَوَابِيثَ
 عَلَى أَطْرَافِهَا أَحْكَامٌ مَنْ قَدْ دُفِنُوا فِيهَا. وَكَانَ الْكُوخُ
 مَسْقُوفًا بِأَجْفَانِ ضَحَايَا يَرْشُحُ الدَّمْعُ عَلَى «الشَّامَانِ» مِنْهَا،

فَيَجِيءُ الْخَاطِئُ الْمَغْلُولُ مَحْمُولاً عَلَى مِيزَانِ رِيحٍ.

هَكَذَا

جِئْتُ

فَمَدَّ الْكَاهِنُ الْخَارِطَةَ الطَّقْسِيَّةَ
الْجِلْدِ أَمَامِي، اخْتَرْتُ خَطًّا مِنْ خُطُوطِ سَبْعَةٍ، كَانَ طَرِيقاً
مِنْ ثَمَانِي طُرُقٍ، يَقْطَعُهَا الْخَاطِئُ فِي لَيْلٍ عَلَيْهَا أَبْدِي،
تَحْتَهَا وَادِي جَجِيمٍ، حَوْلَهَا تِسْعَةُ أَسْوَارٍ عَلَيْهَا حَرَسٌ، يَصْفُ
زُجَاجٌ

مَالِحٌ مُفْتَرِسٌ،

يَصْفُ

ضَرِيحٌ.

أَقْبَلَ اللَّيْلُ،

فَمَا كَانَتْ طَرِيقِي غَيْرَ شَعْرَةٍ

هِيَ تَحْتِي

حَدُّ شَفْرَةٍ

كَاهِنُ «الآتاي» نَادَانِي، تَقَدَّمْتُ مِنْ
النَّخْلَةِ. لَا شَيْءَ سِوَى أَنِّي خَطَايَا. لَمْ يُقَدِّمَ لِي
عَصَا، أَوْ قِرْبَةً. لَا زَادَ لِلْخَاطِيءِ. لَا ثَوْبَ. وَلَا
صَوْتٌ إِذَا نَادَى. وَلَا سُزْعَةً إِنْ خَافَ. وَإِنْ ضَاعَ
مَضَى نَحْوَ جَحِيمٍ قَدْ أَعَدَّتْهُ الْقَوَانِينُ لِمَنْ مَاجَتْ بِهِمْ
لَذَائِهِمْ أَكْثَرَ مِنِّي.

رُحْتُ أَجْتَازُ صَحَارَى، الرِّيحُ فِيهَا لَعَنَاتٌ.
وَالرَّمَالُ السُّودُ أَمْوَاجٌ عَلَيَّهَا زَبَدٌ مِنْ شَوْكِ صُبَّارٍ،
وَنَمَلٍ جَائِعٍ.

أَهْ التَّهْمِ - قُلْتُ لَهُ - يَا نَمْلُ أَعْضَائِي،
كَيْ أَنْقِذَ نَفْسِي مِنْ مُحِيطَاتٍ إِذَا طُفْتُ عَلَيْهَا
التَّهْمَتَيْنِي قَطْرَةً، ثُمَّ رَمْتَنِي
بَيْنَ فَكَّيْنِ
لِقَطْرَةٍ

بَعْدَ أَنْ تُضْحَ
جَمْرَةَ.

٣

لَفَنِي «الْمَايَا» بِنَارٍ، كُلَّمَا صِرْتُ رَمَادًا،
دَخَلْتَنِي حَشْرَاتٌ كُنْتُهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ أُدْرِي.

عَذَابِي هُوَ

أَنِّي بِتُّ أُدْرِي مَنْ أَنَا لَمَّا قَدِيمًا كُنْتُ حَيًّا.

حَشْرَاتٌ

حَشْرَاتٌ

حَشْرَاتٌ

جَسَدِي أُدْرِكُ أَنِّي كُنْتُهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ

أُدْرِي، وَلَكِنْ

جِئْتُ مَاتٌ

كَتَبَ «الْمَايَا» عَلَى قَبْرِي :
تُرَابُكَ

لَيْسَ إِلَّا حَشْرَاتٍ كُنْتَهَا .

هَذَا

عَذَابُكَ .

٤

خَوْفَ أَنْ يَغْلِقَ شَيْءٌ
مِنْ خَطَايَايَ عَلَيْهِ

مَدَّ قَاضِي «الْأَكْدِيِّينَ» بَعِيداً
عَنْ جِذَائِهِ يَدَيْهِ

فَتَّ عَنِّي جَسَدِي . أَصْبَحْتُ تُوبِي .

إِنِّي الْآنَ رَتَيْتُ، هُلْهَلْ، مَنَدَثِرٌ. يَسْكُنُنِي عَثٌ
بَلَا مَأْوَى. إِذَا الْمَيْتُ غَدَا مُهْتَرِئاً
يَلْبَسُنِي.

وَإِذَا مَرَّتْ بِخَيْطِ إِبْرَةٍ
تُنْكِرُنِي.

وَإِذَا طَوَّفَ عَيْنِيهِ مَقْصٌ
فِيَّ لَا
يَغْرِفُنِي.

٥

قَالَ قَاضِي «سُومِر»:
إِزْجَعُ غُبَاراً. كُلُّ مِنَ الصَّلْصَالِ.
لَنْ تُبْصِرَ نُوراً. كُلَّمَا مَسَّ جَنَاحِيكَ هَوَاءً، غَرِقَا فِي

زُرْقَةٍ صَارَتْ وَحَوْلًا لَكَ بَابٌ، إِنَّ تُعَالِجَ قِفْلَهُ
تَفْتَحُهُ، لَكِنْ لَنْ تَرَى إِلَّا قُضَاءَ عَبْدُوا فِرْعَوْنَ
فِي مِصْرٍ.

فَتَحْتُ الْبَابَ كَيْ أَهْرَبَ مِمَّا سَوْفَ أَبْقَى
فِيهِ. قَاضِي «سُومَرَ» الْعَادِلُ لَمْ يَكْذِبْ.

أَتَى قَاضِي

مِيَاهِ النَّيْلِ، فِي كَفِّهِ مِيزَانٌ، فَأَلْقَى فِيهِ قَلْبِي،
ثُمَّ أَلْقَى جَبَلًا فِي الْكُفَّةِ الْأُخْرَى كَمَنْ أَلْقَى نَسِيمًا.

قَادَنِي لَيْلَانَ مِنْ أَعْلَى صُرَاخِي.

رَمَيْانِي فِي جِحِيمٍ يَشْرَبُ الْمَوْتَى بِهِ لَذَاتِهِمْ بَوْلًا
بِهِ دُودٌ، وَفِي رَاحَاتِهِمْ مِلْعَقَةٌ مِنْ رَأْسِ أَفْعَى،
كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ عَضَّتْ لَهُمْ أَلْسِنَةً يَنْسَابُ
فِيهَا السُّمُّ حَتَّى تَغْتَدِي أَعْيُنُهُمْ بَيْضًا صَغِيرًا فِيهِ
نَمْلٌ

أَخْمَرٌ،

مُرْتَعِبٌ.

وَعَلَى كُرْسِيِّ أَثْفِ، جَلَسَتْ تَنْقُرُ
بَيْضَ النَّمْلِ فِي أَعْيُنِ مَنْ مِثْلِي عَاشُوا
عَقْرَبُ.

٦

حَارِسَا الْبَوَابَةِ الْحَمْرَاءِ قَادَانِي إِلَى
مَعْبَدِ شَمْعٍ وَبَخُورٍ، جَالِسٌ فِيهِ يُصَلِّي كَاهِنُ الْهِنْدُوسِ.
لَمْ يَنْظُرْ إِلَيَّ وَجْهِي. أَعْطَى السَّيْفَ لِلْحَارِسِ. شَكَّ
الْحَارِسُ السَّيْفَ بِقَلْبِي. صِرْتُ قِسْمًا جَسَدِي،
قِسْمًا خَيَالِي.

جَسَدِي أُدْخِلَ فِي ثَقْبِ
يُودِي لِقِفَارٍ يُضْبِحُ الْخَاطِيءُ فِيهَا ذَا جَنَاحَيْنِ مِنَ الصُّبَارِ،
فِي رَأْسِ عَلِيهَا جَرَسٌ تَفْرَعُهُ الرِّيحُ لِكَيْ يُسْرِعَ
نَحْوَ الْأَنْهَرِ السُّودِ الَّتِي أَمْوَجُهَا قَيْحٌ جَرَى مِنْ جُرْحِ
يَنْبُوعِ رَمَاهُ رَاعِي الشَّمْسِ بِسَهْمٍ إِنْ يَغْضُ فِي

الماء يُصْبِحُ قَيْحَ غَيْمٍ .

عِنْدَمَا الْأَنْهَرُ أَلْقَتْنِي عَلَى ضِفَّتَيْهَا ،
شَاهَدْتُ غَابَاتٍ بِهَا الرِّيحُ مَسَنٌ ، كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَى
غُضُنِ غَدَتْ أَوْرَاقُهُ الْبَيْضُ سُيُوفًا ،
دَبَّحْتَنِي ،

مَرَّقْتَنِي وَرَمْتَنِي قِطْعًا . أَحْرَقْتَنِي الْجَمْرُ
الَّذِي لَتَّ جِرَاجِي بِرَمَادٍ ،
وَالْكِلابُ
التَّهَمَّتَنِي .

فَتَقَاسَمْنَا أَنَا وَالرِّيحُ دُورَيْنَا . فَلِي
أَصْوَاتُهَا عِنْدَ صُرَاجِي ، وَلَهَا فِي عَضْفِهَا سُرْعَةُ عَدْوِي .
بِرُكَّةٍ فِي آخِرِ الْعَابَةِ مَلَأَى
بِجِرَاحٍ ، فَايَّرَ مِنْهَا دَمٌ ذُو عَفْنٍ أَنَا ، وَأَنَا صَدَأٌ .
يَعْلُو الدَّمَ الْفَايِّرَ بِالذِّدَانِ سِرْبٌ مِنْ أَكْفٍ قَدْ

عَلَاهَا بَرَصٌ، تَنَكَّأَ مَا يَدْنُو إِلَيْهَا مِنْ جِرَاحٍ
بِالنَّبَالِ

بِرِزْقَةٍ بِالرَّغْمِ مِمَّا هُوَ فِيهَا مِنْ
عَذَابٍ، لَمْ تَكُنْ إِلَّا
خَيَالِي.

٧

بَعْدَمَا أَخْرَجَنِي «مَزْدَكُ» مِنْ قَاعَتِهِ
الزَّرْقَاءِ، قَادَتْنِي فَتَاءٌ مَعَهَا كَلْبَانٍ فِي أَجْنِحَةِ حُمْرٍ
إِلَى قَوْسٍ
فُرُخٍ،

رُفِعَتْ مَخْنِيَّةٌ مِثْلَ
نَوَافِيرِ الْبَلَخِ.

لَمْ تَكُنْ إِلَّا سُيُوفًا سَبْعَةً،
أَلْوَانُهَا السَّبْعَةُ كَانَتْ مِنْ دِمَائِ سَبْعَةٍ سَأَلْتَ عَلَى
الْقَوْسِ مِنَ الْمَوْتَى الَّذِينَ اذْتَكَبَ الْخَاطِئُ مِنْهُمْ مَرَّةً
إِخْدَى الْخَطَايَا السَّبْعَ.

إِنِّي خَاطِئٌ مُزْتَكِبٌ
سَبْعَ خَطَايَا.

وَسَاجَتَارُ السُّيُوفِ السَّبْعَةِ الْمَحْنِيُّ مِنْهَا
رُبَّمَا الْحَدُّ أَوْ الصَّفْحَةُ. كَانَتْ كُلُّهَا حَدًّا. وَلَمَّا رُحْتُ
أَمْشِي فَوْقَهَا، سَأَلَ دَمِي سَبْعَةَ أَلْوَانٍ لَهَا
صَفْوُ الْمَرَايَا.

عِنْدَمَا اجْتَزْتُ سُيُوفَ الْقَوْسِ أَصْبَحْتُ
رَمَادًا. وَرَمَادِي صَارَ غَيْمًا، كُلَّمَا هَبَّتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ يَبْكِي،
إِذْ يَرَى أَنَّ دِمَاءَ الْقَوْسِ لَيْسَتْ دَمُهُ. فَهِيَ دِمَاءُ
امْرَأَةٍ يَدْعُونَهَا الشَّمْسُ الَّتِي ضَاجَعَهَا، فَاْمْتَصَّ مِنْهَا عِشْقَهَا

ثُمَّ رَمَاهَا لِضَبَابٍ، نَائِحَاتٍ فَوْقَهَا
فِيهِ الْعَشَايَا.

لَا نَسِينَمُ دَافِيَةً. لَا شَمْسَ بَعْدَ
الْيَوْمِ. بَرْدٌ أَسْوَدٌ. قَيْءٌ وَدُوْدٌ مِنْ قَفَا الْمَاعِزِ. يَأْسٌ
مِنْ شَرَابٍ هُوَ مَضْلُ الْقَبْرِ. لَا نَوْمَ وَلَوْ قُرْبَ
اهْتِرَاءِ الْمَيِّتِ. نَادَيْتُ عَلَى النَّادِلِ فِي مَفْهَى الْأَقَاعِي:
أَعْطِنِي شَيْئاً مِنَ الْقَيْحِ.
فَلَمْ يَحْمِلْ مِنَ الْقَيْحِ إِلَى

زَاوِيَتِي

حَتَّى الْبَقَايَا.

٨

«قُمْ قَوِيًّا» - قَالَ لِي «رَادَا»
وَدَعَّ مَقْبَرَتَكَ.

أَتَرَى الصَّخْرَةَ؟
إِحْمِلْ صَخْرَتَكَ».

سَحَقْتَنِي صَخْرَتِي. نِسْرَانِ حَامَا فَوْقَ
مَوْتِي. كُلُّ نَسْرِ شَكٌّ فِي خَاصِرَتِي مِنْقَارُهُ. شَقًّا
جَبِينِي.

مَزَّقَا لِي كَبِدِي.

فَتَحَا دَائِرَةَ حَمْرَاءَ
فِي جَوْفِ يَدِي.

أَلْقَيْانِي فِي مِيَاهِ
مُرَّةٍ مُعْتَكِرَةٍ.

كُلَّمَا الْمَاءَ عَلَا نَحْوَ فَمِي، حَاوَلْتُ
أَنْ أَشْرَبَ كَيْ أَنْسَى قَلِيلًا عَطَشِي. يَنْحَسِرُ الْمَاءُ

فَيَدْنُو مِنْ جَبِينِي ثَمْرًا. أَزْفَعُ كَفِّي، فَتَدْنُو رَأْسَ
تَيْنَيْنِ إِلَيَّ
الشَّجَرَةَ.

هَبَّتِ الرِّيحُ وَلَكِنْ تَحْتَ مَاءِ
النَّهْرِ. رَاحَتْ مَرَّةً تَقْدِفُنِي لِلصَّخْرِ. أَنَا لِحِرَابٍ مِنْ
تَعَابِينِ عَلَيْهَا أَجْنَحُ مِنْ أَسْهُمٍ. أَوْنَةٌ يَضْفَعُنِي لَوُحٍ
مِنَ الصُّبَّارِ. أَوْ تَبْصُقُ فِي وَجْهِي تَوَابِيثُ بِشَكْلِ
امْرَأَةٍ، ضَاجِعَ مَوْتِي وَهُوَ سَكْرَانٌ مِنَ الْمَضَلِ
تَوَابِيثَ
سِوَاهَا.

وَأَخِيرًا
قَدَفْتُنِي الرِّيحُ فِي رِيحِ هَمَا
فِي عَشْرِ أَنْبَالٍ مِنَ الْبَرْقِ
يَدَاهَا.

فَرَمْتَنِي عِنْدَ شَطِّ قَائِمٍ فِي رَمْلِهِ
 مَوْتَى أَتُوا لِلشَّطِّ مِنْ أَلْفِ جَحِيمٍ عُدُّبُوا فِيهِ، لِكَيْ
 يَسْتَغْفِرُوا مَنْ وَقَفُوا فَوْقَ صُخُورٍ لَفَّهَا الثُّورُ، وَقَدْ
 جَاؤُوا لِكَيْ يُضَعُّوا إِلَيْنَا عَلَّهُمْ يَرْضُونَ إِنْ نَحْنُ
 تَوَسَّلْنَا إِلَيْهِمْ.

كُنْتُ عَذْرَاءَ عَلَيْهَا أَبْيَضٌ مِنْ
 زَهْرٍ حَوْخٍ بَيْنَهُمْ. كُنَّا كَمَنْ قَدْ غُرِرُوا فِي
 مَعْدِنِ الْجَمْرِ. وَكَانَ الْمَوْجُ لَا مَوْجَةَ إِلَّا وَهِيَ قَيْدُ
 كُلِّمَا انْفَكَّتْ عَنِ الْأَرْجُلِ مِثْلًا مَوْجَةً، شَدَّتْ عَلَيْهَا
 مَوْجَةٌ أَشْرَسُ مِنْهَا.

- يَا مَنْ الرَّحْمَةُ أَبْهَى مَا بِهَا.
 أِهْ اغْفِرِي لِي. لَيْسَ لِي دَمْعٌ لِأَبْكِي. أَوْ يَدًا مُبْتَهَلٍ
 حَتَّى أَصْلِي. كُلُّ مَا فِي جَسَدِي لَيْسَ مَعِي، حَتَّى
 تَرِي أَنِّي قَدْ أَصْبَحْتُ نُسَاكِكِ فِي وَادِكِ «قَنْوَبِينَ»
 تَحْتَ الْأَرْزِ. لَا أَشْكُو مِنْ الْأَلَامِ فِي أَيِّ جَحِيمٍ.
 أَلَمْ الْأَشْيَاءِ أَنِّي لَمْ أَنْلِ غُفْرَانَ كَفِّيكِ لِقَلْبِي.

لَمْ أَنْمِ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ لِكَيْ أَرْتَاحَ مِنْ حُزْنِي
قَلِيلًا، فَأَخْلَقِي لِي مُفْلَتِي نَوْمٍ وَلَوْ ثَانِيَةً
حَتَّى أَنَامَا.

- لَيْسَ لِي قَلْبٌ لِكَيْ أَعْفِرَ. أَوْ
كَفَّانِ كَيْ تَمْسَحَ عَن جُرْحِكَ رُوحِي بِهِمَا مِلْحَ الخَطَايَا.
كُلُّ مَا كَانَ أَنَا
عَارَ انْتِقَامَا.

كُلُّ مَا صِرْتُ أَنَا كَانَ رِضًا
عِنْدَكَ!
- لَأَ، كَانَ خُضُوعًا. كُنْتُ رِيحًا،
وَأَنَا
كُنْتُ العَمَامَا.

عِنْدَمَا أَصْبِحُ وَخَدِي، لَمْ أَكُنْ

أَمْطِرُ كَيْ أَجْعَلَ سَهْلِي لِأَغَانِيكَ جَنَاحًا،
وَلِكَيْفِكَ خُرَامِي.

كُنْتُ

أَبْكِي.

أَتْرُكُ النَّيَّاتِ فِي مَقْصُورَةِ الْعُرْيِ،
وَسَمِعَ الشَّعْفِ الذَّائِبِ فِي خَضْرِي، وَأَمْضِي نَحْوَ أَفْقَاصِي
لِكَيْ أَدْخَلَ فِي قُمْصَانِهَا السُّودِ

يَمَامَا.

مَالِحَ وَجْهِكَ فِي قَلْبِي. وَعَيْنَاكَ
ذَنَابَ تَحْتَهَا ظَبِيَّةُ صَيْفِ جَسَدِي. أَهْدَيْتَنِي مِنْدِيلَ جَمْرِ
كُلَّمَا شَاهَدْتَنِي أَبْكِي. وَلَمْ تَتْرُكْ جَحِيمًا لَمْ تَضَعْ
رُوحِي فِيهَا. قَامَتِي تَقْطِيرُ بِلَلُّورٍ، وَتَفْتِيحُ بَسَاتِينٍ، وَمَوَالٍ
رُعَاةٍ، كُلُّهَا، صَارَتْ جَنَازَاتٍ، مَشَى فِيهَا غُرَابٌ حَامِلٌ
إِكْلِيلَ نَائِي أَبْيَضًا. كَاهِنُهَا بُومٌ. عَذَارَاهَا عِصِي نَائِحٌ

فِيهَا بَقَايَا شَجَرٍ
كَانَ حَدَائِقُ

يَزْتَدِي خَلْفِي سَوَادًا، نَسَجْتُهُ بَعْدَكَ
النَّارُ عَبَاءَاتِ رَمَادٍ،
وَمَنَادِيْلَ حَرَائِقِ.

لَمْ أَكُنْ أَسْمَعُ غَيْرِي وَهُوَ يَسْتَغْفِرُ
مَنْ كَانُوا ضَحَايَاهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَفَا، أَوْ أَنْزَلَ
الرَّحْمَةَ، أَوْ بَارَكَ، إِلَّا هِيَ. قَالَتْ رَفَضَهَا بَاكِيَةً
وَأَنْصَرَفَتْ،

وَأَنَا صَوْتُ غَرِيْقٍ وَيَدٌ مَمْدُودَةٌ،
حَتَّى اخْتَفَتْ.

أَيُّهَا الْخَوْفُ الَّذِي يَتَّبِعُنِي، يَسْكُنُ
 بِي، يَضْرُخُ فِي وَجْهِ، يُنَادِينِي كَأَنِّي عَبْدُهُ، إِنْ
 عِشْتُ لَا أَلْقَى أَمَامِي أَحَدًا
 إِلَّا يَدِينَهُ،

وَإِذَا مِتُّ، مَحَانِي
 بِتُرَابٍ سَاقِطٍ
 مِنْ
 قَدَمِيهِ .

لَمْ يَدْعُنِي مَرَّةً فِي الْأَرْضِ وَخَلْدِي،
 رَغَمَ أَنِّي وَأَنَا أَهْرُبُ مِنْهُ، ذَاهِبٌ فِي
 آخِرِ الْأَمْرِ
 إِلَيْهِ

أَمْتَطِنِي الْقَمَحَ جَوَادًا. فِي يَدِي سَيْفٌ
مِنَ النَّوْمِ. دَمِي رُمُحٌ. عَلَى صَدْرِي دِرْعٌ مِنْ مِيَاهِ.
خُودَتِي عَقْلِي. وَلَذَاتِي جُنُودِي. غَيْرَ أَنِّي دَائِمًا مُنْهَزِمٌ،
وَهُوَ قَدِيرٌ قَاهِرٌ، لَا رَحْمَةً فِيهِ،
وَلَا عَفْوَ لَدَيْهِ.

كُلُّ مَا أَفَعَلَهُ لَيْسَ سِوَى نِسْيَانِهِ.
جَاءَتْ إِلَيَّ امْرَأَةٌ يَدْعُونَهَا أُسْطُورَةٌ تُقْنِعُ رُوحِي أَنَّهُ
جِسْرٌ مِنَ الْأَسْوَدِ مُمْتَدُّ لِكَيْ أُعْبِرَهُ نَحْوَ بَيَاضِ دَائِمِ.
جَاءَ النَّبِيُّونَ، الْقُضَاةُ، الْحُكَمَاءُ، افْتَرَشُوا الْأَيَّامَ فِي مَنْزِلِ
حُزْنِي، حَاوَلُوا الشُّعْرَ، الصَّلَاةَ، الْغَيْبَ، حَدَّ السَّيْفِ، نَايَاتِ
الْمَسَاءِ، الْفِرْدَوْسَ، نِيزَانَ الْجَجِيمِ، الْحُلْمَ، لَمَّا يَتْرُكُوا لُونًا،
وَلَا سِحْرًا، وَلَا جِبْرًا، لِكَيْ يُقْنِعَنِي، أَوْ نَعْمًا، أَوْ
حَجْرًا، أَوْ رَقْصَةً، مَا ظَلَّ فِي مَنْطِقِهِمْ

صَمْتُ،

وَصَوْتُ.

قَالَ

عَقْلِي:

يَضَعُ الشَّيْءُ إِذَا مَاتَ إِلَى أَجْمَلِ
مِنْهُ، مَا خَلَا الْإِنْسَانَ، يَغْدُو حَفْنَةً إِنْ مَسَّ يَوْمًا
جِسْمَهُ النَّايِضَ

مَوْتُ.

يَا جَمَالَ الْأَرْضِ وَالْآفَاقِ لَنْ
أَبْقَى هُنَا، حَوْلِي رَفْصُ الرِّيحِ، فَوْقِي خَيْمَةٌ مِنْ
قَصَبِ الزُّرْقَةِ أَوْ

قَشِّ
النُّجُومِ

وَجَحِيمِي!

هِيَ لَيْسَتْ بَعْدَ مَوْتِي. بَيْنَ حُبِّي
لِبَقَائِي، وَرِيَّاحِ الْخَوْفِ مِنْ مَوْتِي،
جَحِيمِي.

رُبَّمَا، كَيْ أُطْفِئَ الْعَقْلَ الَّذِي
عَذَّبَنِي، أَخْرَجْتُ خَمْرًا أَشْرَبُ اللَّاهَمَ فِيهَا، مِنْ
كُرُومِي.

لَا جَحِيمٌ هِيَ أَقْسَى مِنْ جَحِيمِي .
وَاحْتِمَالِي النَّارَ فِيهَا، لَيْسَ يَأْتِينِي سِوَى مَنْ عَبَّيْتُ،
أَوْ مِنْ مِيَاهِ امْرَأَةٍ أَغْرَقُ فِيهَا . لَمْ أَكُنْ أَعْبَثُ،
لَكِنْ كُنْتُ أَنْسَى . لَمْ أَكُنْ أَعْشَقُ، لَكِنْ،
كُنْتُ أَشْرَبُ

مِنْ نَيْدِ الْعِشْقِ،
كَيْ لَا أَتَعَدَّبُ .

هَذَا أَنَا الْآنَ وَلَا نَسِيَانٌ عِنْدِي
هَذَا أَنَا الْآنَ بِغَيْرِ امْرَأَةٍ أَغْرَقُ فِيهَا . لَيْسَ لِي
إِلَّا ثَوَانٍ تَتَوَالَى . كُلَّمَا ثَانِيَةً مَرَّتْ، رَمَتْ بَعْضِي
بِسَهْمٍ، هَذَا أَنَا بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْ جَرَّاجِي
تَتَدَاوَى،

أَنْهَاوَى .

وَالِىْ أَيْنَ؟ إِلَى

تَفْتِنِي

رُوحِي،

فِي

ضَرْيَجِي .

عِنْدَمَا فَتَّشْتُ أَعْمَاقَ مَلَائِكِي مَرَّةً،
شَاهَدْتُ فِيهَا رَجُلًا لَمْ يَفْتَنِعْ بِالدِّينِ، وَالْقَانُونِ، وَالْأَخْلَاقِ .
يَحْيَا سَاحِرًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَهُوَ مَلْعُونٌ . وَكَذَّابٌ . وَلَا
يَشْعُرُ بِالرَّحْمَةِ . لَا يَبْضُقُ إِلَّا فِي الْمَرَايَا عَاصِفٌ .
عَاصٍ . وَمَمْقُوتٌ لَدَيْهِ الْحَقُّ . رَجْرَاجٌ . يُعَانِي قَلْقًا مِنْ زُبْتِي .
مُنْفَصِمٌ . أَسْرَارُهُ مِفْصَلَةٌ . يَذْبَحُ لِلَّيْلِ خِرَافَ الشَّمْسِ . طَاعٍ .
وَقَحٌّ . يُطْلِقُ فِي الْمَوْجِ جَنَاحَ الْبَحْرِ . مَكَّارٌ ، جَبَانٌ .
خَائِنٌ . مُرٌّ

وَلَكِنَ،

كُلَّمَا أُعْطِيَتْهُ لُغْبَتَهُ، حَطَمَهَا. يَعْشَقُ،

لَكِنْ،

كُلَّمَا جَاءَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ، رَمَدَهَا. يَضَعُدُ،

لَكِنْ،

كُلَّمَا حَمَلَتْهُ شَمْسًا، رَمَاهَا. يَزْتَدِي الكَاهِنَ،

لَكِنْ،

كُلَّمَا

تَجَرَّبَهُ أُعْرَثَهُ، يَغْرَى.

أَه مِنْ

لَكِنْ!

فَمَا مِنْ أَحَدٍ

يَمْلِكُ إِلَّاهَا

الْحَقِيقَةَ.

تَمْلِكُ «الْأَكْبَرُ» أَسْرَارَ جَمِيعِ النَّاسِ.

مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا تَمَنَّى قَتْلَهَا. إِلَّا سَعَى أَنْ يَزْتَدِي

قَبْرًا لِكَيْ يَذْفِنَهَا. لَا قَبْرَ لِلسَّرِّ سِوَى أَعْمَاقِ نَفْسِي.
وَعَمِيقٌ هُوَ قَبْرِي، كَلَّمَا نَفْسِي فِي أَسْرَارِهَا
كَأَنْتَ
عَمِيقَةٌ.

كُلُّ قَائُونٍ إِلَى الْآنَ اغْتِيَالٌ لِحَاجَتِي.
كُلُّ دِينٍ شَارَكَتْ جَنَّتُهُ فِي صَلْبِ عَقْلِي. قُلْتُ:
لَا حَاجَةَ لِلْقُسُوءِ فِيهَا. إِنَّمَا الدُّنْيَا إِذَا لَأَنْتَ
فَحَبْلٌ؛ وَحُسَامٌ قَاطِعٌ وَهِيَ
رَقِيقَةٌ.

هَلْ عَرَفْتَ الطُّيْبَ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ؟!
لَوْ عَرَفْتَ الطُّيْبَ يَوْمًا مِنْ قَرِيبٍ، لَمْ تَجِدْ إِلَّا
دَمًا قَدْ سَالَ مِنْ

عُنُقِ
الْحَدِيقَةِ.

هَذِهِ الْأَرْضُ سَمَائِي. نَقَلُوا الْجَنَّاتِ
عَنْهَا. حُرَّةٌ فِي الرِّيحِ. خَضْرَاءُ وَرَزْقَاءُ. لَهَا رَمْلٌ
سَرِيرٌ، كُلَّمَا هَبَّ هَوَاءٌ، صَارَ جِسْمَ امْرَأَةٍ. آسِرَةٌ.
سِرِّيَّةٌ. ذَاتُ شَبَابِيكَ عَلَى مَا لَا نِهَائِيَاتَ لَهُ. فِي
عُمُقِهَا خِضْبٌ. وَفِي غَابَاتِهَا تَفْتِيحٌ أَفْحَاذٍ لِمَا يَقْطُرُ
مِنْ غَيْمِ الْأَعَالِي. نَهْرُهَا طَيَّارَةٌ مِنْ وَرَقٍ، يَرْبِطُهَا
الْبُلْبُلُ بِالْخَيْطِ وَيَجْرِي فَوْقَ سَهْلٍ إِسْمُهُ دَفْتَرُ لُوزِكَا
هِيَ زَارٌ حَوْلَهَا. نَحْلٌ حَوَالِي شَمْسِهَا. لَا ذَكَرَ فِيهَا،
وَلَا أَنْثَى، وَلَمْ تَدْخُلْ بِتَكْوِينِهِمَا فَآكِهَةُ الْأَشْجَارِ. لَا
مَوْجٌ وَلَمْ تَلْمَحْهُ فِي خَضِرٍ. وَلَا عُضْفُورٌ إِلَّا
عُنُقُهُ ذَابَتْ عَلَى إِضْبَعِ طِفْلِ. أَخَذَ السَّيْفُ عَنِ
الْبَرْقِ؛ وَجَرِي الخَيْلِ عَنِ عَضْفِ الْبَرَارِيِّ. تَلْمَسُ الصُّبْحَ
بِنَهْدٍ. وَتَشْمُ الصَّدْفَ الْبَحْرِيَّ تَحْتَ الْبَطْنِ مَبْتَلًا بِمِلْحٍ
وَحَشِيشٍ. وَإِذَا مَا حَمَلَ الْعُكَّازَ يَوْمًا جَسَدٌ صَارَ
عُرُوبًا. وَإِذَا سَنَبَلَةٌ أَرْسَلَهَا الصَّيْفُ إِلَى طَاخُونَةٍ صَارَتْ
مَلَكَاءَ. كُلُّ شَيْءٍ هُوَ قِدْيَسٌ عَلَيْهَا، أَوْ رَسُولٌ

فُزِحِي الرُّوحَ . عَذْرَاءُ الْيَنَابِيعِ الَّتِي قَدْ وُلِدَتْ فِي
«بَيْتِ صَخْرٍ» مَاءَهَا الْآتِي
بِمَجْدِ الشُّجْرِ .

مُنْزَلُ فُرَّانٍ هَذِي الشَّمْسِ جَنَاتٍ
عَلَى الْعَيْمِ
نَبِيِّ الْأَخْضَرِ .

إِنَّمَا النَّحْلَةُ فِي وَرْدَتَيْهَا،
قَدَيْسَةٌ
مِنْ سُكَّرِ .

كُلَّمَا أَعْوَتْ نَخِيلًا نَسَمَةً، حَجَّتْ
إِلَى مَكَّتَيْهَا،
وَاسْتَلَمَتْ فِي الصَّيْفِ
وَجَهَ الْحَجْرِ .

يَضَعُدُ الشَّرْبَيْنِ صَوْفِيًّا إِلَى الْعِزَّةِ

فِي الرِّيحِ، وَقَدْ ذَابَ
بِرْقُصِ الْمَطْرِ.

وَيَطُوفُ الْبَجَعُ الْأَبْيَضُ حَوْلَ الْبِرَكِ

الزُّرْقِ عَذَارَى. وَيَعِيشُ الْعُشْبُ زُهْبَانًا

بَدِيرِ الزُّعْتَرِ.

سَائِجِنٌ فِي جَسَدِي خَمْسَةٌ فِثْيَانِ

وَعَذْرَاءٌ. إِذَا مَا خَرَجُوا لِلْأَرْضِ عَادُوا حَامِلِينَ الْمِتْعَ

الْخَمْسَ إِلَيْهَا. وَهِيَ تَخْشَى أَنْ يَشِيخُوا. وَأَسْمُهَا:

«رُوحٌ».

وَهُمْ يَخْشَوْنَ أَنْ تَغْدُو بِلَا أَجْنِحَةٍ تَسْبَحُ فِيهِمْ نَحْوَ

مَا يُسْمَعُ فِي اللَّيْلِ نَوَاقِينِسُ لَهُ وَهُوَ

بَعِيدٌ.

مَرَّةً غَابَ فَتَى مِنْهُمْ وَلَمْ يَرْجِعْ.

وَيَوْمًا شَاهَدْتُهُمْ كَبِرُوا، فِي كَفِّهِمْ عُكَّازُ صَوَّانٍ وَهُمْ
مَاءٌ. فَجَاءَتْ بِسَوَادٍ وَارْتَدَّتْهُ.

كَانَ تُلْجَأً.

كُلَّمَا ذَابَ تَذُوبٌ.

وَبَدَأَ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى

عَلَى الْأَرْضِ الْعَرُوبُ.

هَكَذَا قَدْ بَدَأَ التَّكْوِينُ فِينَا.

أَخْبَرَ الْفِثْيَانُ:

«ظَلَّتْ رُوحُنَا تَحْفَرُ

فِي لَدَاتِنَا حَتَّى اكْتَشَفْنَا الْمَوْتَ، وَهِيَ اكْتَشَفَتْ لَمَّا

حَفَرْنَاهَا الدُّمُوعَ، الْخَوْفَ، وَالْحُلْمَ الَّذِي صَوَّرَهُ الْكَاهِنُ

فِرْدَوْسًا بَدِيلًا عَنِ بَهَاءِ الْأَرْضِ. لَكِن، لَمْ تُصَدِّقْ

رُوحُنَا

كَاهِنَهَا.

فَهِيَ تَدْرِي كَيْفَ جَاءَتْ . وَإِلَى أَيْنَ
سَتَمْضِي . إِنَّ مَنْ أَلْبَسَهَا أَمْسِ بِيَاضِ الْعُرْسِ ، آتٍ
حَامِلاً فِثْيَانَهَا نَعْشاً لِكَيْ
يَذْفِنَهَا .

كُلَّمَا أَغْصُرُ أَحْلَامِي لِكَيْ أَشْرَبَ
عُمْرًا ، يُضِيحُ الْمَوْتُ
نَدِيمًا .

إِنَّهَا مَأْسَاتِي الْكُبْرَى الَّتِي قَدْ
حَوَّلَتْ هَذَا الْبَقَاءَ الْمُرَّ فِي الْأَرْضِ
جَحِيمًا .

لَمْ أَجِءْ إِلَّا مِنَ الْفِرْدَوْسِ . هَذَا
مَا نَصَوَّرْتُ لِكَيْ أَفْنِجَ نَفْسِي أَنْزِي مَا جِئْتُ مِنْ
لَا شَيْءٍ ، أَوْ أَنْزِي سَاحِيًا بَعْدَ مَوْتِي فِي بِلَادٍ

جِئْتُ مَطْرُوداً إِلَى الْكَوْكَبِ مِنْهَا. إِنَّهُ وَهْمٌ. وَلَكِنْ،
رُبَّمَا لَوْلَاهُ أَوْقَفْتُ مَعَ الْأَشْيَاءِ فِي الْكَوْنِ
جَوَارِي.

عِنْدَمَا شَيَّعْتُ فِي الْأَرْضِ
كِبَارِي،

خَفْتُ مِنْ مَوْتِي،
فَأَنْجَبْتُ صَعَّارِي.

غَيْرَ أَنَّ الْيَأْسَ بَثْرٌ وَقَعَتْ فِيهَا
دِمَائِي. قَالَ وَهْمِي:

عِنْدَمَا يَغْمُقُ يَأْسِي، لَا يَرَى
«الْوَكْرِيْسِي» الْمَسْجُوعُونَ بِي، مِنْ مُنْقِذٍ،
إِلَّا
أَنْتِ حَارِي

إِنِّي الْيَائِسُ مِنْ أَنِّي سَأَبْقَى . هَذِهِ
أَقْسَى جَحِيمٍ لَمْ تَدُرْ يَوْمًا بِبَالٍ لِقُضَاةِ النَّارِ فِي
الْكُونِ . وَهَذَا إِنِّي فِيهَا . أَوْ يَا أَيُّهَا الْمَرْأَةُ ،
مُدِّي لِي بِيَاضًا .

أَنْقِذِيَنِي .

أَوْ كَمْ

أَنْتِ جَمِيلَةٌ .

وَخَدِّكَ الْبَاقِي هُنَا مِنْ
أُمِّي الْأُولَى ،

وَفِرْدَوْسِ الطُّفُولَةِ .

أَوْ

كَمْ أَنْتِ جَمِيلَةٌ .

كَيْفَ لَمْ أَكْتَشِفِ الْأَجْرَاسَ إِلَّا

عِنْدَمَا صِرْتُ جَنَازَاتٍ؛ وَقَوْسَ الْجِسْرِ إِلَّا عِنْدَمَا ضَاعَتْ
ضِفَافِي؛ وَعَرِيْسَ الْأَرْضِ إِلَّا عِنْدَمَا أَصْبَحْتُ شَيْخًا.

آه

كَمْ أَنْتِ جَمِيلَةٌ

أَنْقَذِينِي مِنْ جَحِيمِي.

كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَمَا يَنْحَلُّ جِسْمِي يَنْتَهِي!
هَذَا الَّذِي يُفْلِقُ رُوحِي كُلَّ يَوْمٍ. مَا الَّذِي أَفْعَلُهُ
ضِدَّ رَجِيلِي؟ أَزْتَدِي صُورَةَ شَيْءٍ لَيْسَ يَفْتَى. وَلِهَذَا
وُجِدَ الْجَبْرُ! وَلَكِنْ، قَلَقَنِي أَنِّي أَسْمَى خَالِقًا يَفْتَى
لِشَيْءٍ لَيْسَ يَفْتَى. «إِنَّهُ الْفَارِقُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ» (هَذَا قَالَهُ
الْقِدِّيسُ جِبْر) لَنْ أُحِبَّ الْخَلْقَ بِي إِنْ هُوَ
بَاقٍ وَأَنَا فَانٍ. وَأَقْسَى قَدْرِي أَنِّي إِذَا لَمْ أَزْتِدِ
الصُّورَةَ، لَا شَيْءَ سَيَمُضِي بِي إِلَى آتٍ، بِهِ وَحْدِي
أَفْتَى وَهِيَ تَبْقَى. لَيْسَتِ الصُّورَةُ إِلَّا أَنَا، لَكِنْ فِي
غِيَابِي. لَيْسَتِ الصُّورَةُ إِلَّا أَنَا مَيِّتٌ

وَهِيَ حَيَّةٌ.

كَمْ هُوَ الْمَوْتُ لَيْتِمُ،
وَأَنَا وَحْدِي الضَّحِيَّةُ!

لَمْ يُوقِّقْ مَرَّةً فِي قَتْلِهِ الصُّورَةَ،
لَكِنْ، كَلَّمَا أَحْبَبْتُهَا وَدَعَّيْتُهَا أَكْثَرَ. هَذَا مَا يَزِيدُ الْحُزْنَ
وَالْخَوْفَ بِقَلْبِي عِنْدَ مَوْتِي.

لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ إِلَّا عِنْدَمَا الْمَوْتُ
أَتَانِي، أَنَّنِي لَمَّا أَعِشْ
إِلَّا قَلِيلًا.

يَنْظُرُ الْمَرْءُ إِلَى الْأَشْيَاءِ فِي
شَوْقٍ غَرِيبٍ، عِنْدَمَا يَلْمَحُ فِي بَحْرِ ضَبَابٍ زَوْرَقًا
يُدْعَى الرَّحِيلًا.

وَيَرَى حَتَّى دُبَابَ الْجُرْحِ
فِي الْجُرْحِ جَمِيلًا.

يَعْشَقُ الظِّلَّ، أَوْ النَّسْمَةَ، أَوْ يَنْظُرُ
لِلْهَرَّةِ مُشْتاقاً إِلَى اسْتِرْحَائِهَا فِي الشَّمْسِ. لَا شَيْءَ وَلَا
يُعْدُو

أَلَيْفَا،

وَزَلِيلًا

أَنَا مَا أَحْبَبْتُ فِي يَوْمِ حُقُولِ
الْأَرْضِ. لَكِنْ عِنْدَمَا انْشَقَّ عَلَيَّ الْقَبْرُ

أَحْبَبْتُ

الْحُقُولَا

كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَجِيرٌ بِي إِذَا الْمَوْتُ
أَتَانِي. وَأَنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ مُسْتَجِيرٌ. لَمْ يُدَافِعْ أَحَدٌ
عَنِّي. وَقَدْ دَافَعْتُ حَتَّى هَدَأْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ.
كُلُّ شَيْءٍ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ فِيْنَا آخِرَ الْأَمْرِ

فَتِيلًا

فَتَحَتْ أَوْزَاقَهَا الْأَيَّامُ كَيْ أَقْرَأَهَا .
أَحْزَنَنِي مَا جَاءَ فِيهَا . كُلَّمَا أَوْعَلْتُ فِي النَّصِّ اعْتَرَانِي
الرُّغْبُ؛ أَضْحَى جَسَدِي أَكْثَرَ عُكَّازًا وَدَمْعًا . هَذِهِ
الْأَوْزَاقُ كَانَتْ قِصَّتِي فِيهَا . وَزَادَتْ رَغْبَتِي فِي أَنْ
يَطُولَ النَّصُّ لَا حُبًّا بِهِ، بَلْ رَغْبَةً فِي دَفْعِ مَوْتِي
عَنْ بَقَايَايَ
قَلِيلًا .

أِهْ كَمْ حَاوَلْتُ أَنْ أَقْرَأَ
هَذَا النَّصِّ مِنْ أَوْلِهِ . أَوْ أَقْرَأَ الْفَضْلَ الَّذِي يَرْوِي
حَيَاةَ امْرَأَةٍ مَعَ رَجُلٍ أَنْسَتْهُ أَنْ يُكْمِلَ فِي النَّصِّ
الْقِرَاءَةَ .

حَامِلِ الْقِنْدِيلِ مِثًا، نَسِي
الْعَتَمَةَ فِي أَعْمَاقِهِ
لَمَّا أَضَاءَهُ .

أَنَا ذَا النَّصِّ الَّذِي يُدْعَى سِنِينًا فَقَدْتُ
أَوْلَهَا. أَوْلَهَا طِفْلٌ مَحَاهُ الْوَقْتُ، بَاقٍ
فَضْلُ «أَنْتِ»
أَنْقِدْنِي

وَأَنَا أَقْرَأُ
أَوْزَاقَ اغْمِرْنِي

مِنْ
سِنِينِي.

بَيَاضُ إِطَاغُورٍ



غَيْرَتِي حَطَّمْتَنِي. قَتِيلٌ أَنَا، قَاتِلٌ.
 لَا قُضَاءَ مَعَ الْعِشْقِ. لَا حُكْمَ أَفْسَى عَلَيَّ
 مِنَ الْحُكْمِ يَضْرُ عُنِّي مِنِّي. وَمَا مِنْ عَذَابٍ
 وَمَوْتٍ، كَمِثْلِ عَذَابِي لِتَنَفْسِي، وَمَوْتِي بِكَفِّي.
 قَتِيلٌ أَنَا قَاتِلٌ.

لَيْتَ عُمرَكَ يُسرِعَ حَتَّى أَرَكَ

مُسْتَأً.

عَصَا سِنْدِيَانِ.

بِيَاضٍ لِيَطَاغُورَ.

وَجَهْ ضَبَابٌ، بِهِ حِكْمَةٌ وَعُغْمُوضٌ.
عَبَاءَةٌ رَاعٍ قَدِيمٍ. وَرَائِحَةٌ مِلْؤُهَا صَنْدَلٌ وَبِخُورٌ. وَعَرْشٌ
مِنَ الْحَوْرِ عِنْدَ الْعُرُوبِ، إِذَا مَا اسْتَوَيْتَ عَلَيْهِ
سَمِعْتَ حَفِيفَ صَلَاتِي. وَإِنْ قُمْتَ عَنْهُ لِتَمْشِي، مَشَى
حَوْلَكَ الشَّمْعُ مِثْلَ تَلَامِيذِ بُودَا.

هَفَافٌ عَلَى جَسَدِي.
وَأَكَالِيلٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَزُوقِي. وَخُفَا مَلَكَ. وَشَعْرٌ
كَأَوَّلِ لَيْلٍ بِأَذَارِ غَطَاهُ مِنْدِيلُ غَيْمٍ خَفِيفٍ.
عَرُوسُكَ

تَسْجُدُ بَيْنَ يَدَيْكَ، لِتُضْبِحَ عَذْرَاءَ أَكْثَرَ. لَا جَسَدَانِ
لَنَا. إِنَّمَا دُوبَانٌ بِمَا لَيْسَ فِيهِ عِنَاقُ

وَعُرِّي.

إِذَا امْرَأَةٌ عَانَقَتْ رَجُلًا، عَرَفْتُ
فَوْحَ عِطْرِ سِوَاهَا وَلَوْ بَعْدَ مَائَةِ عَامٍ. أَضْمُكَ بَيْنَ
ذِرَاعَيْ، لَا عِطْرَ غَيْرِ غَيْرِ انْتِظَارِكَ لِي.

ضُمِّنِي،

ضُمِّنِي،

فَيْكَ رَائِحَةَ اللَّيْلِ، لَكِنِ، وَأَنْتَ

تُفَكِّرُ بِي.

ضُمِّنِي،

ضُمِّنِي،

فَيْكَ رَائِحَةَ الْمَوْقِدِ الشَّتَوِيِّ الَّذِي
أَشَعَلْتَهُ لِأَجَلِي يَدَاكَ، وَأَنْتَ تُرَاقِبُنِي كَيْفَ أَشْتَغَلُ الصُّوفَ
مِنْ أَجْلِ طِفْلِي، لِأَنَّي حُبَلِي،

حَفِيفُ رِيَّاحٍ،

وَرَشُّ شِتَاءٍ،

لِحَبَّاتِهِ عَدَدُ الدَّمْعِ

فِي إِذَا لَمْ تَكُنْ أَنْتَ بِالْقُرْبِ مِنِّي.

نَبِيذُكَ هَذَا الْمَسَاءَ، وَهَزَّازُ كُرْسِيِّكَ
الْحَيْزُرَانِيِّ، وَالشَّرْفَةُ الشَّتَوِيَّةُ نَحْوَ الْجِبَالِ.

بَيَاضُ،

بَيَاضُ،

عَلَى رَأْسِ

هَذِي الْجِبَالِ، كَأَنَّ عَلَيَّهَا تَرَسُلَ شَعْرِكَ يَا جَبَلِي
الْعَالِي الرَّأْسِ حَتَّى بَيَاضِ الثُّبُوءَةِ.

أَذْنُو كَأَنِّي السَّلَالُ

إِلَيْكَ. وَأَصْغِي لِصَوْتِ الْيَنَابِيعِ فِيكَ.

سَأَشْرَبُ مِنْهَا، وَأَعْرِفُ

أَنَّكَ لَمْ تَسْقِ قَبْلُ سِوَايَ.

عَلَى وَجْهِكَ الْخَلْقُ. فِي سَاعِدَيْكَ الْأَنَاشِيدُ.

وَالْبَحْرُ يَخْفِقُ فِيكَ كَأَنَّ بِأَطْرَافِكَ الْبَيْضَ كُلَّ السَّوَاغِلِ.

طَلَقَ كَأَعْمَقَ مَا فِي الْقَضَاءِ. جَلِيلٌ كَرُؤْيَا. وَفِي

رَاحَتَيْكَ يَبِيضُ يَمَامُ الضَّبَابِ النَّدَى. وَيَخْطُ الطَّرِيقَ إِلَى

«بَيْتِ لَوْزًا» مَجُوسُ السُّنُونُ.

شَذِيٍّ كَبَرَّ قُبَيْلَ الضُّحَى . مُتْرَفٌ
بِالسِّنِينَ عَلَيْكَ . أُنَيْقُ الْكَأَبَةِ . تَسْكُنُ آخِرَ بَيْتِ بَقْرِيَّةِ
تَشْرِينِ . يَأْخُذُ عَن دَارِ نَشْرِ جَبِينِكَ مَوْجَ الشَّوْاطِيءِ
عِلْمَ الْخُطُوطِ . تُقَلِّبُ كَفَّ الْمَسَاءَاتِ فِيكَ كِتَابَ
الْمَزَامِيرِ . سُوقُ قَوَافِلِ بَدْوِ الْعَمَامِ بِعَيْنَيْكَ .
أَخْضَرُ ،

لَكِن كَجَبْرِ الْحُقُولِ .

وَأِنَّكَ فِي قَامَةٍ
حَقَّهَا الْوَقْتُ حَتَّى اسْتَحَالَتْ يَوَاقِيتُ . أَدْخُلْ بَيْتَكَ لَا
شَيْءَ فِيهِ سِوَى مَا أَتَتْكَ بِهِ مَزِيمَاتُ الْمَرَاعِي
مِنَ الْخُبْزِ وَالتُّوتِ وَالزَّيْزُقُونِ ، وَبَعْضِ أَوَانِي الصَّوَامِعِ ،
وَالنُّومِ بَيْنَ الْمَوَاوِيلِ مِثْلَ الْبُحَيْرَةِ .

أَدْخُلْ مَمَالِكَ رُوحِي
فِي صَوْلَجَانِ ، وَتَفْرِ دُفُوفِ ، وَسَعْفِ ، وَإِكْلِيلِ غَارِ ، وَقَوْسِ ،
وَخَيْلِ ، فَإِنِّي أَتَوَجُّكَ السَّيِّدَ الْبَاسِطَ الْمُلْكَ . أُعْطِيكَ ، حَتَّى
الْمَسَا ، جَسَدِي ؛ وَانْخِفَاضَ جَنَاحِي .

أَمْجِدُ أَنَّكَ لَمْ تُبَكِّنِي وَتَخُنِّي .
أَمْجِدُ أَنَّكَ لَيْسَ لَدَيْكَ خَطَايَا .
أَمْجِدُ فِيكَ الْيَمَامَ ، وَأَدْعُوكَ قَدَيْسَ
أَيْلُولَ .

لَسْتَ الْمُسِنَّ ، الْمُعْتَقُ أَنْتَ . وَلَيْسَ لَدَيْكَ خَرِيفٌ ،
وَلَا تَتَغَيَّرُ . أَخْضَرُ ،
أَخْضَرُ ،

كَالشَّجَرِ الْجَبَلِيِّ . قَدِيمٌ
قَدِيمٌ ،

كَآخِرِ مَا تَحْمِلِ الْآنَ
رِيحُ الصَّبَاحِ عَلَى طَبَقِ الصَّيْفِ مِنْ سَوَسَاتِ السَّحَابِ .
أُحِبُّكَ .

فِيكَ جَمَالُ الْمُصَلِّينَ . وَادِي السَّكِينَةِ . أَجْرَاسُ عِنْدَ
عُرُوبِ الْقُرَى فِي الْبَرَارِيِّ . مَجِيءُ الْعَشِيَّةِ فِي عَرَبَاتِ
الطُّيُورِ . شِتَاءُ الْحُقُولِ الَّتِي لَيْسَ الشُّيْحُ فِيهِ عِبَاءَاتِ
رُهْبَانِ دَيْرِ الْبِيَاضِ .

أَلَا افْتَحْ حَدِيْقَةَ كَفَيْكَ حَتَّى
أَشْمَ نُعَاسِي. وَدَعْ فَوْقَ صَدْرِكَ رَأْسِي لِأَضْغِي إِلَي
مَوْجِ بَحْرِ حُزَيْرَانَ فَيْكَ.

أَلَا

أَيُّهَا الْبَجْعُ الْمَزْدَكِيُّ
افْتَحْ بِالْجَنَاحِ قَمِيصَ الْبُحَيْرَاتِ فِي جَسَدِي الْفَارِسِيِّ. أَضْئِنِي
لِتَمْحُو مِنِّي سَوَادِي. زِدْنِي يَدَيْكَ لِأَنِّي الْعَرِيبَةُ. نَقُ
غِيَابَكَ بِي مِنْ حُضُورِ سِوَاكَ. ابْتَعِدْ كَيْ تُشَاهِدَ
كَيْفَ كَلَامِي يَغْدُو هَدِيْلًا، وَكَيْفَ الْمَنَادِيْلُ عِنْدِي تَأْخُذُ
شَكْلَ الْيَمَامِ. نَهَارُ جَمَالِي بِي جَائِعٌ. وَشَرَايِفُ مَائِدَتِي
الرُّزْقُ لَيْسَ عَلَيْهَا رَغِيْفٌ، أَعْرَضِي بَعْضَ جَبِيْنِكَ هَذَا
الصَّبَاحَ لِأَخْبِرَ شَمْسِي.

أُعَادِرُ بَيْتَ مُحَيَّاكَ كَيْ أَتَنَزَّهُ
فَيْكَ. وَجِيْنَ أَعُوْدُ تَفُوْحُ بِأَرْجَاءِ جِسْمِي مِنْكَ بَرَارِيْكَ،
سُوسُوكَ الْبَلَدِيِّ، وَقَسُوَةَ عِطْرِ وُغُورِكَ ذَاتِ الصُّخُورِ الَّتِي
مِنْ حُزَامِي وَعَاجِ.

أَضْمُكَ مِثْلَ الْمَزَامِيرِ أُغْلِقُ بَابَ
سِنِّي عَليكَ، وَأَفْتَحُ بَابَ ضَرِيحِي.

تَوَكَّأَ عَلَيَّ الشُّعْرُ
فِيكَ لِتَدْخُلَنِي مِثْلَمَا تَدْخُلُ الْأَرْضُ بَيْتَ الشُّهُورِ. فَلَسْتُ
سِوَى قَاعَةٍ مِنْ تَمَائِيلِ غَيْمٍ، وَلَوْحَاتِ رِيحٍ، تُشَاهِدُ
فِيهَا عَصَاكَ،

أَنْجِنَاءَ سَيْنِ السَّنَابِلِ فِيكَ،

خُطَاكَ الْبَطِيئَةَ مِثْلَ الْكِتَابَةِ عِنْدَ الصُّغَارِ،

كَرَاسِيكَ،

وَجْهَكَ،

حَوْرَ ثِيَابِكَ،

خُفَّيكَ،

تَمُوزَ شَعْرِكَ،

صَحْنَ الشَّتَاءِ الْمُعَدَّ عَشَاءَ

لِحُزْنِي بِعَيْنَيْكَ، عَشْرَ أَصَابِعَ مِنْكَ، شِفَاهِي تُرْفَرُفُ

رَايَاتِ نَحْلِ عَلِيَّهَا.

يَنَامُ السَّحَابُ لِيَضَعَدَ فِي حُلْمِهِ
السَّتَوِيَّوِيَّ وَشَاحَا إِلَى كَتِفَيْكَ . وَيَزُسُّمُ أَكْمَامَهُ الْجِبْرُ مِثْلَ
عُمُوضِكَ كَيَّ يَتَفَتَّحُ فِيهِ الْكَلَامُ .

وَكَمْ

أَنْتَ قَاسٍ !

رَأَتْ صَخْرَةً أَنْ عَضَفَ الْعَرَّائِزِ
هَبَّ عَلَيْكَ طَوِيلًا ، فَلَمْ تَتَحَرَّكَ . وَلَمَّا رَأَيْتَ حَبِيبَكَ ،
فَاضَتْ مِيَاهُكَ مِنْكَ . وَمِنْ يَوْمِهَا وُلِدَتْ مِنْ صُخُورِ
الْجِبَالِ الْيَتَائِعُ .

تَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيْكَ الْكَوَاكِبُ صَيْفًا
لِتُضْغِي إِلَى حِكْمَةِ الدَّوْرَانِ . تُنَادِيكَ قَبْلَ الْحَصَادِ السَّنَابِلُ
حَتَّى تُبَارِكَ فِيهَا عَرِيْسَ الطَّحِينِ . تُطِيلُ جَدَائِلَهُنَّ الْحُقُولُ
لِيَغْسِلَنَّ رِجْلَيْكَ بِالزَّيْتُونِ . وَتَعْرَى بِتُخْتِكَ كُلُّ الشُّهُولِ ، وَبَعْدَ
مُرُورِ النَّسِيمِ عَلَى بَطْنِهِنَّ لِيَعْرِفَ إِنْ كُنَّ مِنْكَ حَبَالِي ،
يَلِدُنَّ الرَّبِيعَ ، فَيَأْتِي السُّنُونُو إِلَى رَاحَتَيْكَ لِيَأْكُلَ حَلْوَى
الْوِلَادَاتِ .

كَمْ
مِنْ شَجَرٍ

دَقَّ بَابَكَ،

- مَنْ؟

- نِسْوَةٌ مِّنْ شِعَابِ الْبَرَاريِ،

أَتَيْنَ إِلَيْكَ لَتُهْدِيَهُنَّ

جِرَارَ

الْمَطَرِ.

يَنْخُلُ الْأَسْوَدَ اللَّيْلَ قَبْلَ جُلُوسِ
نُعَاسِكَ لِلْأَكْلِ بَعْدَ الْغُرُوبِ. تَفُوحُ السَّكِينَةُ مِنْكَ. يَلُودُ
بِكَ الْجَمْرُ حِينَ الرَّمَادُ يُلَاحِقُ يَاقُوتَهُ. كُلَّمَا شَاهَدَتْ
حَجْرًا قَدْ يَكُونُ ضَرِيحَكَ، سَكَتَ بِهِ الْقُبْرَاتُ مَنَاقِيرَهَا
كَيْ يَصِيرَ فُتَاتًا. يَجِيءُ الرُّخَامُ لِيَقْرَأَ مِنْكَ نُصُوصَ
الْأَرَامِيلِ. يَخْتَارُ مِنْكَ الْمُغْتَنُونَ جَوْفَ يَدَيْكَ لِأَعْوَادِهِمْ.

دَرَسَ الْعَابِرُونَ ذِرَاعَيْكَ قَبْلَ بِنَاءِ الْجُسُورِ. وَأَمْضَوْا
أَسَابِيعَ بَيْنَ خَرَائِطِ كَفِّكَ كَيْ يَصْنَعَ الْمُبْجِرُونَ الْمَجَازِيفَ.
وَالشَّجَرُ الْبَلْحِيُّ عَلَا

فِي
الرِّيَاحِ

مُسْتَقِيمًا، لِيُشْبِهَ جِسْمَكَ، ذَاكَ

الَّذِي

فِي الْيَمَنِ

مِنْ

قَدِيمِ الزَّمَنِ

نَقَلَتْ عَنْهُ كَفُّ «رُدَيْنَةَ»

صُنِعَ

الرَّمَاخِ.

يَسِيرُ، لِكِنَّهُ لَيْسَ مَوْجَةً أَوْ
 جَنَاحًا. يَسِيرُ فِي جَسَدٍ مُتْعَبٍ، قَدِيمٍ،
 كَأَنَّ الْكُرُومَ شَاخَتْ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ
 طَيْرِ حَمَامٍ بَيْضَاءٍ عَطَّتْ عَلَيْهَا. يَسِيرُ
 لَيْتَ ذِرَاعِي بِرَاحَتِيهِ عَصَاهُ.

يَسِيرُ أَبْطَأَ مِنْ جَبْرِ
شَاعِرٍ فِي
الْكِتَابَةِ

أَوْ جُمْلَةً مِنْ شُمُوعِ
مَكْتُوبَةٍ بِدَوَاةِ الرُّعَاةِ بَيْنَ هِلَالِي
عَشِيَّةٍ
وَرَبَابَةٍ

خَطُوعًا، كَتَنَقِيظِ مَاءٍ عِنْدَ
الْغُرُوبِ
بِغَابَةٍ.

أَهْ أَتَكِيءُ . مِنْ مَسَاءٍ
أَنْتَ مُزْهِرٍ
بِالْكَأَبَةِ .

فَالرِّيحُ يَا شَيْخُ حَفَّتْ

يَدَيَّ عَصاً مِنْ

سَحَابَهُ .

أَوْ أَتَيْتُ كَمَلًا . وَلَا تَخَفُ يَا

مَسَائِي . أَخْفُ أَنْتَ عَلَى هَذِي الْعَصَا

مِنْ

ضَبَابَهُ .

عِنْدَمَا يَضْنَعُ الْغَيْمُ أَشْكَالَهُ فِي
 الْهَوَاءِ، يَصِيرُ لَهُ أَلْفُ شَكْلِ وَشَكْلٍ. وَلَا شَكْلَ يَبْقَى.
 وَلَا هُوَ يُوقِفُ وَهُوَ أَمَامَ مَرَايَا السَّمَاءِ تَحْيُرُهُ
 بَيْنَ شَكْلٍ وَآخَرَ. لَكِنْ أَحْيِرًا، تَذُوبُ بِأَمْطَارِهِ كُلِّ
 أَشْكَالِهِ.

وَكَمَا تَمْسَحُ امْرَأَةٌ نَهْدَهَا بِالْخُرَامَى،
وَتَلْمِسُهُ فِي الْمَرَايَا، لِكَيْ تَطْمَئِنَّ إِلَى قَسْوَةِ الْعَاجِ
فِيهِ، وَتَدْوِيرَةَ الشَّمْسِ لَمَّا تَغُوصُ بِنِصْفِ لَهَا فِي
مِيَاهِ الْغُرُوبِ، لَمَسْتُ أَنَا

جَسَدِي.

كَانَ شَيْئاً مِنَ الْمَوْجَانِ،
وَخَفِقَ جَنَاحِ الزُّوَارِقِ، وَالرَّقْصِ فِي قَاعَةٍ مِنْ مِيَاهِ.
فَأَدْرَكْتُ أَنِّي بَحْرِيَّةُ الشَّهَوَاتِ. وَكَانَ الرَّجَالُ يَجِيئُونَنِي
قِطْعاً مِنْ صُخُورٍ، وَمَشَقَّ رِمَاحٍ، وَعُمْدَانَ أَرْزِ، فَلَا
تَتَحَرَّكَ فِي تَوَاشِيحِ عُرْيِي، وَلَا تَتَبَلَّلُ فِي خِصُورِ
بَتْنِقِيطِ نَائِي. وَلَمَّا رَأَيْتُكَ، هَبَّتْ عَلَيَّ رَوَائِحُ مِلْحٍ
وَشَاهَدْتُ أَرْزَقَ أَرْزَقَ تَصَعَّدَ مِنْهُ نَوَارِسُ مَوْجِ،
وَتَغَسِلُ بِالزَّبَدِ الْهَفِّ قَلْبِي. فَنَادَيْتُ:

هَذَا

هُوَ

الْبَحْرُ.

يَا

جَسَدِي أَذْهَبَ عَمِيقًا،
بَعِيدًا. وَكُنْ صَانِدًا لَفَوْحَتِ
كُلِّ أَطْيَابِهِ مِنْهُ حِينِ
اخْتَرَقِي.

وَكُنِ الزُّورِقَ الْعَاشِقِ
الْبَحْرِ. لَا عَضْفَ يَمْنَعُ إِحَارَهُ أَوْ
عَسْتِي

أَيْهَا الْبَحْرُ
مُدَّ ذِرَاعِيكَ
لِي.
وَلْيَكُنْ أَوَّلَ الْعِشْقِ
فِيكَ
الْعَرَقِ.

سَاحِرٌ،

وَعَمِيقٌ.

وَوَجْهُكَ يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ كَالشُّعْرَاءِ،
رَقِيقٌ وَقَاسٍ. وَأَعْمَاقُ رُوحِكَ هَادِيَةٌ الْمَوْجِ كَالْفَيْلَسُوفِ.
وَإِنَّكَ مِثْلَ يَدِ اللَّهِ مَفْتُوحَةٌ وَاسِعٌ وَكَرِيمٌ. «وَلَا
لَوْ نُكِّتُكَ» امْتَصَّ أَرْزَقَ هَذَا الْوُجُودِ. وَفِي طَعْمِ مَائِكَ
ذُؤَبٌ مِلْحُ الْحَقِيقَةِ.

يَا

أَيُّهَا

الْبَحْرُ

قُلْ:

أَيُّهَا الْبَحْرُ كَيْفَ انْصَبَبْتَ

بِمَنْ هُوَ أَنْتَ وَلَكِنْ

بِشَكْلِ

رَجُلٍ؟

جَالِسٍ فَوْقَ كُرْسِيِّ نَهْرٍ .

هُوَ

الماء .

بَيْنَ يَدَيْهِ عَصَا سِنْدِيَانٍ . لَهُ

لِحْيَةٌ مِنْ غَمَامٍ

طَوِيلٍ .

شَهِيٍّ .

جَلِيلٍ .

بِهِ قُدْرَةٌ، وَصَفَاءٌ . وَذُو نَعَسٍ

لَيْلِكِي . يُرْفَرُ فَوْقَ أَصَابِعِهِ

عَيْمٌ

أَسْرَارِهِ .

أَذْمَعِي اسْتَسَلَمَتْ لِجَنَاحِ الثَّوَارِسِ

فِيهِ، كَمَا اسْتَسَلَمَتْ رَقِصَةُ الْجَمْرِ فِيَّ

لِإِعْصَارِهِ .

أَكْتَسَيْتَنِي شَجَرَ الْبِرِّ لَمَّا يَجِيءُ
الشُّتَاءُ لِكَيْ أَسْتَجِمَّ
بِأَمْطَارِهِ .

وَإِذَا أَقْبَلَ الصَّيْفُ أَفْطُرُ فِي
رَاحَتَيْهِ كَمَا يَفْطُرُ الْكَزْمُ فِي كَفِّ
خَمَارِهِ .

إِنْ رَمَى رَأْسَهُ فَوْقَ صَدْرِي
أَضْغَى لِغَمْسِ مَجَاذِفِهِ، وَأَنَاشِدِ
بَحَارِهِ .

جَالِسٌ بَيْنَ تَمْوِزٍ وَأَذَارٍ . فِي
قَدَمَيْهِ الْيَنَابِيعُ حُفَّانٍ . إِكْلِيلُهُ أَزْرَقُ الْعَارِ .
تَضَعْدُ رُوحُ الْفَرَادِيسِ لَمَّا تَمُوتُ إِلَى
نَارِهِ .

صَدْرُهُ زُرْقَةٌ تَخْفِقُ الشَّمْسُ فِيهَا.
وَقُمْصَانُهُ سُحْبُ اللَّازُورِدِ. وَرِيحُ الْعَشِيَّةِ، أَجْمَلُ
مَا فِي أَصَابِعِهَا،
فَكَ أَرْزَارِهِ.

سَقْفٌ مَنْزِلِهِ، قُبَّةٌ، فَوْقُ. عُمْدَانُهُ
الْقِمَمُ الْعَالِيَاتُ. وَسَجَادُهُ، حَيْثُ أَمَشِي، الْفُصُولُ.
فَفِي أَيِّ أَرْضٍ سَكَنْتُ، فَإِنِّي أَسْكُنُ
فِي دَارِهِ.

وَهُوَ كُلُّ. وَأَجْزَاؤُهُ كُلُّ شَيْءٍ.
مِنَ الزُّهْرَةِ، الثُّورِ، وَالسُّحْبِ الْبَيْضِ، وَالطَّيْرِ.
مَا زَارَهُ أَحَدٌ كَانَ أَجْمَلٌ مِنْ كُلِّهِ.
فَإِذَا كُتِبَ زَارُهُ،

كَانَ
أَجْمَلًا زُورِهِ.

وَجْهَهُ نَائِمٌ، لَا يُحَرِّكُ فِيهِ
مَلَامِحَهُ أَيْ حُلْمٍ. جَمِيلٌ بَغَيْرِ تَعَابِيرٍ تَظْهَرُ ثُمَّ
تَزُولُ. هُوَ الْحُبُّ

وَجْهٌ بِلا ضَحِكٍ،

أَوْ

بُكَاءٍ

بِلا غَضَبٍ،

أَوْ

هُدُوءٍ.

تَقَدَّسَ حَتَّى امَّحَتْ مِنْهُ كُلُّ
تَقَائِضِهِ. وَهُوَ لَا عَابِرَ فِيهِ، لَا رَغَبَاتٍ.

سَوِيٍّ،

صَنَمِيٍّ،

بَهِيٍّ.

لَهُ أَبَدِيَّةٌ مَا لَا تَحَوُّلَ فِيهِ،
وَمَا لَيْسَ عَنْهُ غَنَاءٌ، وَمَا لَا يُطِيقُ زَوَالاً بِهِ.

لَيْسَ لِلْحُبِّ قَامَةٌ مُفْتَرِسٍ . لَيْسَ
خَوْخِيَّةٌ مِنْ نُحَاسٍ ، وَأَلْيَافٌ صَخْرٍ .

هُوَ السُّكَّرُ الْمُرُّ فَيْتَا .

السَّجِيءُ .

الْكَيْبُ .

سِرَاجٌ مِنْ الْأَرْجُوَانِ عَلَيْهِ

شَفِيفٌ عَمَامٌ .

لَطِيفٌ .

وَأَكْثَرُ لِينًا مِنَ الزَّيْتُونِ . إِذَا نَامَ

أَضْبَحَ أَخْضَرَ . أَوْ مَاجَ فَتَّحَ فِيهِ الْبَنْفُسُجُ .

لَمَّا أَتَى اللَّيْلُ

وَدَعَنَا بُلْبُلًا أَيْكَةً ، وَعَزَّالَانَ ، فَكَتَسَفَ الْبُلْبُلَانِ بِأَنَّ

السَّرِيرَ الَّذِي التَّفَّ فِيهِ جَنَاحَاهُمَا كَانَ جَوْفَ يَدَيْنَا . وَلَمَّا

الْعَزَّالَانَ ضَمَّ عَزَالَ عَزَّالًا ، أَحْسَا بِأَنَّ حَفِيفَ الْحَنَانِ

الَّذِي فِيهِمَا ، لَيْسَ إِلَّا حَفِيفَ شُجَيْرَاتِ لَوْزِ الْحَنَانِ

الَّتِي هِيَ فَيْتَا .

شَجِّ، مُؤَهَّنْ،

أَنْتَ.

فِيكَ مَلَائِكُ أَوْ أَجْنُحُ. نَوَسْ.

رِعْشَةٌ مِثْلُ رَيْشَةِ جَبْرِ بِهَا مَسُّ وَحْيٍ خَفِيفٌ.

أُحِبُّكَ.

لَا طِينَ فِيكَ. وَلَا وَقْتَ يَمْحُوكَ.

إِنَّكَ سِرٌّ. طَلَّاسِمٌ. طَفْسٌ.

وَلَسْتُ أَقُولُ: وُلِدْتُ.

أَقُولُ: نُحِتٌ.

عَلَيْكَ تَمِيمَةٌ أَنْتَ لَسْتَ تَشِيخُ.

تَجِيءُ السِّنِينَ إِلَيْكَ عَدَارَى يَقْمَنَ

زَمَانَ الْقِطَافِ، إِلَى الْكَزْمِ، يَمْلَأَنَّ مِنْكَ السُّلَالَ،

وَيَمْضِينَ مُنْتَظِرَاتِ قِطَافاً جَدِيداً. وَلَمَّا مَعَ الصُّبْحِ

يَعْصِرْنَ مَا فِي السُّلَالِ، يَرَيْنَ نَبِيذَكَ ذَا الْعَامِ

أَطْيَبَ مِنْ كُلِّ مَا قَدْ عَصَرْنَ، فَيَغْسِلَنَّ بِالْمُتَقَطَّرِ

مِنْكَ جَدَائِلَهُنَّ وَأَفْخَاذَهُنَّ لِتُضِيحَ أَجْسَادَهُنَّ أَشْفَ وَأَشْهَى.

عَنَّا صِرُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . عَنَّا صِرُّ
نَحْنُ . وَلَيْتَ مَعَا جَسَدَانَا يَزُولَانِ بَعْدَ الْبَهَاءِ الَّذِي
الآنَ فِينَا . فَلَا أَنَا أَبْكِي . وَلَا أَنْتَ تَحْزَنُ . رُوحَكَ
أَمْ هِيَ رُوحِي سَتَرَ حُلَّ قَبْلُ ، إِلَى كُلِّ شَيْءٍ ،
سَتَدْخُلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ . وَإِنَّ الرَّحِيلَ لِرُوحِ ، سَيُؤْلِمُهَا
أَنَّهَا وَدَّعَتْ رُوحَ مَنْ سَوْفَ يَلْبَثُ بَعْدُ قَلِيلًا
وَيَمْضِي . وَإِنَّ انْتِظَارَ اللَّحَاقِ بِمَنْ قَدْ مَضَى ، يُؤْلِمُ
الرُّوحَ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا وَدَّعَتْ رُوحَهُ .

لَيْتَ

نَبْقَى .

لَنَا جَسَدٌ ، لَيْتَهُ بَعْدُ يَبْقَى .
وَلَكِنَّ يَوْمًا سَيَأْتِي ، وَنَشْرُكُ

هَذَا

الْجَسَدَ

لِلْأَبَدِ

غَيْرَ أَنَا سَنَخْرُجُ مِنْ شَكْلِنَا
الْجَسَدِيِّ لِنَدْخُلَ فِي كُلِّ شَكْلِ،
مِنَ الْبَرَقِ
حَتَّى الْوُرُودِ.

لَنْ نَمُوتَ
مَتَى نَرْتَجِلُ

نَاقِصُ بَعْدُ
هَذَا الْوُجُودُ

نَاقِصُ كُلِّ شَيْءٍ،
وَلَنْ يَكْتَمِلُ

أَيُّ شَيْءٍ
إِلَى أَنْ نَعُودَ.

أَيُّهَذَا الَّذِي
لَا خَطِيئَةَ فِيكَ
الْقَوِيُّ
الْجَمِيلُ

ضَمَّنِي
فِي بَيَاضِكَ حَتَّى
يَجِيءَ
الرَّحِيلُ .

حُبِّتْ

لَا هُوَ الْعِطْرُ،
وَلَا الْوَرَقُ،

أَوْ دَوَاةُ الشَّمْعِ
تَحْتَرِقُ.

هُوَ سِرٌّ، رُبَّمَا ذَهَبًا كَانَ، أَوْ فَيَرُوزَةً

وَقَعَتْ فِي

دَمِي.

رَنْتُ،

وَمَا سَكَّتَتْ.

غَاصَ نَوْمِي فِي دَمِي. غَرِقْتُ كُلَّ أَحْلَامِي

فِيهِ. فَمَا وَجَدَا شَيْئًا. لَعَلَّ دَمِي ذَوَّبَ الْفَيَرُوزَ، سَأَلَ بِهِ. صَارَ

مِلْحًا فِي بُحَيْرَةِ مَاءٍ. وَمَا زَالَ

يَرِنُ،

يَرِنُ،

وَأُصْغِي لِلرَّيْنِ

كَمَا

فِضَّةٌ رَنْتُ

عَلَى أُذُنِ،

جَيْنَ عَنِّي

تَحْتَهَا الْحَلَقُ.

هو سرٌّ، لَسْتَ تَكْشِفُهُ فِي فَمٍ، أَوْ مُقَلَّتِي
وَلِهِ. تَخْدَعُ الْقُبْلَةَ عَاشِقَهَا. الدَّمْعُ يُخْفِي اللَّصَّ فِي جَسَدِي.
لَا يَدٌ إِلَّا بِدَاخِلِهَا غُضُنُ تُفَاحٍ، وَمَقْصَلَةٌ. تَفْتَحُ الْآهَةَ
وَرَدَّتْهَا فِي تَلَوِّي الْخَضِرِ بِأَمْرَاءَ لَيْسَ فِيهَا لَكَ
غَيْرُ خَرِيفٍ،

وَقِنْدِيلٍ

بِلَا

لَهَبٍ.

بَاقَةٌ خَضْرَاءُ، مِنْ حَبَقِي،
سَالَ فِي أَوْزَاقِهَا
العَبَقُ

هِيَ لَيْسَتْ لِلْعَرُوسِ. عَلَى
الْمَيْتِ أَيْضاً
يُزْشَقُ
الحَبَقُ.

دَخَلْتُ رُوجِي مَعَامِضَهُ، ثُمَّ ضَاعَتْ
فِيهِ. كَمْ سَمِعْتُ مَنْ يُنَادِيهَا لِتَرْجِعِ
أَوْ تَهْتَدِي. لَكِنَّهَا شَعَرَتْ أَنَّ مَوْتاً فِيهِ
أَجْمَلُ مِنْ عَوْدَةٍ مِنْهُ، وَأَنَّ عَذَابَاتِهَا
فِيهِ الْكَمَالُ لَهَا.

فَهِيَ غُضُنٌّ، وَهِيَ عَاصِفَةٌ،
أَقْسَمًا أَنْ لَيْسَ
نَفْتَرِقُ.

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي اشْتَعَلْتُ
فِيَّ، لَيْسَتْ غَيْرَ رُوجِي مِنْ
حَطَبِ الْأَيَّامِ
تَنْعَتِي.

الحَرْقَاتِ

مِنْ زَبِيدِ مَالِحٍ،
وَمِنْ شَجَرٍ

أَنْتَ، وَمِنْ سَوْسَنِ،
وَمِنْ مَطَرٍ.

عَيْنَاكَ

كُحْلِي غَامِضٍ .

وَمِنَ الصُّبْحِ

فَرَّاشٍ عَلَى أَصَابِعِكَ الْمُغْمَضَةِ اللَّيْنِ . وَالْمَسَاءِ

يَذُوبُ تَوَاشِيحٍ فِي سَاعِدَيْكَ كَمَا ذَابَتْ

بِوَجْهِكَ

فِضَّةُ الْقَمَرِ .

جِسْمُكَ مِنْ حِنْطَةٍ .

وَشَاخُكَ مِنْ

صُوفِ خَزَامَى . وَمِنْ نَسِيحِ مَلَائِكِ شَعْرُكَ

الْمُرْسَلِ الْبَيَاضِ عَلَى الْهَيْلَالِ فِي كَتِفَيْكَ .

يَا

جَسَدًا، قَدْ أُنْزِلَ الْعُمُرُ فَوْقَ أَشْهُرِهِ،

كَقَطْرَةٍ أُنْزِلَتْ

عَلَى حَجَرٍ .

أَنْقَى مِنَ الْمَرْيَمَاتِ، أَجْمَلُ مِنْ
فَجْرِ. وَأَزْكَى مِنَ الْمَشَاعِلِ فِي لَيْلِكَه
اللَّيْلِ. لَا كَأَبَّةَ. لَا قَوْسَ ذِرَاعٍ يَمُرُّ
طَيْفُ فِرَاقٍ تَحْتَهُ وَهُوَ لَا الرَّجِيلُ وَقَدْ
لَاخَ. وَلَا وَزْدَةَ الْعِنَاقِ وَقَدْ جَفَّتْ. نَدِي.
لَا يُحَدُّ. أَخْضَرُ. حُرٌّ. عِنَبِيٌّ. مُبَلَّلٌ
ذَهَبًا. يَخْطُو عَلَى الرُّوحِ كَالْمَسِيحِ خَطَا
فِي طَبَرِيًّا عَلَى الْمِيَاهِ. شَفَانِي مِنْ
سَوَادِ السُّنَيْنِ.

زُنْبَقَةُ الْحَقْلِ. رُخَامُ الْجَنَاحِ. وَالْقَمَرُ
الْمَرْسُومُ كَالْحَوْخَةِ. الْمَسَاءُ. تَوَاشِيحُ الشُّدَا. قَالَ:
إِنَّهَا صُورِي.

نَارٌ، وَنُورٌ، مَعَا، وَمَا افْتَرَقَا.
فَلَمْ تَقُلْ: إِبْتَعِدْ. لَهُ، أَبَدًا.
وَلَمْ يَقُلْ مَرَّةً لَهَا: انْتِظِرِي.

اللُّوزُ الأَخْيَرُ

(١)

فِي
عَصَاكَ

أَيُّهَا النَّهْرُ صَوْتُ، سَتَسْمَعُهُ
حِينَ تُصْبِحُ شَيْخًا،
بِنَقْرِ
عَصَاكَ.

(٢)

أَجْمَلُ الْعَيْمِ فِي سَيِّدِي
أَنَّهُ، كُلَّمَا لَا أَمْوُجُ،

وَلَا

أُزْهَرُ،

وَعَنِ الْحَقْلِ فِي جَسَدِي
يَزْحَلُ

الْأَخْضَرُ،

يُمَطِّرُ.

(٣)

جَسَدِي مِنْ تُرَابٍ، يُزَيَّنُهُ
الْعَابِرُونَ بِهِ
بِالذَّهَبِ.

عِنْدَمَا وَقَعَتْ قُبْلَةً مِنْكَ
فِيهِ، عَدَّتْ كَرْمَةً. وَعَدَا جَسَدِي
ذَائِبًا فِي
الْعِنَبِ.

(٤)

أَنْتَ يَا آيَةَ الْقَمَحِ
فِي الْأَشْهُرِ
الْمُنزَلَةِ

عِنْدَمَا لَامَسَتْ
عُنُقَكَ
الْمِقْصَلَةَ

أَصْبَحَتْ
سُبُلَةً .

(٥)

لِي
جَسَدُ

كُلَّمَا شَاخَ أَضْبَحَ وَغَرَأَ
مِنَ الْأَرْضِ، مَا مَرَّ فِيهِ
أَحَدُ

وَرَأَى شَوْكَهُ مِنْ حَرِيرٍ،
وَأَحْجَازَهُ الْبَيْضَ مِنْ سُكَّرِ الْعِينِدِ،
إِلَّا
الْوَلْدَ.

(٦)

فِي
صَلَاتِي إِلَيْكَ :

كَمَا لِلْكَلامِ
تُصَلِّي الْمَحَابِرُ

أَحْرَقْتَنِي ظَهِيرَةُ هَذِي الصَّحَارَى،
وَلَا مَاءَ أَحْمِلُهُ لِلطَّرِيقِ، أَسْقِنِي
عَيْمَكَ الْيَمَنِيِّ، وَدَعْنِي أُسَافِرُ

بِظِلِّ يَدَيْكَ .

(٧)

مَوَّجَتْ خَضْرَهَا، بَيْنَ شَمْعٍ،
وَمِبْخَرَتَيْنِ، وَخَمْرٍ، وَنَايٍ يُرَافِقُهُ
وَدِمْلَجٍ،
وَحَلَقٍ

لَمْ أُغْرِقْ بِهَا مُقْلَتِي،
وَلَمْ أَصْغِ لِللَّحْنِ. هَبَّتْ عَلَيَّ شَجَرَاتِي
الْعَوَاصِفُ. شَاهَدْتُ كَيْفَ تَهَاوَيْتُ.
وَاسْتَسَلَمْتُ أُذُنِي لِسَمَاعِ
سُقُوطِ
الْوَرَقِ.

(٨)

أَيُّهَا،
الْمُتَعَبُ

لَسْتَ آخِرَ زَيْتِ الْقَنَادِيلِ،

أَوْ

شَمْسَ هَذَا الْمَسَاءِ الَّتِي

تَغْرُبُ.

لَمْ تَشِيخْ. صِرْتَ وَغَرًّا،
بَرَازِي، دَعْلًا. مَرَاقِيكَ وَخَشِيَّةً. نَبَاتِكَ
مُرٌّ، وَقَاسٍ. وَتَجْوِيفَةُ الصَّخْرِ فِيكَ
يَدَانِ صَفَا فِيهِمَا الْمَاءُ مِثْلَ رُعَاةٍ
عَلَى النَّبْعِ مَدُّوا أَيَادِيَهُمْ لِكَيْ
يَشْرَبُوا.

أَيُّهَا
الْمُتَعَبُ،

لَمْ تَشِيخْ.
صِرْتَ لِي لَيْلَةً لَبِسْتَ
غَيْمَةً خَلَفَهَا
كَوْكَبٌ.

(٩)

مُسْكِرٌ كُلُّ مَا قَدْ كَتَبْتَ.

كَأَنَّكَ مَارَسْتَ

فِي الْمِخْبَرَةِ،

مِهْنَةً

الْمِعْصَرَةَ.

(١٠)

هي:

عُرْفَتُكَ

كُلَّمَا فِي الصَّبَاحِ دَخَلْتُ
إِلَيْهَا، بَكَيتُ كَطِفْلِ. أَخَافُ رَجِيْلَكَ

عَنْهَا، وَإِغْلَاقَ شُبَاكِهَا، وَالْجُلُوسَ عَلَى بَابِهَا
فِي الْمَسَاءِ

أَهْ كَمْ سَيَكُونُ حَزِينًا
الصَّبَّاحَاتِ، إِنْ غَبَّتْ،
هَذَا الشَّاءِ.

أَهْ كَيْفَ سَأَسْمَعُ دَقًّا عَلَى
البَابِ بَعْدَ غِيَابِكَ. كَيْفَ سَأَفْتَحُهُ
لِلْحَيَالِ

هَكَذَا، عِنْدَمَا يَزْحَلُونَ يَعُودُ
الرِّجَالِ

هُوَ: يَا لَعُزْفَتِكَ اللَّازُورِيَّةِ اللَّوْنِ
مِثْلَ السَّمَاءِ

كُلَّمَا فِي الصَّبَاحِ دَخَلْتُ
إِلَيْهَا، بَكَيْتُ كَطِفْلِ. أَخَافُ رَجِيلَكَ
عَنْهَا، وَإِغْلَاقَ شُبَاكِهَا، وَالْجُلُوسَ عَلَى

بَابِهَا

فِي الْمَسَاءِ

أَهْ كَمْ سَيَكُونُ حَزِينًا
الصَّبَاحَاتِ، إِنْ غَبَّتِ،
هَذَا الشِّتَاءِ

أَهْ كَيْفَ سَأَسْمَعُ دَقًّا عَلَى
البَابِ بَعْدَ غِيَابِكَ. كَيْفَ سَأَفْتَحُهُ
لِلْبُكَاءِ

هَكَذَا مِنْ غِيَابَاتِهِنَّ

تَعُودُ النِّسَاءَ.

هُوَ إِيرُوسُ بِأَثِينَا. كِيُوپِنْدُ
بِرُومَا. وَهُوَ كَامَا فِي بِلَادِ الْهِنْدِ.

حُقَّتْ قَوْسُهُ مِنْ سَكَّرٍ. وَالسَّهْمُ
مِنْ زَهْرٍ. وَلَيْسَ الْوَتْرُ الْوَزْدِيُّ إِلَّا عَسَلًا.

يُغْرِقُ نَضَلَ السَّهْمِ فِي الْقَلْبِ،
فَيَغْدُو عَاشِقًا، مُشْتَعِلًا بِالسَّبَقِ الْمَالِحِ، مَغْرُورًا،
وَمَلْعُونًا. وَقَدْ أَعْجَبَ هَذَا الْوَلَةَ الْحُلُوهُ إِلَهُ
الْحُبِّ. كَانَ السَّهْمُ

قُرْبَةً

شَكَّهُ حَتَّى أَصَابَ السَّهْمُ
قَلْبَهُ.

(١٢)

شَهْوَتِي
عُضْنُ وَرْدِي،
إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ
لَيْسَ يَلِينُ، وَلَا
يَتَكَسِرُ.

شَهْوَتِي فِي غِيَابِكَ أَنْقَى

مِنْ امْرَأَةٍ

فِي

الرُّخَامِ.

شَهْوَتِي امْرَأَةً

تَنْتَظِرُ،

أَوْ

تَنَامُ.

(١٣)

مَالِحٌ مِثْلَ فَاكِهَةِ الْبَحْرِ.

حُرٌّ كَعُضْفُورٍ جَبْرِ.

قَوِيٌّ

كَصَوَّانٍ خَضِرٍ

الْحَيْوَلُ.

وَذِرَاعَاكَ قَوْسَانِ مِنْ جَدَلٍ
أَلْيَافِ بَرْقٍ. وَفِي جِسْمِكَ الْمُنْحَنِيِّ مِثْلَ
حِكْمَةِ لُقْمَانَ رَائِحَةً مِنْ
خُرَامِي
الْحُقُولِ.

أَيْهَا الْفَارُعُ الْعُمَرُ، لَا سِنْدِيَانُ
الْجِبَالِ أَشَدُّ. وَلَا التَّبَعُ أَعَمُّ. حُرٌّ.
رَضِيٌّ. وَفِي رَاحَتَيْكَ مَفَاتِيحُ أَبْوَابِ كُلِّ
الْجِهَاتِ.

وَحُرَّاسُكَ النَّيِّرَانِ.
وَعُمَّالُكَ الْأَوْفِيَاءُ
الْفُصُولِ.

كُلُّ مَا فِيكَ لَيْسَ
يَزُولُ

كُلَّمَا مَسَّهَا الْجُوعُ لِلْقَمَحِ،
وَالْعَطَشُ الْمُرُّ لِلتَّهْرِ، مَدَّتْ إِلَيْكَ الْأَكْفَ
السُّهُولَ.

لَا تَكُنْ لُغَةً.

أَجْمَلُ الصَّمْتِ فِيكَ. وَبَيْنَ
يَدَيْكَ الْوَجُودُ قَدْ افْتَرَشَ الْوَقْتَ يُضْغِي
لِمَا
لَا تَقُولُ.

(١٤)

قَمَرٌ

نَائِمٌ

سَهْمٌ نَرْجَسَةٌ

بَيْنَ

قَوْسِي أَقَاخِ،

أَيَقَطُّنُهُ الْعَوَاصِفُ
لَيْلًا
فَأَغْلَقَ
شُبَّاكَهُ،
وَأَحْتَدَى خُفَّ تَفَاحَةٍ، وَازْتَدَى
تَحْتَ مُرْخَى عِبَاءَةٍ تُوتِ
قَمِيصَ
الصَّبَاحِ،

فَتَحَ الْبَابَ كَيْ يَتَفَقَّدَ
فِي حَقْلِهِ فِضَّةَ اللُّوزِ. لَكِنَّ فِضَّتَهُ
طَيَّرَتْهَا
الرِّيَّاحُ.

لَمْ يَكُنْ مَاجَ بَعْدُ
جَنَاحَ

فَبَدَّتْ فِي السَّوَادِ الْبَعِيدِ
كَقَامَةِ زُنْجِيَّةٍ رُصِّعَتْ
بِالْجِرَاحِ .

فَبَكَى
ثُمَّ نَامَ بَطِينًا وَقَامَ

لِيَرَى بِأَزْرَقِ الضُّحَى لَوْزَ

فِضَّتِيهِ

فِي بَيَاضِ الْحَمَامِ .

السِّيَافَةُ



Ghsoubfoo

١

بَدَأَ

السَّيِّئَاتِ .

الصَّيْفُ مَحْمُولٌ عَلَى أَكْتَفِ حَوْرِ رَاقِصٍ،
وَالْأَرْضُ قَدْ دَخَلَتْ عِبَاءَاتِ الْبُكَاءِ .

فَلَبِستُ جِلْدَ غَزَالَةٍ، وَحَمَلْتُ عُكَازِي،
وَسِرْتُ. فَمَنْ رَأَيْتِي، قَالَ: هَذَا مَوْجَةٌ فِي الرِّيحِ أَوْ،
جَرَسٌ يُحَرِّكُ حَبْلَهُ نُسَاكُ صَفْصَافٍ بِصَوْمَعَةِ الْمَسَاءِ.

أَشَعَلْتُ عِيْدَانَ الصَّنَوْبَرِ، لَا لِأَذْفَاءِ،
بَلْ لِأَمْسَحِ قَامَتِي بِرَمَادِهَا. لَا زَادَ أَحْمَلُهُ. وَلَا بَيْتَ
التَّفْتِ إِلَيْهِ. تَكْفِينِي الحِجَارَةَ حِينَ أَنْعَسَ، وَالجُدُورُ
الْخُضْرُ حَوْلَ مَوَائِدِ الوِذْيَانِ حِينَ أَجُوعُ. أَجْمَلُ مَا
بِوَجْهِي عُمْقُهُ لَمَّا أَصَلِّي. رَبِّمَا لَمْ يَبْقَ مِنْ مَاضِي
فِي سِوَى

حَيْنِي لِلْغَنَاءِ.

فَإِذَا عَزَفْتُ، غَدَّتْ ثُقُوبُ النَّايِ
أَعْشَاشاً يَطِيرُ اللَّحْنُ مِنْهَا قُبْرَاتٍ
فِي الْهَوَاءِ.

لَفَّ الضَّبَابُ الْأَرْضَ .
نَادَانِي الْحَجَرُ :

«الْعُشْبُ ضَيَّعَنِي ، وَإِنِّي خَائِفٌ ،
خُذْنِي
مَعَكَ»

هَتَفَ
السَّجَرُ

«رَجَعَ الْأَجْبَةُ غَيْرَ أَنَّ أَجْبَتِي
لَمْ يَرْجِعُوا .
خُذْنِي
مَعَكَ»

أَكُلُّ نَادَانِي بِلَهْفَةٍ خَاتِمٍ فِي

الْعَرَسِ

نَادَى

إِضْبَعَكَ :

«خُذْنِي

مَعَكَ»

«خُذْنِي

«مَعَكَ»

فَبَكَيتُ مِنْ حُزْنِي عَلَى الْأَشْيَاءِ كَيْفَ
تَعِيشُ وَهِيَ وَحِيدَةٌ. وَسَمِعْتُ صَوْتِكَ هَاتِفًا: لَا تَبْكِي،
فَالْأَشْيَاءُ فِيكَ. وَإِنَّهَا إِنْ أَنْتَ عُدْتَ إِلَيَّ، فَهِيَ إِلَيَّ
الَّذِي انْتَهَرْتُهُ عَائِدَةً
مَعَكَ.

لَمَّا سَجَدْتُ لِكُنْيِ أَصْلَبِي، إِنْ تَمَلَّمَلْ
 فِي رُوحِ الْمَاءِ سَلْتُ. وَإِنْ عَلَا شَجَرٌ بِأَطْرَافِي وَقَفْتُ.
 وَبِتُّ أَشْعُرُ أَنَّي أَطْفُو عَلَى مَوْجِ الْهَوَاءِ إِذَا تَغَلَّغَلْ
 بِي يَمَامَ. كُلُّ هَذَا الْكَوْنِ فِيَّ لِأَنَّي مَاضٍ إِلَيْكَ.
 فَإِنْ مَشَيْتُ مَشَى. وَإِنْ أَنَا صَلَّيْتُ صَلَّى. وَازْتَدَى
 جِلْدَ الْعَزَالِ، وَبِالرَّمَادِ الْمُرِّ مَوَّةَ غَضِّ قَامَتِهِ، إِذَا
 أَضْبَحْتُ نَاسِكَكَ الْمُنْقَى كَالْكَلَامِ مُقْلَمًا، وَمُقَرَّغًا، إِلَّا مِنْ
 الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ أَنْتَ، مَعَ أَبْعَادِكَ اللَّامُنْتَهِي التَّأْوِيلُ فِيهَا.
 لَمْ يَجِءْ ذَا الْكَوْنِ مِنْ أَقْصَى الْأَقْصَى كُنْيِ يَعِينِشْ
 بِدَاخِلِي، لَوْ لَمْ يَكُنْ يَذْرِي بِأُنْيِ حِينَ أَتْرُكُ كُلَّ
 شَيْءٍ كُنْيِ أَعُوذَ إِلَيْكَ، سَوْفَ أَسِيرُ حَتَّى آخِرِ الْمَخْفِي
 فِيهِ، لِأَقْرَعَ الْأَجْرَاسِ أَنَا آخِرَ الْأَمْرِ اتَّحَدْنَا.
 كُنْتُ

أَضْعِي لِلتَّرَاتِيلِ الَّتِي أَشْتَمُّ رَائِحَةَ الْوُضُوءِ إِلَيْكَ فِيهَا.

كُنْتُ أَتْبَعُهَا لِأَعْرِفَ أَيْنَ دَيْرُكَ فِي مَرَامِي الْأَرْضِ؟

أَتَعْبِنِي

نُحُولِي .

لَيْتَهُ يَزْدَادُ حَتَّى أَمَّجِي كَالرِّيحِ .

حَاوَلْتُ التَّخَلُّصَ فِيكَ مِنْ جَسَدِي . لِأَنَّ بَهَاءَ أَنِّي عَاشِقٌ ،

أَلَّا يُرَى فِي الْأَرْضِ لِي جَسَدٌ . لِمَاذَا أَنْتَ يَا

جَسَدِي ،

مَعِي؟!

مَا أَحْقَرَ الْأَجْسَادَ . لَمْ تَنْقُلْ حَبِيبًا مَرَّةً

لِحَبِيبِهِ ، إِلَّا تَقَاسَمْتَ الْحَبِيبَ كَأَنَّهَا لِي

مَعَهُ

لَوْ كُنْتُ

بِحَارًا

وَجِسْمِي

أَشْرَعَهُ

لَتَرَكْتُهَا عِنْدَ الْخَلِيجِ، وَزُرْتُ بَيْتَكَ،

لَيْسَ

لِي

جَسَدٌ،

فَأَجْمَلُ مَا بِمَحْبُوبٍ لَهُ جَسَدٌ، إِذَا

مَا

وَدَّعَهُ،

وَمَضَى إِلَيْكَ . وَحِينَ عَادَ

إِلَيْهِ بَعْدَكَ

ضَيَّعَهُ .

٤

مَا دَلَّنِي أَحَدٌ .

رَأَيْتُ وُجُوهُهُمْ كَصَلَاةِ قَلْبَيْسِينَ حِينَ

سَأَلْتُ عَنْكَ؛ وَرُوحَهُمْ وَقَعَ اسْمُكَ فِيهَا كَمَا وَقَعَ
الزُّمْرُدُ فِي مِيَاهِ الْفَقْرِ لَكِنْ، يَجْهَلُونَ بَهَاءَ وَجْهِكَ
فِي الزَّمَانِ، وَأَيْنَ ذَيْرُكَ فِي غُمُوضِ الْكَوْنِ.

كَانُوا

يَنْظُرُونَ إِلَى نُحُولِي فِي حَنَانٍ. كُنْتُ أَقْرَبُ فِي
النُّحُولِ إِلَى عَلَامَاتِ التَّعَجُّبِ. بَعْضُهُمْ مَرَّتْ يَدَاهُ عَلَيَّ
حَتَّى صَدَقَتْ عَيْنَاهُ مَا كَالطَّنِيفِ شَاهِدَتَا. وَكَانَ الْكُلُّ
نُسَاكًا، وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا مَغْبُودَهُمْ يَوْمًا، وَلَا صَعِدَتْ
لَهُمْ رُوحٌ إِلَى فِرْدَوْسِهِمْ كَيْ يَغْرِفُوهُ بِأَيِّ أَرْضٍ.

فَرَّبْتُ بِالْقَمْحِ سُنْبُلَتَانِ:

- كُلُّ

- إِشْرَبَ مِيَاهِي

قَالَ رَاعِي الظِّلِّ.

قَالَتْ حَوْرَةٌ:

- نَمَّ عِنْدَنَا.

دَفَلَى السَّوَاقِي قَالَ:

- خُذْ مِنِّي سِرَاجاً لِلطَّرِيقِ .

وَقَالَتِ الْأَعْشَابُ :

- سَلْ رِيحَ الشَّمَالِ كَمْ انْتَهَرْنَا ،

كَمْ يَسِينَا فِي غِيَابِكَ .

أُقْبِلْتُ عُصْفُورَةً غَطَّتْ عَلَيَّ كَتِيفِي

وَقَالَتْ :

سَوْفَ أَسْبَحُ فِي الْهَوَاءِ لِكَيْ أَرَكَ كَنُقْطَةَ ضَاعَتْ

عِبَارَتُهَا .

«تَدْتُرُ - قَالَ لِي بَجَعٌ - بِأَبْيَضٍ .

فَهُوَ رَمَزٌ لِلْمُسَافِرِ عِنْدَ صُوفِي النِّسَاءِ» .

وَمَدَّ بُرْدَتَهُ عَلَيَّ كَتِيفِي .

وَكَانَ قِبَالَتِي حَجَرٌ قَدِيمٌ ، قَالَ :

- أَنْتَ أَنَا الَّذِي قَدْ كُنْتُ قَبْلَ

تَحَوُّلِي حَجَراً . فَقُمْ .

لَا تَسْأَلُ الْأَمْوَاجُ : أَيْنَ سَوَاحِلِي؟ وَالْعُضُنُ

لَا يُضْغِي لِغَيْرِ الْأَخْضَرِ السَّرِيِّ كَيْ يَصِلَ الْهَوَاءُ ، فَقُمْ .

فَقُمْتُ كَمَا لَه
رَجُلًا زَبَدًا.

لَمْ يَلْتَفِتْ وَجْهَهُ إِلَيَّ .
وَلَمْ يُودِّعْنِي أَحَدًا .



نَايَا

أَسِيرُ . وَخَطَوْتِي فِي الْأَرْضِ أَثْقَلُ .
لَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلُ أَشْعُرُ أَنَّ لِي جَسَدًا بِهَذَا الْبُطْءِ .
حِينَ نَظَرْتُ خَلْفِي ، لَمْ أَجِدْ شَيْئًا . وَعَطَّتْ فَوْقَ
عُكَّازِي فَرَّاشَةً تَرْجِسُ ، فَسَمِعْتُ عُضْفُورًا يَقُولُ لَهَا :
- هُنَا .

طَارَتْ عَنِ الْعُكَّازِ
وَاخْتَبَأَتْ بِقَلْبِي .

فَاكْتَشَفْتُ مَخَابِيءَ الْأَشْيَاءِ فِيَّ . وَكَيْفَ
أَنَّ جَمِيعَهَا تَرَكْتُ مَسَاكِنَهَا الْبَعِيدَةَ كَيْ تُرَافِقَنِي إِلَيْكَ .

سَمِعْتُ شَيْئًا كَالرَّدَاذِ

بِدَاخِلِي ،

كَانَ

الْمَطْرُ .

وَعَرَفْتُ مِنْ سَيْرِي السَّرِيعِ بِأَنَّ
فِي عَضَلَاتِي انْتَشَرَتْ أَنَاشِيدُ الرِّيَّاحِ ، وَفِي
عِظَامِي ابْيَضُّ نَضْلُ الْبَرْقِ ،

وَاخْضَرَّ

الْحَجَرُ .

٥

مُتَحَدِّرًا مِنْ جَبْرِ لَيْنِينَ إِلَيْهَا ،

نَحْو نَهْدَيْهَا أَمَامَ جُنُودِ بَارِيسَ الْمُحَاصِرَةِ الْبَيَارِقِ .
نَازِلًا ضَيْفًا عَلَى الْفُرْسَانِ ، مَنْ أَهْدُوا إِلَى عُنُقِي
الْمَنَادِيلَ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْهَا أَجْمَلُ الْأَشْعَارِ فِي لُغَةِ
الدُّمُوعِ . وَزَائِرًا عِنْدَ الْعُرُوبِ بِرِفْقَةِ الشُّعْرَاءِ قَبْرَ مَلَائِكِ
دُنْيِي ، قُبَّةَ الْعَيْنَيْنِ فَوْقَ ضَرْيْحِ لَيْلَى ، حَيْثُ يَنْهَمِرُ
الْبُكَاءُ بِلا انْقِطَاعِ .

قَدَّمْتُ لِي عُضْنَ صَفْصَافٍ ، وَسَلَّةَ
يَاسَمِينٍ فَوْقَهُ قَمَرٌ بَنَاتُ الصُّيْنِ . فِي الْيَابَانِ أَهْدَتْنِي
النِّسَاءُ قَوَامَهُنَّ مُغْلَفًا بِقَمِيصِ خَزْ لَفَّهُ زُنَارُهُنَّ .
وَفِي التَّتَارِ رَقَضْنَ لِي حَرَكَاتِهِنَّ عَلَى ظُهُورِ جِيَادِهِنَّ .
فَتَخَنَ فِي الْقُوْقَازِ لِي ، وَالشُّرُكْسِ السُّحْرِيِّ ، وَالْكُرْجِ
الْمُعْتَقِ ، بَابَ صَيْفِ خُصُورِهِنَّ . رَأَيْتُ فِي زَرْعِ الْقَبَائِلِ
خِضْبَهُنَّ . وَلَا سَمِيهِنَّ يَعُودُ فِي زَمَنِ الْمَرَاعِي ، وَاکْتِشَافِ النَّارِ ،
وَالْقَنْصِ الْمُغَامِرِ ، نَسْلُهُنَّ . وَكُنَّ قَبْلَ جَمِيعِ كُهَّانِ الرُّؤْيِ
فِي الْأَرْضِ كَاهِنَةً . وَلَمَّا السَّيْفُ وَجَّ رَأَيْتُهُنَّ مُقْلَدَاتِ
صَوْلَجَانَا فِي الْيَمَنِ .

وَرَأَيْتُهُنَّ بِمِضْرَ، وَالْيُونَانِ، فِي صُورِ،
وَتَدْمَرَ، وَالْعِرَاقِ، ضَمَمْنَ لَا رَجُلًا، وَلَا بَاقَاتٍ وَزِدَ
بَلْ وَطَنَ.

لَمَّا شَرِبْتُ الْمَاءَ، أَهْدَتْنِي غِنَاءَ نَاجِلًا:
شَهْرًا يَمَامَ مُقَلَّتَاهُ الْعَاشِقُ الْكُرْدِيُّ.
وَهُوَ بِطُولِ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ شَمْعًا، تَذُوبٌ مِنَ الْفِرَاقِ
لَأَنَّهُ سَنَةٌ انْتِظَارٍ.

عِنْدَمَا زُرْتُ ابْنَ عَبَّادٍ رَأَيْتُ اللَّوَزَ
فِي إِسْبِيلِيَا وَالطُّيْنَ وَهُوَ عُبَارٌ أَطْيَابٍ تَمَازِجُهُ مِيَاهُ الْوَرْدِ مَعْجُونًا
بِرَجْلِي مَنْ أَطَارَتْ بِابْنِ عَبَّادٍ يَمَامَ الْعِشْقِ. فِي الْ«غَالِ» النَّسَاءِ
بَكَيْنَ رَاعِيَهُنَّ مَنْ فِي اللَّيْلِ قَدْ عَبَرَ الْبَحِيرَةَ وَهُوَ سَكْرَانٌ لِيَأْتِيَهُنَّ
بِالْقَمَرِ الْمُرْصَعِ لِأَزْوَدِ الْمَاءِ. نَافِذَةٌ مِنَ الْفَيْرُوزِ فِي
تَخْرِيمِ أَزْرَارٍ عَلَى شَبَكِ الْحَرِيرِ، وَرَاءَهَا فِي دَارَةِ
هِنْدِيَّةٍ، أَمْضِيَتْ لَيْلًا لَا أَرَى إِلَّا بَتُولًا، تَحْتَهَا
فَانُوسٌ يَاقُوتِ، وَمَقْعَدُ آبُوسِ قُرْبَهُ نَافُورَةٌ فِي صَوْتِهَا

طَيْفٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ يُلْقِي لِلْحَبِيبَةِ شِعْرَهُمْ تَحْتَ التَّوَافِدِ.
 طُفْتُ بِبَابِلَ. أَذْخَلُونِي مَعْبِداً كَهَانُهُ
 دَهَنُوا أَصَابِعَهُمْ بِزَيْتٍ، وَانْحَنُوا خُضِرَ الْمَلَابِسِ وَهِيَ فِي
 مِحْرَابِهِ بِالْأَرْجَوَانِ كَأَنَّهَا وَرْدٌ، وَهُمْ أَعْشَابُهُ.
 هَبَّتْ عَلَيَّ رُوحِي صَلَاةَ الْفَجْرِ
 حِينَ رَأَيْتُ زَيْنَبَ. مَرِّمُ الْعَذْرَاءِ كَانَتْ عِنْدَ مِغْزَلِهَا،
 وَسَرَبٌ مِنْ حَمَامٍ قُرْبَهَا عَارٍ، يَلْفُ خُيُوطَ مِغْزَلِهَا
 عَلَيْهِ. يَصِيرُ أَبْيَضَ، ثُمَّ يَسْبُحُ فِي الْفَضَاءِ مُبَشِّراً
 ذَا الْأَجْنَحِ الْوَثْنِيِّ، وَالطَّيْرِ الَّتِي صُلِبَتْ بِرُومًا دَاخِلَ
 الْأَفْقَاصِ،

بِالرُّوحِ الْقُدُسِ.

لَمَّا دَخَلْتُ كَأَنِّي رَاعٍ مَعَارَةَ بَيْتِ
 لَحْمٍ، شَاهَدْتُ عَيْنَايَ مَرِّمَ مِنْ جَدِيدٍ، وَالْمَسِيحَ وَكَانَ
 نَائِي قُرْبَهُ، لَفْتُهُ أُمَّ مِثْلُ مَرِّمَ فِي قَمَاطٍ مِنْ
 بَخُورٍ. عِنْدَهَا أَذْرَكْتُ أَنَّ الصَّوْتِ فِي فَيْرُورٍ قَدْ
 وَلَدَتْهُ عَذْرَاءُ الْمَلَائِكِ حَيْثُمَا وُلِدَ الْمَسِيحُ.

وَمَادَ زِلْزَالَ كَرْقِصِ الْمَوْتِ بِي!
 عَصَفَتْ رِيَّاحَ حَازَّةً، مَلَأَى رَوَائِحَ
 أذْمُوعَ وَدَمٍ. وَفِي فَمِهَا رَمَادُ أَسْوَدٍ. وَعَلَى يَدَيْهَا
 مَضَلُّ مَوْتَى أَخْضَرٍ، مُتَقَطَّرٌ بَيْنَ الْمَقَابِرِ مِنْ ثِيَابِ
 تَعْرِفُ الْأَمْوَاتِ مِنْهَا أَنَّهُمْ لَيْسُوا رِجَالًا، إِنَّمَا هُمْ
 نِسْوَةٌ مِنْ كُلِّ عُمُرٍ، كُلِّ لَوْنٍ، بَيْنَهُنَّ الطُّفْلَةُ
 الْمِزْمَارُ، وَالْأُمُّ الْيَمَامَةُ، وَالْعَرُوسُ، وَكُلُّ زَوْجَاتِ الْمَنَازِلِ،
 وَالْعَدَارَى.

لَمْ

أُصَدِّقُ مَا أُشَاهِدُ، بَعْدَمَا شَاهَدْتُ
 مَا قَدْ كُنْتُ وَأَنَا أَطُوفُ فِي بِلَادِ الْأَرْضِ. أَعْمَانِي
 الرَّجَالُ عَنِ الْحَقِيقَةِ. لَمْ أَكُنْ أَذْرِي بِأَنَّ قُلُوبَهُمْ
 لِيصَّ، وَأَيْدِيَهُمْ مَقَاصِلُ،

مُجْرِمُونَ

وَمُجْرِمُونَ

وَمُجْرِمُونَ.

زَاغُوا. أَبَا حُوا. رَاوَعُوا. مَكَرُوا. زَنُوا.
 تَبَجَّأَتْهُمْ يَأْفُوتُ سَفَاحِينَ. سُلْطَتُهُمْ مَجَازِرُ. رُوحُهُمْ بَرَصُ
 وَزَنْجَارُ. بِهِمْ صَدَأٌ مُذَابٌ لَا دَمَ. يَغْلُو طَحِينٌ لِسَانِهِمْ
 عَفْنٌ. وَمَا أَفْكَارُهُمْ إِلَّا قَرَاصِنَةٌ. سَطُوا بِاللَّهِ، وَالذِّينَارِ
 وَالسِّيفِ الْمُجَلَّلِ بِالسَّوَادِ، عَلَى جَمَالِ الْوَقْتِ، وَالْفِرْدَوْسِ،
 وَالذَّوْرَانِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي رَقَصَتْ عَلَى دَمِهَا الْخُزَامِيُّ
 الْمُبَارِكِ. لَمْ أَرِ امْرَأَةً وَلَمْ تُزَجِّمْ. وَمَا افْتَرَعُوا عَلَى
 شَيْءٍ كَمَا افْتَرَعُوا عَلَيْهَا. سَلَّةٌ مَلَأَى بِرَفِصِ أَحْمَرِ
 مَطْرُوحَةٍ فِي السُّوقِ. أَفْعَى. لَعْنَةٌ. مَطْرُودَةٌ مِنْ نِعْمَةٍ
 الصَّلَوَاتِ. لِأَحَقِّهَا الْقَضَاءُ بِتُهْمَةِ التُّهْدَيْنِ. عَاهِرَةٌ. لَهَا مَا
 بَيْنَ فَخْذَيْ نَوْمِهَا الشَّبَقِيِّ خَيْمَةٌ عَنكَبُوتٍ. إِنَّهَا «فَرَسُ
 الْيَهُودِ». شَهِيَّةٌ، لَكِنْ كَأَضْحِيَّةٍ. تُسَاقُ كَمَا عَزِ. وَإِذَا هِيَ
 اعْتَصَمَتْ بِ«لَا»، جُلِدَتْ. وَلَيْسَتْ غَيْرَ صُنْدُوقٍ، إِذَا فُتِحَتْ،
 نَمَتْ لِشُرُورِهَا فِي الْأَرْضِ أَجْنِحَةٌ وَطَارَتْ. إِنَّهَا دَنْسُ
 الْخَلِيقَةِ. حَبْلُ سُرَّتِنَا الْمُعْلَقُ فِي أُمُومَتِهَا، يُلْفُ عَلَى
 الْوِلَادَةِ، ثُمَّ يُقَطَّعُ مِثْلَ مَشْنَقَةٍ تَدُلُّي تَحْتَهَا جَسَدُ الْخَطِيئَةِ.

زَوَّرَ الرَّجُلُ افْتِتَاحَ الْأَرْضِ، صَكَ
الْكَوْنِ. أَخْرَقَ فِي بِلَاطِ الزَّرْعِ رَايَةَ بُلْبُلِ الرَّاعِي،
سِجْلَ الْخِصْبِ.

قَالَتْ لِي دُمُوعِي:

أَيْنَ يُخْفِي وَجْهَهُ الْقَاضِي مِّنَ
الْمِيزَانِ؟ مَنْ يَزُوِي بِيَاضَ لِسَانِ سُكَّرَةٍ بِدِفْلَى؟! كَيْفَ
دَيْنٌ يَلْعَنُ امْرَأَةً وَتَبْقَى فِيهِ رَائِحَةُ الصَّلَاةِ؟! وَمَا
جَنَاحٌ لَيْسَ تَعْرِفُهُ الرِّيَّاحُ بِغَيْرِ سَيَّافِ التُّرَابِ؟ وَأَيُّ
عُرْسٍ لَمْ تَكُنْ فِيهِ الْعَرُوسُ جَنَازَةً، جُثْمَانَهَا عَارٍ، وَمَا
حَرَكَاتُهُ إِلَّا نَوَاحُ جَمَالِهَا الْبَاكِئِ عَلَيْهَا؟
أَسْوَدَ جَرَسُ الْخَلِيقَةِ.

مُرَّةَ رُوحِ الشَّرَائِعِ.

لَا جَمَالَ. وَلَا حَقِيقَةَ. كُلُّ شَيْءٍ زَائِفٌ
وَمُرَاوَعٌ. لَا شَعْبَ حُرٍّ. وَالْحَضَارَةُ زِنَزَلُحَتْ طَالِعَ بَيْنِ
الدَّمَاءِ. وَلَيْسَتْ الرَّايَاتُ غَيْرَ فُمَاشَةٍ مَسَحَ الرَّجَالُ بِهَا
دَمَ الْأَرْضِ الَّتِي اغْتَصَبُوا بَكَارَتَهَا.

نِسَاء

لَوْ خَرَجْنَا مِنَ الْعُقُودَةِ فِي مَحَابِسِهِنَّ،
مَشِينِ الْبُيُوتِ عَلَى ضُلُوعِ رِجَالِهَا. كَسَّرْنَا لَوْحَ الْخَلْقِ.
زَلْزَلْنَا الْمَمَالِكَ. دُسْنَا مَحْبَرَةَ الشَّرَائِعِ بِالْمَمَاجِي. صُخْنَا فِي
أَيَّامِهِنَّ: انْهَضْنَا مِنْ أَكْفَانِكُنَّ.

نَهَضْنَا،

وَاشْتَبَكْنَا وَأَيَّامَ الرَّجَالِ

السُّودَ

أَيَّامُ النِّسَاءِ.

وَإِذَا الزَّمَانُ الْيَوْمُ ضِدُّ الْيَوْمِ.
شَهْرٌ ذَلِكَ شَهْرًا. رُمِحَ عَامٌ وَقَعَّ فِي رُمِحِ عَامٍ.
وَالْعُصُورُ تَسِيرٌ عَضْرًا نَحْوَ عَضْرِ. لَيْسَ يَبْرُقُ فَوْقَهَا
إِلَّا السُّيُوفُ، وَلَيْسَ يُمَطِّرُ تَحْتَهَا

إِلَّا

الدَّمَاءَ.

وَتَكُونُ أَوَّلَ مَرَّةٍ حَزْبٌ
تَرَاهَا الْأَرْضُ بَيْنَ
الطَّاغِيَةِ

وَالجَّارِيَةِ .



لَا مَاءَ يَغْسِلُنِي . وَلَا نَارٌ تُطَهِّرُنِي . وَلَا
تَكْفِي صَلَاتِي أَوْ دُمُوعِي كَيْ أُكْفَرَ يَا نِسَاءَ الْأَرْضِ عَمَّا رُوحِي
ارْتَكَبْتُ ، وَمَا جَسَدِي أَتَى مِنْ بَغْضٍ مَا أَنَا فِيهِ
مِنْ عَارٍ قَدِيمٍ .

لَمْ أَكُنْ إِلَّا
مُرَاوِدُكُنَّ . أَبْدَأُ رَاهِبًا مَعَكُنَّ . أَجْعَلُكُنَّ أَيْقُونَاتٍ دِيرِي . ثُمَّ
أُنزِلُكُنَّ مِنْ لُوحَاتِكُنَّ . أَفُوذُكُنَّ إِلَى فِرَاشِي ، حَيْثُ أَخْلَعُ
رَاهِبِي عَنِّي . وَأُخْرِجُ لِمَتِصَاصٍ بَهَائِكُنَّ قَطِيعَ مَا بِي مِنْ

ذئَابٍ . ثُمَّ أَتْرُكُكُنَّ لَيْسَ يَذُوبُ مِنْ
أَجْسَادِكُنَّ

إِلَّا بَقَايَا مِنْ
شُمُوعِ
دِمَائِكُنَّ .

لَوْ كُنْتُ ظِلًّا فِي الصَّحَارَى؛
قَسَّةً بَعْدَ الْحَصَادِ؛ يَمَامَةً لَجَنَاحِهَا إِيقَاعُ نَائِي فِي
رُعَاةِ الْبَرِّ . إِنَّ خَطِيئَتِي هِيَ أَنَّنِي رَجُلٌ يُخْبِيءُ
فِيهِ ذئَابًا! مَنْ يُصَدِّقُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، أَوْ أَصْبَحْتُ
صَفْصَافًا لِكثْرَةِ مَا جَرَى دَمْعِي عَلَى جَسَدِي؟ تَنْكَرَ
لِي مَلَائِكِي . لَا بَخُورَ يُحِبُّ جَمْرِي . وَالْبَنَفْسُجُ حِينَ
أَحْمَلُهُ إِلَيْكَ يَمُوتُ مُخْتَنِقًا بِسَمِّ يَدِي . مَحَانِي الْوَقْتِ .
عَاقِبَتِي رَمَادِي . مَالِحٌ . مُرٌّ . مُبَاحُ الْوَجْهِ . مَطْرُودٌ . مُهَانَ
فِي دَمِي . حَتَّى الْخَطَايَا الْآنَ تَكْرَهُنِي . جَمِيعُ الْمَرْيَمَاتِ

الْبَيْضِ ضِدِّي. كُلُّ تَسْبِيحٍ يَرَى لِيصاً بِصَوْتِي. لَا لِتَوْبَةٍ
كَافِرِي بَابٍ، وَلَا غُفْرَانَ لِي. لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْتِ
أَيْتُهَا الَّتِي لَمْ تَكْتَمِلِ لُغَةً لِأَنَّكَ لَسْتَ فِيهَا. صَدَّقَنِي
أَنَّ التُّرَابَ يَصِيرُ حِينَ يُحَبُّ عُصْفُوراً، وَنَضَلَ الرُّمَحَ عُشْباً،
وَالذُّنَابَ عَرِيشَ قَرِيَّتِنَا. أَلَا كُونِي الْيَمَامَةَ عِنْدَمَا
أَبْكِي. أَنَا

الطَّيْفُ الَّذِي لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ خَطَايَا
جِسْمِهِ فِيهِ. نَقِيٌّ،
خَالِصٌ،

لَكَأَنَّ أُمِّي عِنْدَمَا وُلِدْتُ صَبِيئاً،
لَمْ تَلِدْ إِلَّا مَعَامِضَ طَيْفِهِ، مِنْ بَعْدِ أَنْ نَقَّتْهُ مِنْ
أَعْضَائِهِ. هَلْ كُنْتُ أُمِّي؟!

أَهْ كَمِ صَدَّقْتُ أَنْ
أَبِي يُضَاجِعُ غَيْرَ أُمِّي. لَمْ أَصَدِّقْ أَنَّ أُمِّي مَرَّةً
خَانَتْ أَبِي.

لَا تَقْتُلِي هَذَا التَّصَوُّورَ بِي. لِأَنَّكَ

تَغْرُزِينَ السَّيْفَ فِيكَ . فَأَنْتِ أُمِّي . فَاغْفِرِي .
أَضْبَحْتُ مِنْ شَكِّي لِسَيْفِي
فِي خَطَايَا قَامَتِي ،
كُلِّي جِرَاحُ

لَكَأَنَّ فِيَّ الْعَيْمَ حِينَ تَشْكُهُ
بِأَسِنَّةِ الْبَرْقِ
الرِّيَّاحُ .

قَدْ صَارَ أَمْسَ غَدًا . قَلَبْتُ الْوَقْتَ .
إِنِّي رَاجِعٌ لِلْبَدْءِ . أَمْحُو النَّصَّ . أَهْدِمُ كُلَّ أَعْمِدَةٍ
الْحَضَارَةِ . وَاللُّغَاتُ أَفْكَ عَنْهَا الْوَاوُ وَالْتُونُ اللَّذِينَ يُقَيِّدُ
الْمَلِكُ الْمَذَكَّرُ عَنْقَهَا بِهِمَا .

رَأَيْتُ الشَّمْسَ الْطَفَّ ؛ وَالْبِحَارَ أَصَحَّ ؛
وَالْحَشْرَاتِ أَكْمَلَ مِنْ رِجَالِ الْأَرْضِ لَمَّا كُلَّمَا رَجَلًا بَنَوْا
هَدَمُوا امْرَأَةً .

مَاذَا سَيَنْفَعُنِي التَّسِيمُ
إِذَا وُلِدْتُ

بِأَرْبَعَةٍ؟!

إِنِّي أَعُوذُ إِلَى بَدَايَةِ سَفْرِ
تَكْوِينِ الْخَلِيقَةِ، حَيْثُ أَبْدَأُ مِنْ جَدِيدِ صُنْعِ مَجْدِ
الْأَرْضِ بِالْجَسَدَيْنِ مُتَّحِدَيْنِ. لَا كَأَنَّا بِفِرْدَوْسٍ، وَلَمْ
يَطْرُدْهُمَا أَحَدٌ. مَعًا وُلِدَا. مَعًا حَمَلَا صَلِيبَ الرِّيحِ.
وَامْتَزَجَا فَلَا انْفَصَالًا. وَعَاشَا فِي عِنَاقِهِمَا فَلَا افْتِرَاقًا.
سَابَعِدُ عَنْهُمَا أُسْطُورَةُ التَّكْوِينِ؛ أَدْيَانُ الذُّكُورَةِ، صَهْوَةٌ
الْبَطْلِ الَّذِي جَعَلَ النِّسَاءَ إِمَاءَهُ، وَمَضَى بَعِيدًا بِالْأَسِنَّةِ
فَوْقَ

أَعْنَاقِ الْقَصَبِ

كَيْ يُخْضِعَ الْأَرْضَ الْجَمِيلَةَ
بِالدَّمَاءِ وَبِالدَّهَبِ.

وَسَمِعْتُ أَجْرَاساً! فَهَبَّ بِدَاخِلِي الْكَوْنُ
الَّذِي قَدْ كَانَ رَافِقَنِي. الْبَتَّسُجُ قَالَ:

لَمْ أَسْمَعْ بِكُلِّ كَنَائِسِ الْوُدَيَانِ
أَصْوَاتاً كَهَذَا الصَّوْتِ. قَالَتْ حَوْرَةٌ رَقِصَتْ عَلَيْهَا
طَيْرُهَا.

يَا رَاهِبَ الْعُشَّاقِ
هَذَا ذَيْرُهَا.

وَتَفَلَّلْتُ مِنِّْي الْبِحَارُ. وَنَجْمَةٌ هَتَفَتْ
بِأُخْرَى: اسْتَيْقِظِي. وَمِنَ التَّلَوِّي فِي الْغُصُونِ عَرَفْتُ أَنَّ
الرِّيْحَ تَرْكُضُ. لَمْ أَكُنْ أَذْرِي بِأَنَّ الْكَوْنَ مِثْلِي كَانَ
مُحْتَاجاً إِلَى امْرَأَةٍ لِيَعْدُو الْقَمْحُ، وَالزَّيْتُونُ، وَالِدُّوْرَانُ حَوْلَ
السَّمْسِ، وَالْقَمَرُ الْمُعَلَّقُ خَاتِماً مِنْ فِضَّةٍ فِي اللَّيْلِ،
أَكْثَرَ رَقِصَةً خَضْرَاءَ فِي
عِيدِ الرِّيَّاحِ.

حَجَرٌ لِآخِرِ قَالٍ: أَشْعُرُ أَنْنَا
نَحْضِرُ. قَالَ الرُّمْحُ: إِنِّي ذَاهِبٌ لِأَصِيرِ سُنْبُلَةٍ. وَقَالَ
التَّاجُ لِلصَّفْصَافِ: عَلَّمَنِي اسْتِدَارَةَ تَاجِكَ الْوَرَقِيِّ قَبْلَ وُضُؤِنَا
لِلدَّيْرِ. صَلَّى الْحَقْلُ فِي نَيْسَانَ: نَقِّي يَا أَصَابِعَ ذَا
النَّسِيمِ الْحَقْلَ مِنْ هَذَا التُّرَابِ، وَذَا الْحَصَى،
نَقِّي الْأَقَاخَ.

نَهَضَ الْجَمِيعُ.

وَفِي مَسَاقِطِ صَحْوِي اغْتَسَلُوا، كَمَا
الْعُضْفُورَةُ اغْتَسَلَتْ بِمَاءِ الشَّمْسِ فِي
نَهْرِ الصَّبَاحِ.

وَتَتَلَّتِ الْأَجْرَاسُ. أَسْرَعْنَا. فَرَاخَتْ تَسْبِقُ
الْوَرَقَ الْبِرَاعِمُ؛ وَالْعَمَامَاتِ الْبُرُوقُ؛ وَيَسْبِقُ النَّبْتُ
الْجَمَادُ، وَإِضْبَعُ الْأَمْوَاجِ قَلْبُ الْبَحْرِ،
وَالطَّيْرُ الْجَنَاحُ.

وَالطُّيْبُ قَبْلَ تَفْتُّقِ

الْأَكْمَامِ

فَآخِ .

وَلِسُرْعَةِ الْأَشْيَاءِ نَحْوَ الدَّيْرِ

أَصْبَحَ مَا يَهْبُ بِعَكْسِ مَا نَجْرِي

رِمَاحٍ؛

فَإِذَا بِنَا دِفْلَى ، وَلَكِنْ مَا

تَفْتَحَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا

الجِرَاحِ .

٦

وَرَأَيْتُ نَجْمًا قُرْبَ مِلْحِ نَاعِمِ

يَتَحَدَّثَانِ!

فَبِأَيِّ لُغَةٍ
هَمَا يَتَكَلَّمَانِ؟!

وَبِأَيِّ أَزْمِنَةٍ هُمَا التَّقِيَا، وَصَارَا
صَاحِبَيْنِ؟ وَأَيْنَ يَجْتَمِعَانِ؟! كَيْفَ يُسَافِرَانِ إِلَى بِلَادِهِمَا
الْبَعِيدَةِ عِنْدَمَا
يَتَوَدَّعَانِ؟!

وَشَعَرْتُ أَنَّهُمَا مَعًا يَتَنَاجِيَانِ،
وَيَضْحَكَانِ، وَيَدْمَعَانِ.

كَانَتْ كَمِثْلِهِمَا الْحِجَارَةُ وَالرِّيَّاحُ! الْعُشْبُ
وَالْأَجْرَاسُ! صَرَارُ الصَّنُوبَرِ وَالْمَعَادِنُ! قُبَّةُ الْأَبْرَاجِ وَالصَّدْفُ
الْمُدَوَّرُ! كُلُّ هَذَا الْكَوْنِ مُتَّصِلٌ بِهَذَا الْكَوْنِ. مُتَّحِدٌ بِهِ. مُتَبَدِّلٌ.
مُتَغَيِّرٌ. لَا اثْنَانِ فِيهِ أَرْجَائِهِ.

يَتَفَاتَلَانِ

لَا سَيْفَ . لَا دَمَ . لَا حُدُودَ . كُلُّ
 شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ مُكُونٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . إِنْ يَسِيلَ دَمُهُ
 يَسِيلُ دَمُ كُلِّ شَيْءٍ . مَا أَرَاهُ الْآنَ عِنْدِي وَاضِحاً ،
 قَدْ جَاءَ مِنَّمَا غَامِضاً مِنْ قَبْلُ
 كَانَ .

لَكِنَّ عَاصِفَةً تَفَرَّقَ عِنْدَمَا هَبَّتْ
 جَمِيعُ الْكَوْنِ . فَاقْتَتَلَتْ عَنَاصِرُهُ . وَأَصْبَحَ عِنْدَهُ حَيْلٌ ، وَحِرَاسٌ ،
 وَمِقْصَلَةٌ ، وَجُوعٌ . صَارَ مَا فِي الشَّيْءِ مُوجُودٌ ، عَدُوٌّ
 الشَّيْءِ . كُلُّ ذَاهِبٍ لِضَرِيحِهِ . فِي كُلِّ كَفِّ سِيرَتَا
 لِحْ وَرَنْبَقَةٍ . إِذَا فَتَّشْتَ فِي بَرَكِ السُّكُوتِ وَجَدْتَ
 ضِفْدَعَةً . مُرَابٍ كَالنَّوَاةِ ، بِكُلِّ رُوحٍ ، فَاسِقِهِ نَقْدًا يَصِرُ
 سُوقًا . فَقِيرًا عَاشَ فِي الْأَرْضِ السَّلَامِ ، وَعِنْدَمَا مَلَكَ
 الْأَسِنَّةَ صَارَ حَرْبًا . خَاصَمَ اللَّيْلُ النَّهَارَ ، الشَّمْسُ أَعْضَبَهَا
 الْخِصَامُ ، وَعِنْدَمَا افْتَتَلَ مَعًا ، حُسبًا بِيَوْمٍ . كُلَّمَا اجْتَمَعَتْ
 مَعَ الضَّحِكِ الدُّمُوعُ ، وَجَدْتُ أَنْ لَا أَصْدِقَاءَ سِوَاهُمَا .

خَشَبُ الْأَسْرَةِ يَحْتَوِي قِطْعاً مِنَ التَّابُوتِ . بَعْضُ الْمَوْتِ
مَوْجُودٌ بِكُلِّ التَّوْمِ . أَيَّ عِنَاقِ مَحْبُوبِينَ يَحْمِلُ طَعْنَةً
فِي الْقَلْبِ . لَا قَدِيسَ إِلَّا وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ مَلَائِكِ
أَبْيَضِ ، وَخَطِيئَةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ أُعْجُوبَةً ،
وَصَيَارِفَهُ .

هَزَّتْ جُدُوعَ الْكَوْنِ عَاصِفَةً ، تَقَاتَلَتْ
الْغُصُونُ . وَلَمْ يُفَكِّرْ وَاحِدٌ مِنْهَا
بِقَتْلِ الْعَاصِفَةِ .

٧

إِنَّا نَسِيرُ إِلَى وِلَادَتِنَا الْتِي
خُنَّا أُمُومَتَهَا . أَلَا هُبِّي عَلَيْنَا يَا رِيَّاحَ أُمُومَتِي
الْأُولَى . أَعِينِدِينَا مِنَ الرُّمَحِ الْقَتِيلِ إِلَى الْبَنْفَسَجِ .
طَهَّرِي فِينَا التَّرَابَ لِكَي يَصِيرَ الطِّينُ عُضْفُورًا .

وَنَقَّيْ وَجْهَنَا حَتَّى نَرَاهُ فِي الْمَرَايَا أَقْحُونًا فَوْقَهُ
 عَيْنَاهُ رَفُ فَرَأَسَتَيْنِ . تَعَطَّرِنِي بِالْأَرْضِ حَتَّى نَعْشَقَ الزَّيْتُونَ .
 وَلْتُنْقِذْ يَدَاكَ الْقَمْحَ مِمَّا فِي لُصُوصِ الْخُبْزِ مِنْ حَجَرِ
 الرَّحَى . إِسْتَرْجِعِنِي كُلَّ الْأَكْفِ مِنَ السُّيُوفِ إِلَى الْحَوَاتِمِ
 وَالْهَدَايَا . وَافْتَحِنِي غُرْسًا لِئَأَكُلَ سُكَّرَ الْأَجْرَاسِ . أَنْسَانَا
 الْبُكَاءُ الرَّقْصَ ؛ وَالْقَتْلَى النَّبِيدَ . وَقَدْ سَرَقْنَا مِنْ غُرَاةِ
 الْجُوعِ قُمْصَانَ الطَّحِينِ . وَلَمْ نُمَارِسْ مِنْ نَقَاءِ الْعَقْلِ
 غَيْرَ بَغَاءِ أَيْدِينَا ، وَمِنْ طَيْرَانِهِ فِي الْكَوْنِ إِلَّا
 حَرْبَةَ الرَّهْبَانِ . كُلُّ خَالِعٍ تَابُوتُهُ فِي الْأَرْضِ كَيْ
 يَتَنَاسَلَ الْأَمْوَاتُ فِينَا . أَنْقِذِنِي مَا قَدْ تَبَقَّى مِنْكَ فِيَّ .
 وَأَرْجِعْ عَيْنِكَ أُمِّي الْأُولَى . اغْفِرْ لِي يَا أَيْلَ الرَّاعِي
 ذُنَابِي .

إِنَّ أُنَادِيَنِي أَيُّ شَيْءٍ .
 بِنِي ، أُنَادِيَنِي : يَا
 عَذَابِي .

إِنِّي قَاتِلُنِي. كُلُّ جِرَاحِي لَمْ تَكُنْ فِي
الأَرْضِ إِلَّا مِنْ
جِرَابِي.

عِنْدَمَا خِفْتُ مِنَ الدُّبِّ عَلَى القُطْعَانِ،
جَمَعْتُ كِلَابَ الأَرْضِ حَتَّى أَصْبَحْتُ فِي الأَرْضِ
قُطْعَانِي طَعَاماً
لِكِلَابِي

دَاخِلِي ذُئْبٌ. لَهُ وَجْرٌ مَلِيءٌ
بَضْحَايَا جُوعِهِ، يُدْعَى
تُرَابِي

عِنْدَمَا أَصْبَحْتُ شَيْخاً. لِي صَدِيقٌ
غَائِبٌ مُنْذُ سِنِينَ، مَرَّ بِي، لَمْ يَلْتَفِتْ. كَانَ
شَبَابِي

جَسَدِي مَذْبَحْتِي .

رُوحِي خَرَابِي .

عَائِدْ يَا أُمِّي الْأُولَى ، اغْفِرِي لِي .

عَائِدْ ، لَيْسَ مَعِي إِلَّا ضَرِيحِي ،

وَعُرَابِي

٨

كَانَتْ أَمَامِي فِي الطَّرِيقِ بُحَيْرَةٌ
لِلدَّمْعِ . تَنْهَضُ فِي أَوَاسِطِ مَوْجِهَا صَفْصَافَةٌ مِنْ أَعْيُنِ
تَبْكِي . اقْتَرَبْتُ مِنَ الضُّفَافِ ، وَهَلْتُ رَأْسِي كَالْمَسَاءِ .
وَقَطَّرَتْ عَيْنَايَ دَمْعِي فَاسْتَحَالَ دَوَائِرًا شَاهِدَتْ حِينَ
تَرَأَقَصَتْ دَرَجًا عَمِيقًا يَنْتَهِي بِمَلَائِكِ خُضِرِ عَلَى
بَوَابَةِ بَيْضَاءَ يَغْلُو قَوْسَهَا الشَّمْعِي سَقْفٌ مِنْ
عَرِيشِ .

أَقْبَلْتُ رِيحَ بِنْتِ هَدْيِ نَزْجِسٍ . لَمَسَتْ
عَصَايَ فَأُضْبِحَتْ مِلْحًا . نَضْتُ عَنْ قَامَتِي جِلْدَ الْغَزَالِ ،
فَصَارَ مِرَاةً لِأَمْسِي . حَرَكْتُ فَوْقِي عِمَامَةَ يَاسَمِينِ ، فَاعْتَسَلْتُ
بِهَا . وَرُحْتُ كَمَا الْيَمَامَةُ أَهْبِطُ الدَّرَجَ الْمُمَوَّجَ بِالدُّمُوعِ .

وَفَجَاءَ

عَطَّتْ عَلَيَّ وَجْهِي الْبَلِيلِ فَرَأَشْتَانِ ،
وَشَالَتَا بِالْمُقْلَتَيْنِ فَصِرْتُ أَعْمَى ، عَلَّقَتْ عَيْنَاهُ بِالصَّفْصَافِ
كَيْ تَتَرَفَّرَقَا كَعُيُونِ مَنْ سَبَقُوهُ مِنْ رُهْبَانِكِ الْمُتَقَطَّرَاتِ
دُمُوعُهُمْ مَطْرًا

يُدْرِزُهُ

عِمَامَ

أَخْضَرُ

حَتَّى

يَصِيرُوا طَاهِرِينَ

فَيُبْصِرُوا .

فَتَحَّ الْمَلَائِكُ أَجْنَحاً مِنْ لَوْلُؤِ،
فَتَحَرَّكَتْ بَوَابُهُ بَيْضَاءُ، أَعْطَانِي مَلَائِكُ قَبْلَ أَنْ أَجْتَازَهَا
غُضْنِي عَرِيشِ، فِيهِمَا وَرَقُ، وَعَنْقُودَانِ خَمْرُهُمَا عَلَى جَسَدِي
يَذُوبُ
وَيَقْطُرُ

فَأَصِيرُ طِيناً مَسَّهُ نَوْمٌ عَمِيقٌ.
ثُمَّ أَضْحُو، لَيْسَ خَمِراً، إِنَّمَا جَسَدٌ كَشِعْرِ ضِيْعَتْ
كَلِمَاتِهِ
أَبْيَاتُهُ

فَأَظْلُ أَعْمَى قَدْ تَحَجَّرَ شَكْلُهُ،
فَتَكَسَّرَتْ مِرَاتُهُ.

لَا رَاحَتَاهُ بِهِ،
وَلَا شَهَوَاتُهُ.

بَاقٍ بِهِ بَيْنَ الْمَبَاخِرِ
صَوْتُهُ وَصَلَاتُهُ:

لِي رُكْبَتَانِ إِذَا شَمَمْتَهُمَا شَمَمْتَ
بِلَاطٍ مَعْبِدِهَا. أَنَا حَوْرُ الصَّلَاةِ، يَلْفُئِي عِنْدَ الْغُرُوبِ،
أَمَامَ مَذْبَحِهَا، ضَبَابٌ مِنْ بَحُورٍ. لَا يَرَانِي الشَّمْعُ.
لَا يُضْغِي إِلَيَّ هَمْسِي مَلَكَ. وَالنَّهَارُ إِذَا وَقَفْتُ
بِشَمْسِهِ، لَا ظِلٌّ لِي. وَالنَّوْمُ لَمَّا اللَّيْلُ قَامَ لِكَيْ
يُوزَّعَهُ عَلَيْكُمْ، لَمْ يَجِدْنِي. قَدْ بَرَانِي الْوَجْدُ حَتَّى
لَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَرَى جَسَدِي سِوَاهَا. لَا خَطِيئَةَ بِي.
وَلَا إِنْ مِتُّ فِي قَبْرِي تُرَابٌ.

أَهْ لَوْ تَنَسَى
الْأَمَاكِنُ أَنَّنِي حَجَمٌ. وَنَهْرُ الْوَقْتِ لَوْ يَنْسَى مِيَاهِي
وَهُوَ يَجْرِي. زَاهِدٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ. كُلُّ شَيْءٍ
لَيْتَهُ فِي الْكُونِ يَزْهَدُ بِي، فَأَحْيَا، لَيْسَ يَعْرِفُ
أَنَّنِي قَدْ جِئْتُ إِلَّا أَنتِ. لَوْ مِمَّحَاهُ لَوْحُ الْوَقْتِ

تَمْحُو مِنِّي الْأَيَّامَ . لَا أَسْرَارَ أَجْمَلُ مِنْ بَقَائِي غَيْرَ
مَوْجُودٍ بِرَأْيِ الْأَرْضِ . مَاذَا تَفْعَلُ الْأَشْيَاءُ كَيْ تَبْقَى
عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ، وَلَيْسَ حَتَّى الْوَقْتُ يَدْرِي أَنَّهَا
مَوْجُودَةٌ؟!!

إِنِّي أَمَامَكَ غَيْمَةٌ مُلِئْتُ بِبَرْقٍ .
فَأَفْتَحِي جَسَدَ الرِّيَّاحِ
بِأُفْقِهَا .

لَا غَيْمَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَرِقْتُ
بِلَيْلَةٍ
بَرْقِهَا ،

فِي
عَشِقِهَا .

أَخْرَجْتَنِي مِنِّي . أَعْيَدِينِي إِلَيَّ لِأَسْتَهِيكَ .

كُلُّ مَا أَبْقَيْتَ بِي، طَيْفٌ يُصَلِّي. لَيْسَ بِي جَسَدٌ
يُحِبُّكَ. بِي خَيَالٌ رَاحِعٌ بَيْنَ الْمَجَامِرِ وَالتَّوَاشِيحِ الْكَثِيبَةِ.
أَرْجِعْ لِي قَامَتِي كَيْ أَشْتَهِيَ هَذَا التَّفْتِيحَ فِيكَ،
وَاللَّهَبَ الْمُرْصَعَ بِالتَّلَوِيِّ وَالتَّدَى.

أَهْ أَطْلَعِي صُبْحاً

تَرْتَفِقُ فِي قَوَامٍ.

رُدِّي إِلَيَّ وَجْهِي مَنْاسِكَهُ. بِهِيُّ
أَنْ يَكُونَ لِعَاشِقِي عَيْنَانِ قُبْرَتَا مَسَاءٍ. وَفَمَّ يُحْرِكُ
وَهُوَ فِي فَمِكَ التَّدَى مَا تَحْتَ خَاصِرَتَيْكَ. نَامَتْ
شَهْوَتِي فِي ظِلِّ صَفْصَافِ الصَّلَاةِ فَأَيُّقِظِيهَا. شَهْوَتِي
رِيحٌ. أَعْيِدِي مَا تَفْتَحُ فِيكَ مِنْ شَجَرٍ لِأَعْصَفِ.
كُلَّمَا اهْتَزَّتْ جُدُوزُكَ، صِرَتْ أَكْثَرَ خُضْرَةً.
أَهْ اجْعَلِيْنِي صَخْرَةَ الْآيَامِ. فَحَلَّ
الْبَرْقِ. إِعْصَارَ الْخَوَابِي. السَّاحِرَ الْقَاسِي. لِسَانَ النَّارِ.
وَأَمْتَصِّي عَنَاصِرَ قُوَّتِي حَتَّى أَصِيرَ وَكُلُّنِي نَوْمٌ خَرِيفِي.

فَأَجْمَلُ مَا بِشَيْءٍ عِنْدَمَا تَمْتَصُّ
خُضْرَتَهُ الْعَوَاصِفُ
أَنْ يَنَامَ.

أَخْشَى عَلَى جَسَدِي مِنَ التَّمْثَالِ.
ضُمِّينِي قَلِيلًا، قَبْلَ أَنْ
يَأْتِيَ الرَّخَامَ.

٩

أَعْمَى.
وَوَجَّهِي مَالِحٌ. وَصَلَاتِي الْمَلَأَى مَلَكَأً،
حَوَّلْتُ جَسَدِي إِلَى طَيْفِ قَدِيمٍ، زَائِحِ خَمْرًا، كَأَنِّي
صِرْتُ قَدَيْسَ الْعَرِيْشِ بِلَوْحَةٍ ظَهَرَتْ بِهَا أُعْجُوبَةٌ. إِنِّي
نَقِيٌّ. لَا خَطِيئَةَ بِي لِكَثْرَةِ مَا عَلَى جَسَدِي نَبِيذُكَ
فِي الصَّلَاةِ تَقَطَّرًا.

أَضْبَحْتُ
غُضْنَا أَخْضَرَا،

بَدَأَتْ رُوحَاتٌ عَلَيْهِ تَهْبُ دَافِئَةً،
كَأَنَّ بِهَا أَصَابِعَ أَنْبِيَاءٍ لَامَسَتْ مَيْتًا فَقَامَ. وَطَافَ
حَوْلِي مُنْشِدُونَ وَمُنْشِدَاتٌ، حَامِلِينَ مَبَاخِرًا مُلِثًا بِأُورَاقِ
مِنَ الصَّفْصَافِ، لَفَّ ضَبَابُهَا جَسَدِي الطَّرِيقِي، فَرُحْتُ أَسْمَعُ
أَنْهَرًا تَجْرِي، وَأَجْنِحَةً تَحِفُّ، وَنَائِي رَاعٍ عَزْفُهُ كِبِشَارَةَ
لِقُدُومِ أَيَّامِ الرَّبِّيعِ. وَمَاجَ فَوْقَ جَبِينِي الْحَوْرِي رَفٌّ
فَرَأَشْتَيْنِ، وَحَطَّ كُلُّ مِنْهُمَا فِي مِحْجَرِ الْعَيْنَيْنِ شَيْئًا مِثْلَ

زَيْتُونِ

الْقَرَى .

وَإِذَا بَرُوجِي تَسْتَفِينُ،

وَوَجْهِي الْأَعْمَى

يَرَى .

فَسَمِعْتُ مَنْ قَدْ كَانَ رَافِقَ نَبِيِّ
يُصَلِّي. فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ، كَانَ الْكُونُ، وَهُوَ الْآنَ مِثْلِي
قَدْ رَمَتْ يَدُهُ عَصَاهُ
وَأَبْصَرَا.

وَرَأَيْتُ رُهْبَانًا عَلَى قَامَاتِهِمْ قُمْصَانٌ
تُفَاح. وَفَوْقَ أَكْفِهِمْ كُتُبٌ مِنَ الزَّيْتُونِ مَا قَرَأُوا بِهَا إِلَّا
بَكَوْا. يَتَحَوَّلُونَ إِذَا مَشَوْا بَيْنَ الْمَبَاخِرِ سُبْحَاتٍ أَوْ بَخُورًا.
يُشْعِلُونَ عُيُونَهُمْ حَتَّى تَرَى لَوْحَاتِكَ الزَّرْقَاءَ فِيهَا.
خُشَّعَ. بِنِضِّ. لَهُمْ نَوْمٌ ضَبَابِي.
وَحُبُزٌ ذَائِبٌ. وَمَلَكَ يَأْفُوتِ. وَلَيْسَ لَوَجْهِهِمْ عَسَقٌ. وَلَوْ
صَلَاتِهِمْ مِنْ لَيْلِكَ وَيَنْفَسِحَ. شَمِعَ إِذَا قَامُوا. وَسُنْبُلَةٌ
إِذَا اتَّكَأُوا. وَإِنْ جَلَسُوا، مَكَّاسِرٌ مِنْ مِيَاهِ. مَثَّلَتْهُمْ
بِالْزُّوْلِ إِلَيْكَ أذْمَعُهُمْ. وَكَانَ رَسُولُهُمْ حَتَّى يَرُوكَ بِتَوْبِهِمْ
صَلَوَاتِهِمْ. لَكَ قَامَةٌ إِنْ لَفَّهَا التَّسْبِيحُ صَارُوا نَائِيهَا.
وَإِذَا دَعَتْ أَجْسَادُهُمْ فِي اللَّيْلِ جَاءَ نُحُولُهُمْ.

بَعْدَ
النَّيِّدِ،

مَا كَانَ بَابًا، إِنَّمَا بَدَأَ
الْخَلِيقَةَ مِنْ
جَدِيدٍ.

دَخَلْتُ تُحَيْطُ بِهَا عَذَارَاهَا اللَّوَاتِي
لَمْ تُفْتَحْ بَعْدُ شَهْوَتُهُنَّ. كَانَتْ رَبَّةً بَيْنَ الْمَبَاخِرِ.
كُنَّ لَا عَذْرَاءَ إِلَّا
وَهِيَ عِيدٌ.

كَانَتْ نَيْدًا. كُنَّا كُنَّا لَهَا
أَثَرَ النَّيِّدِ.

جَلَسْتُ كَمَنْ مِنْ يَاسَمِينِ

لَا جَسَدُ

وَتَقَدَّمْتُ مِنِّي عَذَارَاهَا كَغُضَنِ الْخَوْخِ
فِي بَرِّيَّةٍ لِلصَّيْفِ. سِرْتُ وَرَاءَهُنَّ لِمَذْبَحِ عَرِينِ لِي
جَسَدِي عَلَيْهِ. غَسَلْنَاهُ بِالطَّيْبِ. وَرَعْنِ الْعَرِيشِ عَلَى يَدَيَّ.
عَصَبَنَ رَأْسِي بِالْحَرِيرِ مُبَلَّلًا بِالزُّعْفَرَانِ. أَذْبَنَ فِي
شَفْتَيَّ رُوحَ النَّحْلِ كَيْ أُمَّتَصَّ فِيهِ بَكَارَةَ الْأَشْيَاءِ.
رَقَّقَنَ الْوِسَادَةَ لِي كَأَكْلِيلِ الْحَدَائِقِ. طُفَنَ حَوْلَ
نَشِيدِ أَعْضَائِي بِرَاقِصَةِ النَّبِيدِ. نَضَحْتَنِي قُبْلًا رَسْمَنَ
عَلَيَّ تَدْوِيرَاتِهِنَّ مِنْ التُّهُودِ إِلَى انْحِنَاءِ رِذْفِهِنَّ.
وَضَعْنَ سُنْبُلَةً وَنَرْجِسَةً عَلَى ثَدْيِي. ذَرَدَزْنَ النَّدَى
فَوْقِي فَصِرْتُ صَبَاحَ تَمْوِزِ. عَدَدْنَ أَضَالِعِي بِشَفَاهِهِنَّ.
وَأَشَعَلْتُ ثِنْتَانِ مِنْهُنَّ الشُّمُوعَ مُقَطَّرَاتِ بَيْنَ خَاصِرَتَيَّ.
إِحْدَاهُنَّ مَاجَتْ فِي أَصَابِعِهَا السُّكَارَى تَحْتَ سُرَّتِي
الَّتِي رُسِمَتْ كَهَاءٍ عِنْدَ كُوفِيَّ. وَلَمَّا رُحِنَ بِالْأَهَاتِ

يَحْفَفْنَ الْخُصُورَ، سَمِعْتُ نَايَاتِ، وَأَمْطَرَ غَيْمٌ تُفَاحَ عَلَيَّ
جَسَدِي، فَمَدَّتْ مِنْ عَذَارَاهَا اثْنَتَانِ لَهَا الْيَدَيْنِ، فَأَقْبَلْتُ
نَحْوِي، عَلَيْهَا أَنَّهَا غَيْمٌ
وَأَنِّي سَكْرٌ،

سَادُّوْبُ
لَمَّا تُمَطِّرُ



قَامَتْ كَمَنْ مِنْ يَاسَمِينِ
لَا جَسَدُ.

وَتَقَدَّمَتْ بَيْنَ الْعَذَارَى. هُنَّ أَيَّامٌ
صَبَايَا سِتَّةٌ، وَهِيَ
الْأَحَدُ.

نَظَرْتُ
إِلَيَّ .

مَدَّتْ يَدَيْهَا، بَارَكْتَنِي،
أَطَبَقَتْ لِي مُقْلَتِي .

عَطَّطَتْ بِأُورَاقِ الْخُرَّامِي
لِي يَدَيَّ

لَمَّا

عَذَارَاهَا بَدَأَنْ سِيَامَتِي، أَخْرَجَنْ
سَيْفَ الْوَقْتِ مِنْ جَسَدِي . سَدَلَنْ عَلَيَّ
لَيْلًا فَاتِحًا كَضْبَابَةٍ . وَجَعَلْتَنِي طَيْفًا مَلَأَنْ فَرَاعَهُ
بِفَتِيَّتِ صَوَّانٍ، وَمَسْكِ نَاعِمٍ، عُجْنًا بِشَّمْعٍ لَا يُرَى،
لَمَعَانُهُ عَاجٌ لِصَيْفٍ

نَاضِجٍ .



Ghsoub Foo

مَا كَانَ زَيْتًا
مَا أُرِيقَ عَلَيَّ .
مَرَّتْ فَوْقَ أَكْتَافِي أَصَابِعُهَا كَأَلْسِنَةٍ
الْمِيَاهِ، وَبَارَكْتَ مَجْرَائِي

مِنْ عُنُقِي،
إِلَى مَا بَيْنَ خَاصِرَتَيْ .
وَالْتَفَّتْ عَلَى خِضْبِي لِتَحْمِلَ قَطْرَةَ
مِنْهُ، وَتَمَسَّحَ نَهْدَ مَنْ كُنَّ افْتَتَحْنَ سِيَامَتِي بِنَشِيدِ
رَقِصٍ . فَاسْتَحَلْنَ عِمَامَةَ بِمَلَائِكِ بِيضٍ . وَرُحْنَ يَدْبُنَ
فَوْقِي حَيْثُ يَشْرُبُهُنَّ جِلْدِي مُضْغِيًا لِمِيَاهِهِنَّ تَسِيلُ
فِي جَسَدِي . فَأَنْهَضُ أَخْضَرًا

مِنْ غَيْرِ أَفْعَى،
مُثْقَلًا ثَمْرًا لِتُفَاحِ بَغِيرِ
خَطِيئَةٍ . فَتَنَامُ عَارِيَةً، وَأَهْبِطُ فَوْقَهَا صَلَوَاتِ أَجْنِحَةٍ
لِتَغْفِرَ لِي اتِّهَامِي أَنَّهَا

لِصُّ الْخَلِيقَةِ فِي دَمِي؛

بَدءُ الْخَطَايَا؛

اللَّعْنَةُ الْأُولَى .

فَتَفْتَحُ نَوْمَ قَامَتِهَا وَتَنْهَضُ فِي

ذِرَاعِي فِضَّةٍ، وَأَعُوذُ مِنْ شَجَرٍ،

إِلَى

جَسَدِ .

فَتُقْبِلُ نِسْوَةً

يُكْمِلُنَ طَقْسَ

سَيِّمَاتِي؛

حَتَّى إِذَا أَلْبَسْتَنِي

بَيْنَ الشُّمُوعِ

عَبَاءَتِي،

رَفَعْتَ إِلَيَّ ذِرَاعَهَا بِالْيَاسَمِينِ،

وَبَارَكْتَ لِي قَامَتِي .

عَرِيَتْ

جَسَدُ.

وَتَقَدَّمَتْ نَحْوِي كَمَنْ سَبَحَتْ بِأَجْنِحَةٍ.
فَلَا امْرَأَةٌ رَأَيْتُ، وَلَا رَأَتْ رَجُلًا. غَدَتْ حُلْمًا،
غَدَوْتُ أَمَامَهَا نَوْمًا. غَدَتْ رُؤْيَا، غَدَوْتُ نَبِيَّهَا. رُسِمَتْ
كَلَامًا، صِرْتُ مَعْنَاهُ، وَجَرَسُ النُّطْقِ فِيهِ. وَحِينَ ذُبْتُ
بِهَا وَذَابَتْ بِي، عَرَفْنَا أَنَّنَا قَدْ غَابَ مِنَّا أَمْسُنَا فِي
كَيْفَ قَدْ كَانَتْ وَكُنْتُ. فَلَمْ أَعُدْ مِنْهَا،
وَمِنِّي لَمْ تَعُدْ.
صِرْنَا أَحَدُ.

صِرْنَا كَمَا ضَوْءٌ إِنْ قَدْ سَالَا مَعَا
قَمْرًا. فَلَمَّا ضَوْءٌ وَاحِدًا تَمَلَّمَلْ فِيهِ كَيْ يَنْسَابُ
مُنْفَصِلًا
جَمَدُ.

فِي كُلِّ أُتْسَى نَائِمٌ ذَكَرٌ.
وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ ذَكَرٍ، وَمَا نَامَتْ بِهِ أُتْسَى.
هُنَاكَ فَقَطَّ
جَسَدُ

جَسَدَيْنِ صَارَ. وَعِنْدَمَا ابْتَعَدَا،
تَمَشَّى الشُّوقُ بَيْنَهُمَا، فَحَوْلَ وَاجِدًا
ذَكَرًا،
وَحَوْلَ وَاجِدًا
أُتْسَى،
مَعَا عَادَا لِبِغْضِهِمَا، وَكُلُّ مِنْهُمَا
فِي قِسْمِهِ النَّائِي
اتَّحَدَ

فِي شَهْوَةٍ
أَبْهَى كَوَاكِبَهَا، وَلَدَ

ذُبْحَةُ الْبَيْاضِ



(أَلْمَذْبُحُ فِي صَدْرِ الْقَاعَةِ . أَلْكُورُسُ
عَنْ يَمِينِهِ . أَلنِّسَاءُ عَنْ يَسَارِهِ . أَلرَّاهِبُ وَأَقِفُ عِنْدَ
البَابِ حَامِلًا شَمْعَةً فِي يَدِهِ الْيُسْرَى ، وَمِبْخَرَةٌ فِي يَدِهِ
الْيُمْنَى . أَلْفَضَاءُ فَضَاءً مَعْبُدٍ قَدِيمٍ . أَللِّبَاسُ طَقْسِيٌّ
طَوِيلٌ لِلصَّلَاةِ .)

أَلْكُورَسُ : أَدْخُلْ بِشَّمْعٍ وَبِخُورٍ، لِأَيْسَاءٍ وَشَاكِكِ الْمَرْسُومَةِ
الْأَرْضِ عَلَيْهِ، خَافِضاً رَأْسَكَ كَالْمَوْجَةِ عِنْدَ الْعَاصِفَةِ.

الْتَّسَاءُ : هَلْ أَنْتَ حُرٌّ أَيُّهَا الرَّاهِبُ

كَيْ تَدْخُلَ لِلسَّرِّ؟

الرَّاهِبُ : نَعَمْ.

الْتَّسَاءُ : هَلْ رُوحُكَ الْآنَ

بَيَاضٌ كُلُّهَا؟

الرَّاهِبُ : نَعَمْ.

الْتَّسَاءُ : وَهَلْ إِذَا احْتَرَقْتَ الْآنَ

لَا يَبْقَى رَمَادٌ مِنْكَ أَوْ دُخَانٌ؟

الرَّاهِبُ : نَعَمْ.

أَلْكُورَسُ : أَدْخُلْ بِشَّمْعٍ وَبِخُورٍ.

الْتَّسَاءُ : وَابْتَدَأَ

ذَيْبِحَةَ الْبَيَاضِ

أَلْكُورَسُ : أَدْخُلْ بِشَّمْعٍ

وَبِخُورٍ

النِّسَاءُ : تَقَبَّلِ السَّرَّ
كَمَا تَقَبَّلَ التُّرَابُ أَسْرَارَ الْمِيَاهِ .

الْكُورَسُ : أَدْخُلِ
بِشَّمْعٍ وَبِخُورٍ .

النِّسَاءُ : رَتِّلِ
مَعَ الْمُرْتَلِينَ

الْكُورَسُ : أَنْتِ
الْخَالِصُ .

النِّسَاءُ : رَتِّلِ
مَعَ الْمُرْتَلِينَ

الْكُورَسُ : أَنْتِ
سَلَامُ الْقَادِمِينَ .

النِّسَاءُ : اسْتَقْبِلِي رَاهِبَكَ الطَّاهِرَ يَا أَيَّتُهَا الْبَهِيَّةُ
الْبَيْضَاءُ . مُدِّي رَاحَتِيكَ وَأَقْبِلِي قُرْبَانَهُ .
وَقَرِّبِيهِ مِنْ يَنَابِيعِكَ كَيْ يَرْجِعَ مَغْسُولاً
بِأَقْدَاسِ مِيَاهِكَ .

أَلْكُورَسُ : إِقْتَرَبَ يَا أَيُّهَا الرَّاهِبُ

مِنْ مَذْبَحِهَا

الرَّاهِبُ : (يَقْتَرِبُ)

أَلْكُورَسُ : ضَعَّ عَنِ يَسَارِهِ الشُّمُوعَ، عَنِ يَمِينِهِ الْبَخُورَ،

وَاخْفِضِ الْجَبِينَ كَيْ يُلَامِسَ الْكَأْسَ الْمُبَارَكَةَ.

الرَّاهِبُ : بِالشَّمْعِ وَالْبَخُورِ أَنْحَنِي أَمَامَ قُدْسِكَ. اغْفِرْ لِي

خَطَايَايَ. امسحْ جَبِينِي الْمَخْنِي بِالرَّحْمَةِ، حَتَّى

تَسْتَجِزَّ رَاحَتَايَ لِمَسِّ كَأْسِكَ الَّتِي كَانَتْهَا

السُّرُوقُ، وَأَنْتِ الشَّمْسُ فِيهَا. يَا

مُشَارِكِي

هَذِهِ الذَّبِيحَةَ أَهْتَفُوا

مَعِي

وَسَبِّحُوا

مَعِي :

أَيُّهَا الْمُبَارَكَةُ.

أَلْكُورَسُ } أَيُّهَا الْمُبَارَكَةُ .
وَالنِّسَاءُ :

الرَّاهِبُ : مُدِّي ذِرَاعَيْكَ
لَنَا .

الْكُورَسُ } مُدِّي ذِرَاعَيْكَ
وَالنِّسَاءُ } لَنَا .

الرَّاهِبُ : وَطَهَّرِي
قُلُوبَنَا .

الْكُورَسُ } وَطَهَّرِي
وَالنِّسَاءُ } قُلُوبَنَا

الرَّاهِبُ : وَبَارِكِي
أَيَّامَنَا .

الْكُورَسُ } وَبَارِكِي
وَالنِّسَاءُ } أَيَّامَنَا .

الرَّاهِبُ : وَمِنْ
دَمِكَ

الْكُورَسُ } وَمِنْ
وَالنِّسَاءُ } دَمِكَ

الرَّاهِبُ : وَجَسَدِكَ

الْكُورَسُ }
وَالنِّسَاءُ }
وَجَسَدِكَ

الرَّاهِبُ : أَنْتِ الَّتِي صُلِبْتِ

مِنْ بَدَايَةِ الزَّمَنِ

الْكُورَسُ }
وَالنِّسَاءُ }
أَنْتِ الَّتِي صُلِبْتِ

مِنْ بَدَايَةِ الزَّمَنِ

الرَّاهِبُ : هَبِي الْبِيَاضَ

لِلَّذِينَ آمَنُوا بِنِعْمَةِ الْبِيَاضِ .

الْكُورَسُ }
وَالنِّسَاءُ }
هَبِي الْبِيَاضَ

لِلَّذِينَ آمَنُوا بِنِعْمَةِ الْبِيَاضِ .

(يَرْفَعُ الرَّاهِبُ الْكَأْسَ)

الرَّاهِبُ : أَيُّهَا الْكَأْسُ الَّتِي نَشْرَبُ سِرَّ الْعِشْقِ

مِنْهَا، وَالَّتِي تَمَلَأُ بِالرَّغْبَةِ أَجْسَادَ مُجْبِيهَا،

أَجْعَلِي أَرْوَاحَنَا نَقِيَّةً؛ أَجْسَادَنَا طَاهِرَةً؛ كَيْ

يَدْخُلَ السَّرُّ إِلَيْهَا مِثْلَمَا يَدْخُلُ زَهْرُ

الْحَقْلِ إِكْلِيلَ الْعَرُوسِ
كُونِي لَهُ الْخُبْزَ وَكُونِي الْخَمْرَ. أَلْسَاءُ:
وَلِيَرْفَعِكِ يَا أَيُّهَا الثُّورُ كَتَّاجٍ. وَلِيُسَبِّحْ
بِاسْمِكَ الْقُدُّوسِ، كَالنَّهْرِ الَّذِي يُسَبِّحُ الْبَحْرَ
بِأَيْدٍ وَارِفَةٍ

مِنْ
الشَّجَرِ

وَبِكَلَامِ صَاعِهِ عُسْبًا وَزَرْعًا
بِيرَاعِ الْعَاصِفَةِ

جَبْرُ
الْمَطَرِ.

أَلْكُورَسُ: أَنْتِ الَّتِي أَذْلَكِ الرَّجُلَ

أَلْسَاءٌ : وَكُنْتُ
عَبْدَةَ الْبُيُوتِ

أَلْكُورَسُ : وَعُشْتُ مَا بَيْنَ هِلَالَيْنِ :
حِرَابِ الْعَارِ، وَالتَّابُوتِ .

أَلْسَاءٌ : وَكُنْتُ يَا بَهِيَّتِي
مَهْجُورَةً كَالزَّائِغَةِ

أَلْكُورَسُ : مَنَسِيَّةٌ
كَالْعَنْكَبُوتِ

أَلْسَاءٌ : وَكُلُّ مَا فِيكَ مِنَ الْجَمَالِ ،
وَالْحَنَانِ ،
مَقْهُورًا يَعِيشُ كَانَ ،
مَضْلُوبًا يَمُوتُ

أَلْكُورَسُ : يَا

مَرِيَمَ الْيَاقُوتَ

الْأُنثَى : يَا رَبَّةَ الْمُرِّ الَّذِي يَغْبُدُ فِيكَ

السُّكَّرَ الْمَنْحُوتَ

أَلْكُورَسُ : أَصْبَحَتِ الْأَرْضُ خَطَايَا، وَجِيَاعًا، وَدَمًا، مَنْ

يُرْجِعُ الْأَرْضَ سِوَى كَفِّكَ

أَرْضَ الْمَلَكُوتِ؟

الرَّاهِبُ : بِاسْمِكَ أَبْدَأُ الصَّلَاةَ، فَافْتَحِي الْعَابَاتِ حَتَّى

تَسْجُدَ الْأَشْجَارُ. أَعْطِي كُلَّ عُضْفُورٍ جَنَاحًا

كَيْ يَرَاكَ. وَامْنَحِي الشَّمْسَ عُرُوبًا تَزْتَدِيهِ

قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ بَيْتَ الْبَحْرِ فِي سُبْحَتِهَا

حَتَّى تُصَلِّيَ.

جَسَدِي عَارٍ، وَوَجْهِي سَوْسَنُ

مُتَفَتِّحٌ .

أَلْكُورَسُ : وَصَوْتُهُ بِخَوْرٍ نَائِيٍّ لَا يُرَى .

النِّسَاءُ : أَيَّتُهَا الْقُدُوسَةُ أَخْلَعِي ضَبَابَ السَّرِّ كَنِي

يَدْخُلَ هَذَا الرَّاهِبُ النَّقِيَّ فِرْدَوْسِ ذِرَاعَيْكَ .

وَبَارِكِيهِ مِثْلَمَا تُبَارِكِ الرِّيحُ الْعُضْنَ ، وَالصَّيْفُ

الْقَطَافَ ، وَلْتُنْشِذْ

مَعاً

الرَّاهِبُ } أُنْبِضْ قَلْبُكَ الَّذِي يَغْمُرُنِي . مِثْلِي هُوَ
وَأَلْكُورَسُ } الْعَالَمُ مُرٌّ ، وَفَقِيرٌ ، فَافْتَحِي يَدَيْكَ حَتَّى
وَالنِّسَاءُ } تَمْلَأِيهِ فِضَّةً

وَسُكَّرًا .

أَعْطِنِي

الْمَرَاعِي

الْأَخْضَرَا .

وَبَعْدَ أَنْ تَكْسُو

يَدَاكَ الشَّجَرَا

أَعْطِيهِ لِلْجِبَالِ،

أَعْطِنِي لِلصَّحَارَى الْأَنْهَرَا.

أَمَّا أَنَا الْعَاشِقُ

فَلْتَجْعَلْ يَدَاكَ الْحَجَرَا

شَمْسًا إِذَا فَكَّرْتُ فِيكَ عِنْدَمَا

أَلْمِسُهُ أَوْ

قَمَرَا.

الرَّاهِبُ : مَبْخَرْتَنِي الْأَضْلَاعُ . جَمَرَنِي الْقَلْبُ . وَالْوَجْهُ بِخُورِي .
إِنَّ فِي حَقْلِ يَدَيَّ عَشْرَ شَجِيرَاتٍ عَلَى
أَطْرَافِهَا مَدَّ جَنَاحَيْهِ حَمَامٌ كَيْ يُصَلِّي .

وَأَنَا عَاشِقُكَ الطَّاهِرُ، لَا صُبْحُ الْأَعَالِي
أَوْ نَعَاسُ التَّبَعِ فِي الْوِذْيَانِ، أَنْقَى
مِنْ فَمِي .

الْكُورَسُ : سَبَّحْ وَأَنْتَ فِي خُشُوعٍ

بِاسْمِهَا .

الرَّاهِبُ : أَيُّهَا النُّعْمَةُ إِنِّي خَاتَمٌ فِي إِضْبَعِ

الْأَيَّامِ ،

كُونِي ذَهَبِي .

الْكُورَسُ : سَبَّحْ وَأَنْتَ فِي خُشُوعٍ بِاسْمِهَا

الرَّاهِبُ : أَيُّهَا الرَّحْمَةُ ، كُونِي مِنْ جَنَاحِ

أَبْيَضِ

فِي تَعْبِي

الْكُورَسُ : سَبَّحْ

وَأَنْتَ فِي خُشُوعٍ

بِاسْمِهَا

الرَّاهِبُ: مَدَّتْ جِرَاحِي رَاحَتَيْهَا فِي ابْتِهَالِ
نَازِفٍ،
فَاقْتَرِبَنِي،

نَخَوَ جِرَاحِي بَلَسَمًا
وَأَنَسَكِبَنِي.

(يَدْخُلُ أَحَدُ الرُّهْبَانِ فِي يَدِهِ كِتَابٌ مَفْتُوحٌ)

أَحَدُ الرُّهْبَانِ: فَضَلُّ مِنَ الرِّسَائِلِ البَيْضِ إِلَى عُشَّاقِهَا،
يُقْرَأُ مِمَّا قَدْ رَوَاهُ العُرْسُ عَن رَسُولِهَا:
لَيْسَ فِي الأَرْضِ جَمَالٌ كَجَمَالِ امْرَأَةٍ
عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَوْ فِي الصُّبْحِ، لَمْ
يَلْمَسْ لَهَا قَامَتَهَا أَوْ رُوحَهَا
إِلَّا أَنْتِظَارُهَا لِمَنْ تُحِبُّهُ. حَتَّى إِذَا

أَقْبَلَ لَمْ يَلْمَخْ عَلَيْهَا رَجُلًا، وَلَمْ تَجِدْ
فِيهِ سِوَاهَا امْرَأَةً.

يَا

أَيْهَا الْبَيَاضُ فِيكُمْ، كُنِ
النَّرْجِسَةَ الْعَذْرَاءَ، وَاللُّوزَ الْبَثُولَ، لَا تَذُقِ
إِلَّا النُّدَى وَالنُّورَ، وَاصْعَدِي فِي مَلَائِكِ
الْوَقْتِ، وَافْتَحِي لِلْمَرَايَا.

حَبِّتَا مَاءِ نَقِيٍّ أَنْتُمَا.
لَا أَنْتَ سَيْفٌ، وَهِيَ لَيْسَتْ وَرْدَةٌ.

إِنَّكُمَا

وَرْدٌ مَعًا،

سَيْفٌ مَعًا.

وُلِدْتُمَا،

لَا مَلِكٌ فِيكَ،

وَلَا فِيهَا جَوَارِ

أَنْتُمَا سُنْبُلَتَا حَقْلِ، وَكُلُّ

مِنْكُمْ مُمْتَلِيءٌ بِالْقَمْحِ . كُنَّا حِنْطَةَ الْعَالَمِ
لَا جِرَابَهُ .

كُنَّا إِذَا رَقَضْنَا الْعُضْفُورَ .
أَوْ حَصِدْنَا الْأَعْيَادَ ، أَوْ وُرِعْنَا

الْحَمَامِ

وَلَوْنُهُ أَبْيَضُ ،
فِي جَنَاحِهِ رَائِحَةُ السَّلَامِ

(يُقْبَلُ الْكِتَابَ . يُطَبِّقُهُ . وَيَخْرُجُ)

الْكُورَسُ : كَالشَّجَرِ الصَّامِتِ كَيْ يُضْغِي لِمَاءِ ،
النَّهْرِ ، فَلْنُضْغِ إِلَى مَا قَالَتِ الْبَهِيَّةُ

الزَّرْقَاءُ

فِي

بَيَاضِهَا .

الرَّاهِبُ : (يَقْرَأُ فِي كِتَابِ) بِاسْمِ
الْيَيْاضِ .

وَكَانَ لَا يَمْلِكُ غَيْرَ السَّيْفِ .
كَانَتْ تَمْلِكُ الْوَزْدَةَ . كَانَ السَّيْفُ فِي
رَائِحَةِ الْوَزْدَةِ . كَانَتْ ذَاتَ مَشْقٍ لِامِيعِ .
لَمَّا أَرْتَهُ دَمَهَا ، لَأَنَّ .
وَلَمَّا غَاصَ فِيهَا حَدُّهُ ، فَاحَثَ . وَكَانَا ،
إِنْ غَفَّتْ حَارِسَهَا ، وَإِنْ بَكَى ، مِنْدِيلَهُ .
أَوْصَيْنُكُمْ أَنْ تَبْقِيَ الْوَزْدَةَ
وَالسَّيْفَ . وَأَنْ يَزْدَادَ فِي الْوَزْدَةِ عِطْرُ
اللَّهِ . وَالسُّنْبُلَةَ الْبَيْضَاءُ تَعْلُو فِي قَوَامِ
السَّيْفِ . كُنَّا رُسُلِي فِي الْأَرْضِ . لَأَنَّ
تَسْتَسْلِمَا إِلَّا لِمَا يُدْنِيكُمَا كَمَوْجَتِي الْمِيَاهِ
مِنْ بَعْضِكُمَا . إِنَّكُمَا عَضْفُورَتَا الْبَحْرِ الَّذِي
عَلَّقَ فِي عُنُقَيْكُمَا زَادًا مِنَ الْأَبْيَضِ

لِلزَيْتُونِ كَيْ يَخْضِرَ أَطْفَالُكُمْ.

لَا تَقْطَعَا زَيْتُونَةً فِي
الْحَقْلِ. ظَلَاءً، أَنْتَ تَاجَا، أَنْتِ يَاقُوتَا.
وَلَا يَجْمَعُكُمْ إِلَّا جَبِينٌ مِنْ حَمَامِ حَكَمِ
السَّهْلِ بِأَسْرَابِ السُّنُونُ.
عِنْدَمَا بَابُكُمْ تَفْرَعُهُ الْأَرْضُ

مَسَاءً،

إِفْتَحَا قَلْبَيْكُمْ.

(الرَّاهِبُ يُطَبِّقُ الْكِتَابَ)

الْكُورَسُ: الْأَرْضُ بَيْتِي. بَابُهُ مُشْرَعٌ لِلْقَادِمِينَ. أَنْتِ
مَنْ مِنْ أَجْلِهِ صُلِبَتْ، حَتَّى صَارَ لَا
يَدْخُلُهُ لِيصُّ، وَلَا قَاضٍ، وَلَا يَحْتَلُهُ طَاغِيَةٌ،
أَوْ يَفْرَعُ مِنْ صَوْتِ غِنَاءِ كَيْ يَنَامَ
الطُّفْلُ، أَوْ يَنْمُو مَعَ اللُّوزِ عَرِيْسُ القَمَحِ.

الرَّاهِبُ : يَا أَيُّهَا الْفَادِيَةُ الْبَيْضَاءُ ،
نَقِّ رُوحَنَا

الْكُورَسُ : آمِينَ .

الرَّاهِبُ : وَيَا أَيُّهَا الْفَادِيَةُ الْبَيْضَاءُ ،
أَعْطِينَا صَلَاةَ الشُّكْرِ فِي
أَعْمَاقِنَا .

الْكُورَسُ : آمِينَ .

الرَّاهِبُ : وَيَا أَيُّهَا الْفَادِيَةُ الْبَيْضَاءُ
فَلْتغْسِلْ خَطَايَانَا الَّتِي فَاحَتْ بِنَا
أَدْمُعَنَا .

الْكُورَسُ : آمِينَ .

الرَّاهِبُ : لَأَسْتَجِثُ الْجَسَدَ الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ .
رُوحِكَ الَّتِي ذَابَتْ بِهِ ، حَوْلْتُهَا دَمْعًا ،
وَحَوْلْتُكَ أَعْيُنًا . فَكُنْتَ كَائِنَ الْبُكَاءِ . تَحْيِينَ
بِدَمْعٍ ، وَتَمُوتِينَ بِدَمْعٍ . وَأَنَا أَشْعَلُ فِيكَ
الْحَمْرَ كَيْ أَطْفِئَ فِيكَ الْكَرْمَ . أَمْتَصُّكَ
كَيْ أَرْمِيكَ . أَنْسَابُ بِمَجْرَاكِ لِكَيْ أُخْصِبَ
فِي عُنُقِكَ سَيْفِي . وَخَطَايَايَ الَّتِي ازْتَكَبْتُهَا ،
حَوْلْتُهَا حِجَارَةً أَزْجُمُ نَهْدِيكَ بِهَا .

الْكُورَسُ : مِنْ نَدَمِي فِي الْأَرْضِ
نَادَيْتُ

الرَّاهِبُ : اغْفِرْ لِي .
الْكُورَسُ : مِنْ ذُنُوبِي السُّودِ
نَادَيْتُ

الرَّاهِبُ : اغْفِرْ لِي .
الْكُورَسُ : خَجَلِي يُخْفِضُ وَجْهِي ، وَرَجَائِي أَنْ تَكُونِي
رَحْمَتِي يُعْطِي ذِرَاعِي إِلَيْكَ

الرَّاهِبُ : فَاغْفِرْ لِي .

النِّسَاءُ : مَدَّتْ ذِرَاعَيْهَا إِلَيْكَ اضْعُدْ . وَكُنْ مِنْ

ذَهَبٍ كَوْنَهُ فِيكَ التُّدَى . وَافْتَحْ لَهَا

رُوحَكَ كَيْ تَحْكُمَ بِالتَّاجِ رَعَايَاهَا الَّتِي

كُوِّنَ مِنْهَا

جَسَدُكَ .

قُلْ : «أَجْعَلِيهَا طَائِرًا أَبْيَضَ»

إِنْ مُدَّتْ يَدُكَ .

الرَّاهِبُ : هَذِي يَدَايَ انْتَشَرَ الْبَيَاضُ فِيهِمَا . وَفِي

فَمِي نَقَاءَ النَّوْمِ . قَلْبِي مِنْ لُبَانٍ . وَعَلَى

أَرْجُوحَةٍ

الطُّفْلَةِ

وَجْهِي

أُغْنِيَنِي .

عَيْنَايَ قِنْدِيلَانَ فِي صَوْمَعَةٍ، شَعْرِي صَفْصَافٌ.
جَبِينِي غَيْمَةٌ تُخْفِضُهَا مِنْ جَبَلٍ عَالٍ، رِيَاخُ الصَّيْفِ
نَحْوَ الْأُودِيَةِ.

أَلْكُورَسَ : بِاسْمِ
الْبَيَاضِ

الرَّاهِبَ : بِاسْمِ
الْبَيَاضِ

أَيْتُهَا الْخَمْرَةُ صِيرِي دَمَهَا.
جَسَدَهَا صِرَ أَيْتُهَا الْخُبْزُ.
وَبَارِكِيهِمَا أَيْتُهَا الْقُدُوسَةُ الْبَيْضَاءُ حَتَّى يُضْبِحَا
خَمِيرَةَ الْكُونِ الَّتِي تَأْكُلُهَا رُوجِي، فَأَغْدُو أَنْتِ
فِيهَا. وَأَنَا مِنْكَ. فَلَا يُفْسِدُنِي وَقْتُ، وَأَخِيَا
شَجْرَةَ،

أُورَاقُهَا تَضَعْدُ فِي اللَّيْلِ
إِلَى خَالِقِهَا مِنْ مِبْخَرَةٍ.

النَّسَاءُ: أَلْمَجْدُ لِلْأَبْيَضِ فِي الْأَرْضِ. مَلَكَاتُ
تُزْهِرُ الْأَرْضُ. وَأَبْرَاراً يَصِيرُ الشَّجَرُ.
الْبَحْرُ رَسُولاً وَالْيَنَابِيعُ
صَحَابَةً.

الْكُورَسُ: رَبِّي، لَوْلَاكَ هَذَا الْكَوْنُ قَبْرًا
كَانَ؛ وَالْعَلِيْقُ وَالصُّبَارُ كَأَنَّا نَائِحِي
مَوْتَاهُ، وَاللَّيْلُ
عُرَابَةٌ.

الرَّاهِبُ: كُلُّ وَقْتٍ يَحْمِلُ الْأَيَّامَ فِي الْأَرْضِ
جَرَاباً ضِدَّهَا،
رُدِّي جِرَابَهُ.

النساء: كُلُّ عَصْفٍ لِلْخَطَايَا
أُبْعِدِي عَنَّا خَرَابَهُ.

الراهب: مُبَارَكَ خُبْرُكَ. صَافٍ دَمُكَ
الْقُدْسِيُّ. إِنِّي أَبْعِدُ النَّيْرَانَ عَنِّي بِهِمَا.
فَلَأَسْتَحِقَّ الدَّمَ وَالْخُبْزَ. وَأَصْبِحَ طَاهِرًا مِثْلَ
النَّدَى، حُرًّا كَعُضْفُورٍ، جَمِيلًا كَنَهَارٍ لَمْ
يُلَامِسْ وَجْهَهُ
عَثْمُ الْخَطِيئَةِ.

الكورس: أَلْخَطِيئَةُ

الراهب: أَبْعِدِي عَن جَسَدِي
رُوحَ الْخَطِيئَةِ

النساء: أَلْخَطِيئَةُ

الرَّاهِبُ : إغسلي رُوحِي
مِن كُلِّ خَطِيئَةٍ

الْكُورَسُ : أَلْخَطِيئَةَ

الرَّاهِبُ : فَلَأُمْتُ كَيْ أَوْلَدَ الْآنَ
بِلا أَيِّ خَطِيئَةٍ.

النِّسَاءُ : أَلْخَطِيئَةَ

الرَّاهِبُ : إَجْعَلِي رُوحِي قَدِيْسَ تُرَابٍ،
وَقَنَا دِيْلَ مُضِيئَةٍ.

الْكُورَسُ : كُلَّ جَسَدِ الْقُدُوسَةِ الْبِيضَاءِ
خُبْرًا أَيُّهَا الرَّاهِبُ، وَاشْرَبْ دَمَهَا
خَمْرًا وَمَاءً

فِي الْبَدءِ كَانَ الْعَمْرُ. وَالْعَمْرُ
هُوَ الْمَاءُ. وَمِنْ مَاءٍ وُلِدْنَا. وَهُوَ خَلَقَ،
كُلَّمَا حَنَّ إِلَى
بَابِ السَّمَاءِ

أَصْبَحَ غَيْمًا.
كُنْ كَمَاءِ الْبَحْرِ، وَاضْعُدْ نَحْوَهَا
غَيْمًا، وَعُذْ،
وَاضْعُدْ وَعُذْ،
يُضِيحُ جَمَالَ الْأَرْضِ أَبْهَى.
أَنْتَ تَعْدُو طَاهِرًا أَكْثَرَ. أَنْقَى الْبَحْرِ
يَعْدُو، كُلَّمَا
عَادَ الشُّتَاءُ.

الرَّاهِبُ: خُبْرُكَ قَوَى جَسَدِي. خَمْرُكَ
قَدْ أَسْكَرَنِي. الْآنَ أَرَاكَ. الْآنَ لَسْتُ

الطُّيْنِ . إِنِّي الْجَبْرُ فِي الرُّؤْيَا . مَلَاكُ
اللَّوْنِ فِي كَنِيسَةِ الرَّيْشَةِ .
إِنِّي ذَائِبٌ
فِي شَبْهِي .

يَا
أَنَا أَنْتِ ، وَلَهِي خَمْرٌ . وَخَمْرٌ
ذَا الْبَهَاءِ فِيكَ يَا قُدُوسَتِي ، مُمْتَزِجٌ
فِي وَلَهِي .

الْكُورَسِ : فَلَنَرْفَعِ الْأَذْرَعَ زَنْبَقاً عَلَى أَقْدَامِهَا ،
وَالْأَعْيُنَ الْحَاشِئَةَ الطَّرْفِ سُنُونُو ، وَلَنَصْغُ
كُلَّ الْمَسَاءِ تَرَائِيلَ لَهَا .

الرَّاهِبِ : أَسْكَرَنِي حُبُّكَ
يَا قُدُوسَتِي .

أَلْكُورَس : أَسْكَرْنِي .

أَلرَّاهِب : بِئَارِهِ
طَهَّرْنِي .

أَلْكُورَس : طَهَّرْنِي .

أَلرَّاهِب : أَنْبَتَ لِي أَجْنِحَةً . فَكَّ ثُرَابِي عَنْ يَدِي .
حَرَّرْنِي .

أَلْكُورَس : حَرَّرْنِي .

أَلرَّاهِب : بِالْأَرْضِ صَارَتْ جَنَّةً
بَشَّرْنِي .

أَلْكُورَس : بَشَّرْنِي .

الرَّاهِبُ :

مُدِّي ذِرَاعِيكَ إِلَيَّ . بَارِكِيْنِي .
وَافْتَحِي بَابِكَ كَيْ أُدْخَلَ هَذَا الْمَلَكُوتَ
خَافِضاً لِرِيحِكَ الْبَيْضَاءِ أَشْجَارِي ؛ مُقَدِّمًا
بَنَفْسِي قَرَابِيْنَ إِلَيْكَ ؛ مُؤْمِنًا أَنَّ الْعَرِيْشَ فِيْكَ
قَدِيْسٌ ، وَكَاسَاتِي رُهْبَانٌ يُصَلُّوْنَ لِكَيْ يَمْلَأَهُمْ
حُمُوْرَهُ .

بِهَآؤُكَ الْلَوْزُ . اجْعَلِي قَلْبِي
إِذَا جَاءَ الْمَسَاءُ
عُضْفُوْرَهُ .

الْكُوْرَسُ : أَيُّهَا النِّسْوَةُ .
زَيْنٌ بِنَايَ وَتَرَائِيْلَ يَدَيْهِ

أَيُّهَا النِّسْوَةُ
وَاسْكُبِي عَلَيْهِ

طِيبًا، أَضِئْنَ الشَّمْعَ،
أَحْرِقْنَ بَخُورًا أَسْوَدًا

فِي

مُقَاتِلَتِهِ

وَأَفْتَخْنَ فِيهِ عَزِيَّهُ
لِكَيْ تَعُودَ أُمُّهُ الْأُولَى إِلَيْهِ.

وَمِنْ جَدِيدٍ، يُوَلَّدُ الْإِنْسَانَ لَا أَبْيَضَ
أَبْهَى مِنْ بَيَاضِ مُبْجِرٍ فِي
رَاحَتَيْهِ.

النِّسَاءُ: مُطِيبًا بِعُزْرِكَ الْبِنْفَسَجِيِّ، رَافِلًا
بِقِطْعَتِي شَمْعَ عَلَيْنِكَ، مَالِحًا كَالصِّيفِ،
مَنْحُوتًا كَصَوَانِ الْأَعَاصِيرِ اضْعُدِ الْآنَ
إِلَيْهَا.

أَلْكُورَسَ : إِنَّهَا بَحْرُكَ يَا مَلْحَ الْوِلَادَاتِ
فَدُبْتُ فِيهَا .

الْئِسَاءَ : وَأَجْرَاسُكَ
فَأَقْرَعَهَا .

أَلْكُورَسَ : وَصَفْصَافَتُكَ الَّتِي ارْتَدَّتْ ضَبَابَهَا
فَأَعْصِفْ بِهَا .

الْئِسَاءَ : قَدْ ارْتَمَتْ كَسَاحِلِ بَكْرِ عَلَى سَرِيرِهَا ،
كُنْ مَوْجَهَا .

أَلْكُورَسَ : كُنْ فِي عَرِيشِ كَرَمِهَا
عَاصِرَهَا .

الْئِسَاءَ : إِنَّكُمْ بَرَقَانِ

فَالْمَعَا مَعَا .

أَلْكُورَسُ : وَأَمْطِرًا فِي رَفْصَةِ الرِّيحِ
مَعَا .

النِّسَاءُ : وَأَصْغِيَا لِلْمَاءِ يَجْرِي فِيكَ يَا أَيْتُهَا الْأُمُّ
كَأَجْرَاسِ
الْبِشَارَةِ

فِي
«الْمَعَارَةِ»

أَلْكُورَسُ : إِنَّ مَوْلُودًا يُسَمَّى الْأَرْضَ
قَدْ بَاتَ جَنِينًا فِيكَ
فَلْتَأْتِي
الرِّيَّاحُ ،

حَامِلَاتٍ دِفْنَاءَهَا . وَلِيَّاتٍ

بِالْعُضْفُورِ ، وَالْوَزْدِ ،

الصَّبَاحِ .

وَنَسِيمُ الصَّيْفِ فَلْيَضَعِ سَرِيرًا

هَزُهُ رَقْصَةً غُضِنِ ، وَحَفَافِيهِ

أَفَاحِ .

وَعَدَا ، تُوَلِّدُ أَرْضُ . لَا عَلِيَّهَا

سَيْفُ قُرْصَانِ ، وَلَا فِيهَا

جِرَاحِ .

كُلَّمَا دَارَتْ سَمِغْنَا صَوْتِ

قَمَحِ . وَرَأَيْنَا وَهَجَ زَيْتُونِ . وَشَعَّتْ

فِي كُوُوسِ الْأَفْقِ

رَاحِ

وَعَدَتْ رِيْشَةَ طِفْلِ طَلَقَهُ
النَّارِ، وَأَغْصَانًا مِنَ اللُّوزِ
الرَّمَّاحِ.

الرَّاهِبِ: خُذُوا كُلُّوْا.
خُذُوا اشْرَبُوا.
وَوَزَّعُوا مِمَّا أَكَلْتُمْ وَشَرِبْتُمْ،
فَيُعَمُّ الْأَرْضَ حُبًّا وَسَلَامًا،

الْكُورَسِ: خُذُوا كُلُّوْا
خُذُوا اشْرَبُوا.
وَوَزَّعُوا مِمَّا أَكَلْتُمْ وَشَرِبْتُمْ،
فَيُعَمُّ الْأَرْضَ حُبًّا وَسَلَامًا.

النِّسَاءِ: أَيُّهَا الْبَهِيَّةُ الْبَيْضَاءُ كُوْنِي
شَمْسَنَا. وَانْتَشِرِي فِيْنَا كَمَا يَنْتَشِرُ النُّورُ.

لِدِينِي أَرْوَاحَنَا أَضْفَى، وَأَيْدِينَا أَرْقُ. كَلِّبْنِي
قُلُوبَنَا بِالطُّهْرِ. خَلِّبْنِي الْأُمَّ فِي حَيَاتِنَا
غَايَتِنَا. وَلَا يَكُنْ حُبُّ لَنَا إِلَّا لِتَغْدُو
مَعَهُ أَجْسَادُنَا أَنْقَى.

كِلَانَا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ
نَأْتِي مَعًا.
نَمْضِي مَعًا.
لَا فَرْقَ بَيْنَنَا
سِوَى تَكْوِينِنَا.

أَلْكُورَسُ: ذَا رَجُلٍ.
ذِي امْرَأَةٍ.
مِنْ قَبْضَتِي مَاءٍ وَطِينٍ صَعِدَا.

الْإِنْسَاءُ: مُذْ
وُلْدَا

أَصْبَحَ فَوْقَ الْأَرْضِ إِنْسَانٌ
وَيَبْقَى فَوْقَهَا
إِنْ وَلَدَا.

الْكُورَسِ : وَإِنْ هُمَا
تَجَدَّدَا،

وَإِنْ هُمَا
تَوَحَّدَا،

أَصْبَحَ الْيَوْمُ مَلَكَآ
وَعَلَى كَفَيْهِ جَبْرٌ، وَطَحِينٌ،
وَحَرِيرٌ،

وَعَلَى كُلِّ بَيْوتِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ
يَدُورُ.

الزَّاهِبِ :

مِنْ ذَهَبِ قَلْبِي . وَوَجْهِي
أَخْضَرَ . وَرَغْبَتِي تَهْتِفُ بِي أَنْ عَانِتِي
الْوُجُودَ ؛ وَامْدُدْ رَا حَتَيْكَ لِلسُّمُوسِ ، وَامْتَزِجْ
بِالْكُونِ . يَا لِهَذِهِ الْأَجْنِحَةِ الَّتِي تَطُوفُ بِي ، فَأَغْدُوْ
مَرَّةً شَجْرَةً ، وَمَرَّةً حَقْلًا . وَإِنِّي قَادِرٌ
أَنْ أَصْبِحَ الْعُشْبَةَ ، وَالنَّجْمَ ، وَرُزْقَةَ
الْبَحَارِ .

يَا

بِهَيْتِي

أَجْعَلِي يَدِي بِنِتِ الْبَيَاضِ .
وَاجْعَلِي صَوْتِي زَيْنَ الْمُنْجَلِ الْمُبَشِّرِ الْحَقُولِ
بِالْحَصَادِ . يَا مِعْصَرَةَ الْأَيَّامِ ، دُورِي وَاعْصِرِي
شَمْسًا ؛ وَصُبِّي يَا نَوَاعِيْرَ الشِّتَاءِ مَاءَكَ
الْفِضِّيَّ فِي بئرِ الْفُضُولِ . وَلَا أَكُنْ حَارِسَ
طَاحُونَةِ هَذَا الْبَحْرِ ، كَيْ يُضْبِحَ غَيْمُ
الْبَحْرِ أَكْيَاسَ طَحِينِ . وَلَا أَصِرْ فَخَّارَةً تَرْفَعُهَا

الأَرْضُ لِكَيْ تَشْرَبَ مِنْهَا، مِثْلَمَا تَرْفَعُ
خَبَازَةً تَمْوِزُ إِذَا مَا نَخَلْتَ
دَقِيقَهَا

إِبْرِيْقَهَا .

أَلْكُورَسُ : يَا أَيُّهَا الْمُخْتَارُ كُنْ رَسُولَهَا .
وَأَمْضِ وَبَشِّرْ أَنَّهَا قَادِمَةٌ كَيْ تَجْعَلَ
الأَرْضَ سَمَاءً بَجَنَاحَيْنِ وَوَرْدٍ
طَائِرَةٍ

أَرْضٌ بِهَذَا الكَوْنِ
تُمْضِي وَفَتْهَا مُسَافِرَةٌ

دَائِرَةٌ

فِي دَائِرَةٍ

رَافَقَهَا اثْنَانِ مِنَ الْعُشَّاقِ،
نَائِي، عَالِمٌ، رَائٍ، مَلَأَكَ حَارِسٌ،
وَسَاحِرَةٌ.

كُلُّ بُيُوتِ الْأَنْجُمِ الزَّرْقَاءِ لَأَ
تَدْخُلُهَا إِلَّا دُخُولَ
الزَّائِرَةِ.

وَلَيْسَ مِنْ صَدَى لَهَا إِلَّا
تَرَائِيلُ مَسَاءٍ، أَوْ غِنَاءٌ رَاقِصٌ. وَمَا يَدَاهَا
لِسَوَى تَلْوِيحَةٍ بِنِضَاءٍ. وَهِيَ حُلُوءَةٌ،
وَحُرَّةٌ،
وَطَاهِرَةٌ.

لَا حَزَبَ فِيهَا. لَا حُدُودَ.
لَا دَنَائِيرَ، وَلَا أَبَاطِرَةَ.

لَا شَيْءَ فِيهَا غَيْرُ عِشْقِ
الآنَ، شَوْقِ الرُّوحِ لِلاتِي، اخْضِرَارِ
الذَّاكِرَةِ.

إِذَا ارْتَدَّتْ صَبَّاحَهَا، فامرأة.
أَوْ ارْتَدَّتْ فُصُولَهَا
فشاعرة.

تَدُورُ مِثْلَ مِغْزَلِ الْحَرِيرِ.
تَكْتَسِبِي قَمِيصَ أَفْحُوَانٍ. وَلَهَا رَائِحَةٌ مِثْلَ
صَلَاةِ النَّحْلِ تَحْتَ لَوْزَةٍ
فِي
النَّاصِرَةِ.

النِّسَاءُ: حَلَّتْ عَلَيْكَ نِعْمَةُ الْبَيَاضِ
فَاسْجُدْ شَاكِرًا رَحْمَتَهَا.

الرَّاهِبِ : (يَسْجُدُ)

الْكُورَسِ : وَأَنهَضَ كَمَا يَنْهَضُ لَوْزُ

الْحَقْلِ . كُنْ مُبَارَكًا كَغُضَنِ زَيْتُونِ الْجَلِيلِ .
سِرْ كَرِيحِ الصَّيْفِ . وَاتْرُكْ هَذِهِ الْقَاعَةَ
كَالْمَوْجَةِ مِنْ بَيْتِ الْيَنَابِيعِ . وَكُنْ رَسُولَ
هَذَا الْأَبْيَضِ الْبَهِيِّ . قَدْ تَلَعْنَاكَ النُّسُوءَ
وَالرُّجَالَ . قَدْ يَضْلِبُكَ الْكُهَّانُ . قَدْ تُطْرَدُ
مِنْ كُلِّ لُغَاتِ الْأَرْضِ .

أَيُّهَا الرَّسُولُ اخْمِلْ صَلِيبَكَ
الثَّقِيلَ . وَافْتَتِحْ عَذَابَكَ الطَّوِيلَ مَضْلُوبًا أَمَامَ
الشَّمْسِ مِنْ أَجْلِ
الْبَيَاضِ .

النِّسَاءِ : هَذِي مَسَامِيرُكَ

أَيُّهَا الرَّسُولُ افْتَحْ

يَدَيْكَ .

أَلْكُورَسُ : هَذَا هُوَ الْحَلُّ
فَبَلِّغْ شَفَقَتَيْكَ .

النِّسَاءُ : دَقَّتْ عَلَيْكَ النَّارُ ،
وَدَعَّ مَقَلَّتَيْكَ .

أَلْكُورَسُ : سَتُسَلِّمُ الرُّوحَ عَلَى الصَّلِيبِ
فِي إِحْدَى اللَّيَالِي الْمَاطِرَةِ ،

النِّسَاءُ : فَإِنْ أَتَاكَ الْبَرْقُ رُمْحاً أَحْمَراً ،
قَدِّمْ إِلَيْهِ الْخَاصِرَةَ .

الرَّاهِبُ : أَيُّهَا الْأَبْيَضُ
كُونِي أُمِّي الْبَيْضَاءُ
مُدِّي
حُضْنَتِكَ الْأَبْيَضَ بَعْدَ الصَّلْبِ لِي

أَلْكُورَسَ : أَيُّهَا الْبَيْضَاءُ
مُدِّي حُضْنِكَ الْأَبْيَضَ بَعْدَ الصَّلْبِ لِي

النِّسَاءَ : أَيُّهَا الْبَيْضَاءُ
مُدِّي حُضْنِكَ الْأَبْيَضَ بَعْدَ الصَّلْبِ لِي .

الرَّاهِبَ : يَا بَهَائِي

خَفِّفِي مِنْ عَثَمِ قَبْرِي
بِحَمَامَةٍ .

وَعَلَى الْأَرْضِ الَّتِي
صَارَتْ سَمَائِي ،

أَذْكُرْنِي رَاهِباً
يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَقَامَ الذُّكْرِيَّاتِ

السِّرُّ

كُلَّمَا

نَمْنَا مَعًا، تُغْمِضُ عَيْنَيْهَا

وَتَغْدُو امْرَأَةً عَارِيَةً

بَيْنَ يَدَيْهِ.

تَتَصَوَّرُ

أَنَّهَا نَائِمَةٌ لَيْسَ مَعِيَ، بَلْ
مَعَهُ. أَشْعُرُ فِي ذَلِكَ لَمَّا جَسْمُهَا، أَوْ
حَرَكَاتِ الصَّوْتِ فِيهَا
تَتَغَيَّرُ

فَهِيَ أَنَا
تَتَكَسَّرُ

وَهِيَ أَنَا مَادُّ آهَاتٍ إِذَا
فِي فَمِهِ قَدْ أَغْرَقْتُ يَأْقُوتَةَ النَّهْدِ
الْمُدَوَّرُ

وَأَنَا أَشْعُرُ أَنِّي قَيْدُهَا لَا مُشْتَهَاهَا.
وَهِيَ لَا تَضْرُخُ مِنْ رِغَشَتِهَا فِي التَّخْتِ لَكِنْ
تَتَحَرَّرُ



Ghsoub Fero

كَحَمَامٍ نَائِمٍ
فِي رَاحَتَيْهِ

فَإِذَا نَحْنُ انْتَهَيْنَا، وَأَدَارَتْ
ظَهْرَهَا فِي سُرْعَةٍ، أَطْبَقَتْ أَجْفَانَهَا ذَاهِبَةً
دَامِعَةً الْوَجْهِ
إِلَيْهِ.

غِزْرَةٌ

أَلْحُبُّ

وَالجُنُونُ

عَاشَا مَعَا

أَعَزَّ صَاحِبَيْنِ

وَوُلِدَ الْجَمَالَ مُتْرَفَ الْقَوَامِ،
غَامِضَ الْعُيُونِ،

مُؤَوَّرَ الْجَبِينِ،
نَاعِمَ الْيَدَيْنِ

كَطَائِرَيْنِ
أَبْيَضَيْنِ .

يَمُوجُ فِي رَائِحَةِ مَأْخُودَةٍ
مِنْ زَهْرَةِ اللَّيْمُونِ .

فَاقْتَتَلَ الْجُنُونَ وَالْحُبُّ . الْجُنُونُ
شَكُّ رُمَحِهِ فِي مُقْلَتِي الْحُبِّ، فَصَارَ
الْحُبُّ أَعْمَى،
مُطَبَّقَ الْجَفْنَيْنِ .

وَمُنْذُ
ذَلِكَ الزَّمَانِ

لِالآنِ

وَكُلُّ حُبِّ
عِنْدَمَا يَكُونُ

أَعْمَى،
دَلِيلُهُ الْجُنُونُ .

الطَّبَّعُ

أَلْعَوْسَجَةُ

لَمَّا أَحَبَّتْ
أَصْبَحَتْ بِنَفْسَجَةٍ .

كلام الأسياء

تَرْكُهَا لِي، لَمْ يَكُنْ فِي أَنَّهَا قَدْ
غَادَرَتْ مَنْزِلَنَا. أَوْ أَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا تَعَشَّقُ غَيْرِي،

أَوْ

أَخِيرًا

وَدَّعْتَنِي

تَرْكُهَا لِي، أَنَّهَا فِي التَّخْتِ

لَمَّا

عَانَقْتَنِي

مُقَلَّتَاهَا، وَيَدَاهَا، عِنْدَمَا عَنْهَا

قَلِيلًا

أَبْعَدْتَنِي

أَخْبَرْتَنِي

أَنَّهَا قَدْ

تَرَكَتَنِي .

فُتَاتٌ

نَحَتْ الرَّجَالَ تَمَائِيلَ . صَارَ الرَّجَالُ
رُخَاماً مِنَ الْبَرْقِ ، وَالْمَوْجِ ، وَالْعَنْبِ الْبَابِلِيِّ ،
وَمِنْ
سِنْدِيَانِ الْجِبَالِ ،

وَصِرْتُ أَنَا
مِنْ
فُتَاتِ الرَّجَالِ .

الحسن

وَلَدَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ عِشْرِينَ
صَيْفًا فِي قُرَى اللَّيْلِ. حَصَادُ خُصُورِ.
وَلَهُ شَمْسِيَّةٌ مِنْ مَنَدَرِينَ. يَشْرَبُ الْيَاقُوتَ،
وَالْعَاجَ الْمُصَفَّى. يَشْتَرِي قُمَصَانَهُ مِنْ سُوقِ
نَوْلِ الْفُلِّ. فِي سَلْتِهِ الزَّرْقَاءُ
تُفَّاحُ
وَتَيْنُ.

وَلَهُ بَيْتٌ سُؤْتُو.

الجرّاح

أَفْسَمَ التُّفَّاحُ أَنْ يَقْتُلَنِي.
حَاوَلَ خَمَّارُ الْعَنَاقِيدِ اغْتِيَالِي. وَزَعَّ الْعُشَّاقُ
تَقْطِيعَ تَقَاسِيمِي عَلَيْهِمْ. بَاعَهُ الزَّيْنَةُ فِي
سُوقِ الْهَدَايَا، مَنَعُوا عَنِّي شِرَاءَ الشَّمْعِ،
وَالْيَاقُوتِ، أَوْ أَعْلَى الْمَرَايَا
وَالْعُطُورِ.

صَلَبْتَنِي نِسْوَةُ الدُّنْيَا . رِجَالُ
الأَرْضِ شَكُّوا بَيْنَ عَيْنَيْ ، وَفِي قَلْبِي ،

مَنَاقِيرَ

الصُّقُورِ

أَهْ مَا أَقْسَى انْتِقَامَ الكُلِّ
يَا قَلْبِي . لَأَنَّ امْرَأَةً يَحْلُمُ فِيهَا الكُلُّ

نَامَتْ

فِي سَرِيرِي .

وَبِئَعٍ

أَطْبَقَ
الرَّاجِلُ جَفْنَهُ.

وَعَلَى الْحُفْرَةِ، أَلْقَى الْأَهْلُ
حَفْنَاتٍ عَلَيْهِ.

وَخَدَهَا الْأُمُّ الَّتِي قَدْ أَغْرَقَتْ
بِالدَّمْعِ فِي الْمَوْتِ
يَدَيْهِ،

لَمْ تُودِّعْهُ بِحَفْنِهِ.

فَكَّرَتْ إِنْ هِيَ بِالْحَفْنَةِ
فِي الْقَبْرِ
رَمَتْهُ،
أَوْجَعَتْهُ

الأخت

أُخْتُهُمْ
حَائِكَةٌ مُخْتَرِفَةٌ.

فَلِمَاذَا
حَيَّكَتْ كَنُزَاتِهِمْ؟

كُلُّهَا عَيْبٌ وَأَخْطَاءٌ
عَلَى قَامَاتِهِمْ!

كَانَ ثُلُجٌ، وَرِيَّاحٌ، وَهِيَ تَمْضِي
اللَّيْلَ لَا مُشْعِلَةَ نَارًا،
وَلَا مُلْتَجِفَةَ.

فَلَقَدْ حَاكَتْ لَهُمْ كَنْزَاتِ
صُوفٍ، بَبَقَايَا مِنْ سِرَاجٍ،
وَيَدٍ مُرْتَجِفَةَ.

الدَّعْوَى

فِي مَقْبَرَةٍ

أَلْوَا حَهَا كُحْلِيَّةٌ،
مُتَكَسِّرَةٌ،

ضَمَّتْ نِسَاءَ الْأَرْضِ، يَغْلُوهَا
ضَبَابٌ صَاعِدٌ مِنْ
شَمْعِيَّاتٍ،

نَادَيْتُ: «فَلْتَنْهَضْ مِنْ الْمَوْتِ اللَّوَاتِي
الْعُمَرَ عِشْنَ، وَمَا عَرِقْنَ
بِدَمْعِهِنَّ»

مَا قَامَتِ امْرَأَةٌ. فَتَحَتْ قُبُورَهُنَّ
وَجَدْتُهُنَّ مَمْدَدَاتٍ أَدْمَعًا
مُتَحَجَّرَةً.

جَسَدٌ

عِنْدَمَا لَأَحَقُّهَا،
ذَابَتْ بِصُبْحٍ.

رَكَضَتْ، وَاخْتَبَأَتْ
فِي نَضْلِ رُمَحٍ.

إِخْتَفَتْ فِي شَجَرِ الْغَابَةِ، صَارَتْ
أَخْضَرًا. خَفَّتْ إِلَى عُضْفُورَةٍ، طَارَتْ بِهَا.
عَطَّتْ عَلَى بَحْرِ
فَصَارَتْ أَرْزَقَةً.

دَخَلَتْ فِي نَائِي رَاعٍ،
خَرَجَتْ مِنْ زُنْبُقَةٍ.

هَرَبْتُ مِنِّي، وَلَكِنْ، عِنْدَمَا
هَبَّ عَلَى
شَهْوَتِهَا
جَسَدِي، عَادَتْ
إِلَى
قَامَتِهَا.

الْحَامَةُ وَالذَّهَبُ

تَكْتَسِي قَامَتُكَ الْآنَ خَرِيفاً

فِيهِ

أَعْيَادُ نَيْيِدِ

لَا

عَنْبِ



Chsoub F00

أَنْتِ عِنْدِي الْآنَ نَائِي
بَعْدَمَا كُنْتِ قَصَبٌ

أَجْمَلُ الْحِكْمَةِ فِي الْفِضَّةِ
مِنْ طَيْشِ الذَّهَبِ

أَهْ مَا أَجْمَلَكِ الْآنَ
بِأُورَاقِ حَفِيفِكَ،

كُلُّ مَا قَدْ شَعَّ مِنْ صَيْفٍ
عَلَى حَدِّ سُيُوفِكَ

لَيْسَ أَبْهَى
مِنْ يَمَامَاتِ خَرِيفِكَ .

السَّابِحُ

مَعَا؟!
لَا يَبِيدُ،
وَلَا مَذْفَأُهُ.

فَلَا أَسْتَطِيعُ، مَعَا،
أَنْ أَكُونَ امْرَأَهُ

سَتُمَطِّرُ فِي جَسَدِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ،
فَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِيهِ. وَقَدْ نَهَضْتُ رِيحُ
تَشْرِينِهِ الرَّاقِدَهُ

إِذَا شِئْتَ فَابْقِ. وَلَكِنْ، سَتُمَضِي

مَعِي

شَهْوَةً بَارِدَةً.

الغَيْبَة

آتُوا،

نَضْحُونِي بِأَهْلِي، فَلَمْ يَنْفَعِ الْأَهْلُ. أَلْقُوا
عَلَيَّ تَعَاوِينَذَ كُلِّ خُصُورِ النِّسَاءِ، فَلَمْ يَخْتَلِجْ لِي نَبْضٌ.
رَقُونِي بِرُشْدٍ فَلَمْ
يَعْقِلُونِي.

وَطَافَتْ سَوَاجِرُ حَوْلِي بِأَرْضِ الْأَسْلُو،
وَوَقَّتِ لِأَنْسَى . فَلَمْ تَشْفِ رُوجِي مِنَ الْعِشْقِ أَرْضٌ،
وَلَمْ يُنْسِنِيهَا عَلَى الْبُعْدِ
وَقْتُ .

وَمُنْذُ انْخِطَافِي بِهَا،
مَا أَفَقْتُ .

الْفَصَّة

وَكَانَ جَمَالِي عَيْسَى بِنَ مَزِيمَ .
كُنْتُ رَسُولَ الْخِيَانَاتِ ، وَأَسْمِي يُوَضَّاسُ .

كَانَ

النِّسَاءُ

دَنَائِيرَ

فِضَّةً .

وَكُنْتُ أَخُونُ الشُّمُوسِ
بِوَمَضَةٍ .

وَأَجْلِسُ فِي السُّوقِ ،
كَالرَّمْحِ سَأَلْتُ عَلَيْهِ دِمَاءَ الْغَزَالِ ،

أَبِيحُ
جَمَالِي .

شوق

وَكَانَ لَنَا
مَوْعِدٌ فِي الْمَسَاءِ،

جَمِيلٌ كَقَامَتِهَا فِي الضَّبَابِ،
سَرِيعٌ كَنَوْمِ، رَقِيقٌ كَمَاءِ.

وَمِنْ
شَغْفِي بِاللَّقَاءِ،

رَأَيْتُ الدَّقِيقَةَ عَامًا. وَرُحْتُ أَشِيخُ
إِلَى أَنْ غَدَوْتُ عَجُوزًا، عَصَاتِي عُكَّازُ رِيحٍ، وَجِسْمِي
عَمَامٌ شِتَاءٍ.

وَجَاءَتْ،
فَمَا عَرَفْتَنِي.
اسْتَرَاخْتُ

قَلِيلًا،
وَرَاخْتُ.

لِصِّ

وَمَا وَجَدُوا أَيَّ لِصٍّ عَلَى
الْأَرْضِ حَيًّا لِكَيْ يُحْرِقُوهُ مَعِيَ، أَوْ يُشَتَّتَهُ الْآخِذُونَ
صِفَاتِ الْعَوَاصِفِ. لَا أَهْلَ عِنْدِي لِكَيْ يَضْلِبُوهُمْ، وَلَيْسَ
لَدَيَّ صَدِيقٌ لِيُجَلِّدَ مِثْلِي. وَكُلُّ الَّذِينَ رَأَوْنِي ادَّعَوْا أَنَّهُمْ
نَائِمُونَ. وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ

وَمَا عَذَّبُوهُ

بِكُلِّي .

أَتُونِي بِلَيْلٍ، فَفَتَّشْنِي، لَمْ يَجِدْ فِيَّ
شَيْئاً، أَتُوا بِنَهَارٍ،
فَأَخْرَجَ مِنِّي ظِلِّي .

وَشَتَّتُهُ فِي سَوَادِ اللَّيَالِي، كَمَنْ
فِي الصَّحَارَى
يُشْتَّتُ حَبَّةَ رَمْلِ .

وَحَوْلَنِي لُغَةً مِنْ عَرِيشٍ،
وَعَلَّقَ فِيَّ حُرُوفِي،

وَسَلَّمَنِي
لِرِيَّاحِ الْخَرِيفِ .

اللَّعَنَات

وَقَدْ جِئْتُ مِنْ غَيْرِ أُمَّ. وَعِشْتُ
بِغَيْرِ جَمَالٍ وَنُبْلِ. وَلَمَّا سَأَزَحَلُ لَا أَحَدٌ سَوْفَ يَبْكِي
عَلَيَّ. وَلَمْ أَكُ قَمَحًا لِأَنِّي لَا أَسْتَجِئُ سَلَامَ
الطَّحِينِ. وَلَمْ أَكُ رِيحًا لِأَنِّي لَا أَسْتَجِئُ
جَنَاحِ الطُّيُورِ.

مُدَانٌ بِأَنِّي وُلِدْتُ. وَمُعْشَوِشِبٌ فِي
تُرَابِ الْخَطَايَا. وَرُوحِي مَفْضُولَةٌ عَنِ بَيَاضِ
الْيَمَامِ.
وَمُخْتَقَرٌ
مِنْ سَرِيرِي.

وَبَيْتِي، كَمَا طَرَدْتُهُ الْبُيُوتُ، سَتَطْرُدُ
قَبْرِي
كُلُّ
الْقُبُورِ.

تَمُرُّ الْقِطَارَاتُ عَبْرَ الْمَحَطَّاتِ. كُلُّ
سَيْرِكَبٍ يَوْمًا قِطَارًا. إِلَى أَيْنَ نَمُضِي؟ جَلَسْتُ وَجِدَادًا
بِقَاعَةِ غُضْنٍ، وَلَمَّا سَمِعْتُ الرِّيَّاحَ،
عَرَفْتُ مَصِيرِي.

الظِّلُّ

وَلَمَّا هَمَى اللَّيْلُ فَوْقَ بَقَايَا
اللَّهَيْبِ لِشَمْسِ النَّهَارِ، فَلَا حَتَّ بِأَزْوَاجِهَا فِي عَمَامِ الدُّخَانِ،
وَلَمْ تَبْقَ رُوحٌ لِشَيْءٍ وَمَا ظَهَرَتْ، غَيْرُ رُوحِي،
تَسَلَّلَ ظِلِّي

كَلِصًّا،

وَرَاخٍ يُفْتَشُ بَيْنَ ثِيَابِ الْقُضَاةِ، وَجِبْرِ الْقَوَائِنِ، عَنِ
جَسَدِي الْمُهْمَلِ الطُّيْنِ مِثْلَ رُقَاتِ الْمَسَا،
لَمْ
يَجِدْهُ.

وَأَوْمَضَ بَرْقًا، رَأَاهُ! فَأَوْقَفَهُ، لَمْ يَقِفْ.
هَزَّهُ، مَا تَحَرَّكَ. أَضْغَى إِلَيْهِ فَكَانَ كَمَنْ صَارَ مَيِّتًا.
فَسَوَّى لَهُ قَبْرَهُ،
ثُمَّ سَجَّاهُ فِيهِ،
فَمَا هَدَّأَتْ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ. وَلَمْ
تَسْتَقِرَّ عَلَيْهِ الْحِجَارَةُ.

ظَلَّ كَمَا كَانَ. لَا هُوَ بَاقٍ،
وَلَا هُوَ فَايْنُ.

أَبَتْ زُرْقَةُ الْمَوْتِ أَنْ يَكْتَسِبَهَا.
وَمَرَّتْ رُتَيْلَاءُ رَمَلٍ فَلَمْ تَلْتَفِتْ. حَيَّةٌ مِنْ ذَوَاتِ
الرُّتَيْنِ بِلَا مَنْزِلٍ، لَمْ تَجِدْ رَأْسَهُ بَيْتَهَا. لَا الْهُوَامُ
تَمَثُّهُ زَادًا لَهَا، وَالْعَقَّارِبُ لَا سُمُّهَا مَاجٍ فِيهِ،

وَلَا غَطَّ أَيُّ غُرَابٍ عَلَيْهِ .

طَرِيدٌ مِنَ الْعُمْرِ هَذَا الْجَسَدُ .
طَرِيدٌ مِنَ الْمَوْتِ هَذَا الْجَسَدُ .

وَلَا أَنَا مَاضٍ ، وَلَا أَنَا آتٍ .
وَلَا أَنَا جُزْئِي ، وَلَا أَنَا كُلِّي .

وَأَنِّي يَدَانِ ،
وَلَسْتُ يَدَيًّا .

وِظْلِي !؟

فَلَا أَنَا حَيٌّ لِيَمْشِي وَرَائِي ،
وَلَا أَنَا مَيِّتٌ لِيَبْكِي عَلَيَّا .

وَمُ بَيْنَ السَّيْفِ وَالْفُرْوَ

الطَّسْرَاتِ

١

سَجَدُوا لَهَا إِنْ عَلَّقَتْ فِي خَضِرِهَا
فُؤْبَاتِهَا، أَوْ أَرْسَلَتْ يَدَهُمْ إِلَى عُنُقُودِ نَهْدِيهَا.
وَكَمْ سَاءَ الْمُلُوكُ عُرُوشَهُمْ مَعَهَا،
وَمَا
سَيِّمُوهَا.

هِيَ كُلَّمَا نَحَتَتْ رُخَامَةً عُهْرَهَا،
سَجَدُوا لَهَا، فَإِذَا أَحَبَّتْ مَرَّةً
رَجَمُوهَا.

وُلِدْتُ،
فَلَا فَيْرُوزَةَ الدُّنْيَا الَّتِي وُلِدْتُ،
وَلَا عُصْفُورَ زُرْقَتِهَا،
وَلَا يَاقُوتَها.

دُعِيَتْ:

حَرَابَ الْوَقْتِ، يَنْبُوعَ الْخَطَايَا، سُؤْمَ
آدَمَ، حَسْرَةَ الْحَسَرَاتِ، مِفْصَلَةَ السُّنُونُوءِ. مَرَّ يَلْعَنُهَا
مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي وُلِدَتْ عَلَيْهَا بِحَرِّهَا، وَتُرَابُهَا،
وَيُبُوئُهَا.

وَمِنَ الْقُبُورِ
سُكُوتُهَا.

يَا لَيْتَهَا مَاتَتْ. فَلَا أُمَّ لَهَا مَن هَدَدَتْهَا
بُومَةٌ،

وَسَرِيرُهَا
تَأْبُوتُهَا.

عَاشَتْ طَوَالَ الْعُمْرِ مَيِّتَةً. فَإِنْ
 مَاتَتْ، غَفَتْ، لَا شَيْءَ آخَرَ، وَاسْتَرَاحَتْ. لَمْ تَكُنْ
 مَا قَالَهُ الشُّعْرَاءُ عَنْهَا. مَا هَمَى مَطَرٌ إِذَا
 مَا الْبَرْقُ لَاحَ بِأُفُقِ عَيْنَيْهَا. وَوَهْمٌ أَنْ نَهْدِيهَا
 هُمًا فِي النَّحْتِ مَا

حَفَّ النَّسِيمُ

عَاشَتْ وَلَا فَزُقُ لَدَيْهَا بَيْنَ
أَنْ تَحْيَا بِعَنَمِ الْقَبْرِ أَوْ
قَضِرِ الْحَرِيمِ

أَوْ فِي النَّعِيمِ
أَوْ الْجَحِيمِ

إِنْ تَجَهَّلُوا فِي الْأَرْضِ مَسَكَنَهَا،
وَأَحَبَبْتُمْ زِيَارَتَكُمْ لَهَا، لَا تَسْأَلُوا فِي أَيِّ بَيْتِ،
إِنَّمَا، فِي أَيِّ مَقْبَرَةٍ
تُقِيمُ.

لَيْسَتْ يَدَا، مَا ضَمَّهَا فِيهَا، وَلَكِنْ
 بَابَ حَبْسٍ مُغْرَقاً بِصَرِيرِهِ. مَا ضَمَّهَا، بَلْ كَانَ
 يَدْفَعُهَا إِلَى زِنزَانَةٍ فِي صَدْرِهِ تَخِيَا بِهَا
 رُغَبَ اللَّيَالِي

المُقبِلَةُ.

فَرِحَتْ. فَظَنَّ بِأَنَّهَا مُشْتَاقَةٌ. لَمْ
يَدْرِ أَنَّ عُيُونَهَا لَمَّا انْحَنَى حَتَّى يُقْبَلَ عَنْقَهَا،
مَا شَاهَدَتْ شَفَقَةً لَهُ، بَلْ
مُقْصَلَةٌ.

وَتَزَوَّجَا.

هُوَ عَامِلٌ فِي الْأَرْضِ مَأْجُورٌ.
 يَبِيعُ يَدَيْهِ، أَشْهُرَهُ، بِسِعْرِ لَا يُقَرَّرُهُ سِوَى الْمَلَائِكِ.
 كَانَ يَجُوعُ، يَغْرَى. لَنْ تُسَاعِدَهُ يَدَاهُ بِغَيْرِ أَنْ يَبْقَى
 عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ لِيَجْعَلَ الْمَلَائِكَ أَكْثَرَ وَفَرَةً وَغْنَى.

وَكَانَ يُحِبُّ طَيْرَ الْبَرِّ، أَخِيَانًا يُعَانِقُ زَوْجَهُ مُتَوَقِّدًا
شَبَقًا، غَرِيفًا بَيْنَ تَقْيِيلِ الْقَمِ الصَّافِي
وَحَفِّ النَّهْدِ.

كَانَا مَعًا عَبْدًا لِسَيِّدِهِ. وَقَدْ
عَاشَتْ بِمَنْزِلِهِ الْمُخْلَعِ
عَبْدَةً لِلْعَبْدِ

٦

مِنْ
وَزِدَّتَيْنِ

وُلِدَتْ،
وَمِنْ خَضِرِ الْغَزَالِ.

جَاءَ الرَّجَالُ فَقَدَمُوا ذَهَبَ الدُّمُوعِ
هَدِيَّةً لِلْمُقَلَّتَيْنِ

وَالجِسْمُ
أَهْدَوْهُ الْخَيَالَ.

وَتَزَوَّجُوهَا.

مَا تَعَرَّتْ مَرَّةً. عَرِيَتْ. فَصَارَتْ أَغْصَنًا
مَا جَتِ بِلَا أَوْزَاقِهَا. مَا ضَاجَعُوا الشَّجَرَ الَّذِي فِيهَا،
وَلَكِنْ، ضَاجَعُوا فِيهَا وَقَدْ هَبَّتْ عَلَيْهَا رِيحُهُمْ
رُقْصَ الظُّلَالِ.

٧

لِيُضْبِحَ
فَارِسَ بَابِ الْأَمِيرِ،

وَذَا شَرَفِ خَالِصِ
فِي الْقُصُورِ،

أَضَاءَ بِرُؤُوسِهِ مُقْلَتَيْهَا، وَحَفًّا لَهَا
نَهْدَهَا بِتَبِيدِ وَزَيْتِ، وَزَادَ عَلَى خَضْرَاهَا نَعْمِينَ،
وَأَهَأَ بِهَا أَتُّهُ

مِنْ مَقَامِ السَّرِيرِ

وَعَلَّفَهَا

بِفَوَافِ الْحَرِيرِ

وَلَفَّ عَلَيْهَا السَّرَائِطَ بَيْنَاءَ،

وَأَنْتَظَرَ الْإِذْنَ عِنْدَ الْعَشِيِّ

وَقَدَّمَهَا

لِلْأَمِيرِ هَدِيَّةً

بِنِعْتِ بَسِغْرٍ لَمْ يُبَيْعْ بِهِ سِوَاهَا.
 ثُمَّ ضُمَّتْ لِحِجْوَارٍ مِثْلَهَا. مَا فَكَّرَتْ يَوْمًا بِأَنَّ امْرَأَةً
 فِي الْأَرْضِ قَدْ تَفَخَّرُ

فِي

أَجْدَادِهَا

أَوْ حُبِّهَا الْعَاصِفِ
 أَوْ أَوْلَادِهَا،

لِكَثْرَةِ الْفَخْرِ الَّذِي أَسْكَرَهَا
 مِنْ تَمَنِ اسْتِعْبَادِهَا.

مَقَامُ السَّيِّدَةِ الْبَيْضَاءِ

لَا شَيْءَ أَفْسَى سِيرَةَ مِنْ لُطْفِ
 سِيرَتِهَا، فَكَيْفَ عَذَابُهَا؟! هِيَ رَايَةُ الْأَشْجَارِ، لَكِنْ لَمْ تَعِشْ
 فِي الرِّيحِ. وَهِيَ النَّبْعُ، لَكِنْ كَلَّمَا شَرِبُوا أَصَابُوهَا بِجُرْحِ.
 مِنْ هُنَا جَاءَ الْحَصَى فِي النَّهْرِ. لَمْ أَسْمَعْ خَرِيرًا مَرَّةً فِي
 أَيِّ نَهْرٍ، بَلْ سَمِعْتُ أُنَيْنَهَا.

وَلَدَتْ

صَبِيًّا.

إِقْرَعُوا الْأَجْرَاسَ، فَالْمَوْلُودُ آتٍ لَيْسَ

أُنْتَى، إِنَّهُ

ذَكَرَ.

وَهَاتُوا الْخَمْرَ. وَلْتَرْفُضْ بِأَطْبَاقٍ مِنَ الْحَلْوَى
نِسَاءَ الْحَيِّ. وَلْيَخْرُجْ أَبُوهُ إِلَى الرُّجَالِ جَبِينُهُ عَالٍ؛
دَعَائِمُ بَيْتِهِ اِرْتَفَعَتْ نَشِيداً لِلصُّخُورِ؛ وَبَابُهُ الْمَفْتُوحُ
أَصْبَحَ أَفْقَ بَحْرِ لَيْسَ تُغْلِقُهُ الْعَوَاصِفُ. هَكَذَا
وُلِدَتْ!

مَلَاكَ حَفًّا قِنْدِيلاً فَصَارَ خَطِيئَةً.
صَيْفٌ تَجَاوَزَ عُمُرُهُ سَبْعِينَ لَيْلاً بَيْنَ أَعْرَاسِ الطُّجِينِ
وَلَمْ يَجِدْ قَمَرًا. نَهَارٌ ضَيَّعَتْ أَوْرَاقُهُ أَقْلَامَ زُرْقَتِهِ.
كَنَارِيٍّ تَزَيَّنَ لِلْحُقُولِ، وَعِنْدَمَا عَنَى، أَحَاطَ بِرَيْشِهِ قَفْصُ
لَهُ بَابَانِ مِنْ حَجَرٍ وَأَفْعَى. هَكَذَا
عَاشَتْ!

لَبِسْنَا أَسْوَدَ التُّسَيَانِ . سِرْنَا فِي جَنَازَتِهَا .
وَكَانَ أَمَامَنَا التُّعْشُ الَّذِي هِيَ فِيهِ شَيْءٌ لَيْسَ يَعْزِي
غَيْرَ أَعْيُنِنَا إِذَا التَّفْتَتْ إِلَيْهِ ، وَشَاهَدَتْ حَجْماً مِنَ الخَشَبِ
المُمَدَّدِ فِي الهَوَاءِ . وَعِنْدَمَا

دُفِنْتُ ،

رَجَعْنَا . لَمْ نُلَاحِظْ أَنَّ مَيْتاً مَا
مَشِينَا خَلْفَهُ . أَوْ أَنَّ مَقْبَرَةَ دَخَلْنَا سُورَهَا عِنْدَ الظُّهَيْرَةِ .
سَبْعَةَ كُنَّا وَعُدْنَا سَبْعَةَ . لَمْ نَدْرِ أَنَّ الثَّامِنَ المَدْفُونِ
مِثْلًا كَانَ يَوْمًا يَبِينُنَا . لَمْ نَبْكِ .

لَمْ نَضْمُتْ .

نَسِينَا أَنَّ نُعَزِّي أَوْ نُعَزِّي .
رُبَّمَا قُمْنَا بِذَلِكَ لَوْ عَلِمْنَا أَنَّنَا كُنَّا بِدْفِنِ . هَكَذَا

رَحَلْتُ !!!

قُبَيْلَ وَقَاتِهَا ، مَرَّتْ بِخَاطِرِهَا أَغَانِيهَا ،
ذِرَاعَاهَا ، بَيَاضُ جَنَاحِهَا ، نَهْدَانِ كَانَا دَائِماً لَبْنًا وَقَمْحاً .
رَافِقَ الصُّورِ الَّتِي مَرَّتْ غِنَاءُ يَمَامَةِ :

قَمَرٌ أَبْيَضٌ . أَغْنِيَهُ لِمَلَائِكِ .
وَعَرُوسٌ دَخَلَتْ حَاتَمَهَا .

فِي سُنْبَلَةٍ نَحْتَتْ يَدَهَا ،
وَعَلَى نَائِي رَسَمَتْ فَمَهَا .

لَمْ يُنْبِتْ نَيْسَانَ وَرُودًا ،
بَلْ أَنْبَتَ نَيْسَانَ دَمَهَا .

أَلَقَّتْ مِنْ قَامَتِهَا كُلَّ الْأَشْيَاءِ ،

وَأَبَقَتْ فِيهَا

مَرْيَمَهَا

حَضَرَ الزُّورِقُ عُرْسَ الْبَحْرِ ، وَعُورَسَ
الزُّورَفَى حَضَرَ النُّحْلُ . لِمَاذَا لَيْلَةَ جَلْوَتِهَا لَمْ تَحْضُرْ
إِلَّا مَاتَمَهَا .

هَدِي

حِكَايَةُ آيَةِ امْرَأَةٍ!!

سَلَاماً يَا نِسَاءَ. اغْرَقْنَ فِي النَّهْرِ
الْمُقَدَّسِ، وَاعْتَسِلْنَ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِنَّهُمْ عَفَنٌ وَزَنْجَارٌ. وَمَا
الصَّدَأُ الَّذِي يَغْلُو مَفَاتِنُكَنَّ إِلَّا لَوْنٌ مَا أَلْقَوْا عَلَى أَكْتَا فِكَنَّ مِنَ
الْخَطَايَا.

إِنَّكَنَّ الْمَرْأَةَ الْبَدْءَ الَّتِي أَلْقَى عَلَيْهَا
اللَّهُ لَعْنَتَهُ. وَخَانَ بِهَاءِهَا الشُّعْرَاءُ. وَافْتَتَحَ الْفَلَّاسِفَةُ الْوُجُودَ
بِطَرْدِهَا مِنْ قَاعَةِ الْأَيَّامِ. لَمْ يَمْسَحْ بِرِجْلَيْهَا الْمُلُوكُ
جِبَاهَهُمْ كَيْ يُضْبِحُوا رُسُلًا. وَلَمْ يَجْعَلْ قُضَاءُ الْأَرْضِ
كَفَيْهَا الْمُتَفَحِّحَتَيْنِ مِيزَانًا لَهُمْ. كَذَبَ الْمُغْتَنِّي عِنْدَمَا غَنَّى.
وَلَمَّا الرَّاقِصُ اخْتَفَلَتْ يَدَاهُ بِلَمْسِ نَهْدِيهَا تَنَاسَى أَنْ
قَامَتَهَا الْهَفِيفَةَ مَرِيْمُ الْإِيْقَاعِ. كَمْ مِنْ قَائِدٍ قَدْ ظَنَّهَا
أَرْضَ الْفُتُوْحِ، فَلَمْ يُقَدِّمْ رُوحَهُ وَزَدَا إِلَيْهَا، بَلْ عَزَاَهَا.
كُلَّمَا عُبِدَتْ رَمَى أَجْرَاسَهَا الرَّهْبَانَ. وَالنَّحَاتُ أَلْقَاهَا بَقَايَا
كُلَّمَا نُجِحَتْ.

لَيَالٍ يَا رَجَالَ الْأَرْضِ أَنْتُمْ .
لَيْسَ يَغْفِرُ عَثْمَكُمْ إِلَّا نِسَاءٌ كُلَّمَا نَبَتَتْ لَكُمْ فِي
الشَّمْسِ أَجْنِحَةٌ سَبَحْتُمْ فِي هَوَاءِ الكَوْنِ مُتَّحِدِينَ . لَا
رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ . وَلَكِنْ نُورٌ بَدَأَ الخَلْقَ فَوْقَ العَمْرِ
يَبْدَأُ مِنْ جَدِيدٍ .

وَاحِدٌ مَعَ وَاحِدٍ إِثْنَانٍ .

لَكِنْ وَاحِدٌ فِي وَاحِدٍ هُوَ وَاحِدٌ .
«فِي» لَمْ تَكُنْ «مَعَ» مَرَّةً . هِيَ ضِدُّهَا . وَالْأَرْضُ حَتَّى
الآنَ لَمْ يُصْنَعْ بِهَا تَارِيخٌ «فِي» . صَنَعُوا بِهَا تَارِيخَ
«مَعَ» . لَكِنَّهُ مَا كَانَ فِي يَوْمٍ مَعًا .

«مَعَ» تَخْتَفِي فِي
الوَاوِ أَحْيَانًا . وَتُضَيِّحُ «وَا» . وَتُوهِمُ أَنَّهَا وَاوٌ لِعَطْفِ
أَوْ هَوَى . لَكِنَّهَا وَاوُ المَعِيَّةِ . وَهِيَ «مَعَ» مَخْفِيَّةٌ .
وَاوُ المَعِيَّةِ لَمْ يَكُنْ إِعْرَابُهَا عَطْفًا . وَلَمْ تُعْرَبْ
بِیَوْمٍ عَنِ هَوَى . رَجُلٌ بِتَخْتٍ ، نَامَ وَامْرَأَةٌ : مَعَ
امْرَأَةٍ . وَلَكِنْ لَمْ يَنْمَ فِي التَّخْتِ وَامْرَأَةٌ . وَلَوْ فَعَلَا

لَكَانَ الْعَطْفُ أَضْبَحَ «فِي» لِيَتَّحِدَا.

مَتَى

اتَّحِدَا مَعًا؟!!!

رَجُلٌ «مَعَ» امْرَأَةً هُوَ: وَاحِدٌ.

هِيَ: وَاحِدٌ. صَارَا مَعًا اثْنَيْنِ: مَقْتُولًا وَآخَرَ قَاتِلًا.

لَمْ يَحْكُمَا يَوْمًا مَعًا. لَمْ يَبْنِيَا يَوْمًا مَعًا. لَمْ يَحْزَنَا،

لَمْ يَضْحَكَا، يَوْمًا مَعًا. «فِي» وَحْدَهَا تُعْطِي مَعًا مَعْنَى

تَلَاقِي وَاحِدٍ فِي وَاحِدٍ: هُوَ وَاحِدٌ. مَعْنَى تَمَاهِي

قَطْرَتَيْنِ بِقَطْرَةٍ. يَا

«فِي»

هُمَا امْرَأَةٌ، هُمَا رَجُلٌ،

وَقَدْ وُلِدَا

لِيَتَّحِدَا.

جَدِيدًا لَمْ يَزَلْ هَذَا الْقَدِيمُ. عَنَيْتُ

يَا امْرَأَةَ جِرَاحِكَ . كَيْفَ يَحْمِلُ يَا نِسَاءَ الْأَرْضِ ظَهْرُ
مِنْ نَدَى كَيْسِ الصُّخُورِ؟! وَتَضَعُدُ الْأَغْصَانُ فِي آيَارٍ
لَا يَسَةُ مَكَانَ زُهُورِهَا أَكْفَانَهَا!؟ .

إِنِّي لِأُخْرِجُكُمْ مِنْ أَبْنَائِكُنَّ، وَوَزِدِ
عُشَّاقِ الْعُصُورِ، وَمِنْ يَدَيِ أَرْوَاجِكُنَّ وَجَبْرِ حَاتِمِهِمْ . وَأَرْجِعُكُمْ
مِنْ عَقَنِ الضَّرِيحِ إِلَى هَوَاءِ الْبَدءِ، وَالنَّبْعِ الْبَعِيدِ،
وَسَمْسِ أَوَّلِ دَوْرَةِ لِلْأَرْضِ .

أُخْرِجُكُمْ مِنْ صَدَاِ الثُّصُوصِ،
وَزُورِقِ الرُّهْبَانِ، وَالْوَحْيِ الْمُعَلَّقِ فَوْقَ أَسْتَارِ الثُّبُوءَةِ، وَالْقُضَاةِ
الْمُلْتَحِينَ بِسُنْبُلَاتِ مِنْ شَعِيرِ . آهَ أُخْرِجُكُمْ مِنْ بَشْرِ الْهَوَى،
وَالرَّقْصِ، وَالْجَسَدِ الْبَغْيِيِّ . أُعَيْدُكُمْ مِنَ الْقَيْوُدِ إِلَى الْجَنَاحِ، مِنْ
الْمَعْرِيِّ الْحَزِينِ إِلَى نَشِيدِ الْبَحْرِ . مِنْ إِكْلِيلِ بُؤْلَسَ، أَوْ رُؤَى
بُودَا إِلَى قَصْرِ الْمَرَاعِي، عِنْدَمَا كُنْتُمْ تَحْكُمْنَ التُّرَابَ بِصَوْلَجَانِ
الْقَمَحِ . أُخْرِجُكُمْ مِنْ لُغَةِ الْمُدْكَرِ، مِنْ طَلَاقِ الْفَحْلِ،
مِنْ إِزْثِ الْعَصَا لِلظَّهْرِ، وَالْوَادِي لِأَجْنَحَةِ الصَّدَى، وَالنَّيْرِ
لِلْأَعْنَاقِ . أَطْلِقُكُمْ مِنْ أَدَوَاتِ زَيْنْتِكُنَّ، مِنْ كُلِّ الْقَصَائِدِ

وَالْأَغَانِي . مِنْ مُوشِحَةِ السَّرِيرِ ، وَحَانَةِ الْخَمَارِ ، لَا أُبْقِي
بِكُنَّ سِوَى الْمَلَائِكِ الْأَمْ ، وَالْأَشْجَارِ عِنْدَ بَيَاضِهَا ، وَمَعَارَةَ
التَّكْوِينِ فِي الرَّحِمِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَمَرِّ ، وَسُورَةَ الْعُفْرَانِ لِلْمَاضِي
الَّذِي سَاقَ الرَّجَالُ بِهِ النَّسَاءَ إِلَى الْيَمَامَةِ عِنْدَمَا
دُبِحَتْ ، وَنَزَجِسَةَ السَّوَاقِي عِنْدَمَا تَرَكَوْا لَهَا دَمَهَا عَلَى
مِرْآئِهَا . يَا

رَبِّي .

يَا بَدْءُ إِفْتَحْ

لِي يَدِيكَ

إِنِّي أُعِينُ سُنُونُوتِ الْأَرْضِ

يَا بَدْءُ إِلَيْكَ .

يَا

رَبِّي ، نَحْنُ الرَّجَالُ الصَّاعِدُونَ مِنْ

الْخَطَايَا ، نَحْنُ مَنْ سَيَّمُوا أَمَامَ الشَّمْسِ رُهْبَانًا لِدَيْرِكَ ،

نَزْتِدِي سُودَ الْمُسُوحِ، نُحْمَلُ الْعَرَبَاتِ أَجْرَاساً وَشَمْعاً، نَقْطَعُ
 الْوِذْيَانَ كُلَّ حَامِلٍ زَوْجِي يَمَامٍ، بَاقَةً مِنْ سَوَسَنَاتِ
 الْحَقْلِ، مِبْخَرَةً، وَحَقّاً مِنْ دُمُوعٍ، فَوَقْنَا طَبَقَ التُّذُورِ،
 أَمَامَنَا شَعْلُ الْحَجِيجِ، وَحَوْلَنَا التُّسَاكُ مِنْ كُلِّ الصَّوَامِعِ
 وَالخِيَامِ، وَخَلْفَنَا أَكْبَاشُنَا الْأَيَّامُ أَضْحِيَّةُ الْمَنَاسِكِ، صُوفُهَا لَيْلٌ،
 وَمِنْ أَعْنَاقِهَا لَمَّا سَنَذْبُحُهَا عَلَى قَدَمَيْكَ سَوْفَ تَرَيْنَ
 فِي دَمِهَا نَهَاراً طَالِعاً صَفْصَافَةً مِنْ أَرْجُوانٍ، عِنْدَمَا
 تَقْفَيْنَ كَالْعَدْرَاءِ بَيْنَ

مَلَائِكَتِي أَغْصَانِهَا

سَتُبَارِكِينَ الْأَرْضَ

فِي دَوْرَانِهَا.

نَزْمِي عَلَى قَدَمَيْكَ تَبِجَانَ الْمُلُوكِ،
 دَرَاهِمَ التُّجَّارِ، أَخْتَامَ الْقَضَاةِ، سُيُوفَنَا، حُودَ الْجُنُودِ،
 خَرَائِطَ الْقَوَادِ، أَصْكَاءَ الرِّبَا، كُتُبَ الشَّرَائِعِ، فِضَّةَ الْكُهَّانِ،

وَالْإِكْلِيلَ، وَالْمَاضِي، مَفَاتِيحَ السَّمَاءِ، وَالسَّرَّ، وَالْأَسْمَاءَ،
وَالْأَسْوَارَ، وَالسُّوقَ السَّرِيعَةَ، وَالسُّجُونَ، وَغُرْفَةَ اسْتِجْوَابِ مَنْ
عَبَرُوا الْحُدُودَ، وَعَتَّقُوا دَمَهُمْ لِيَسْرِبَهُ التُّرَابُ. هِيَ الْمَفَاتِيحُ الَّتِي
قَدْ أَخْطَأُوا فِيهَا فَمَا قَالُوا لَهَا الْأَقْفَالَ.

نَزِمِي كُلَّ هَذَا.

إِنَّا نَزِمِي خَطَايَانَا عَلَى قَدَمَيْكَ.
لَمْ نَظْلِمِ نِسَاءَ الْأَرْضِ. كُنَّا يَظْلِمُ الرَّجُلُ الرَّجَالَ،
وَنَحْنُ نَظْلِمُهُنَّ. هَذِي

سِيرَةُ التَّارِيخِ.

لَمْ نَمُدِّ أَيَادِينَا إِلَى شَيْءٍ وَلَمْ نَظْلِمُهُ.
كَيْفَ تَدُورُ بَعْدَ الْأَرْضِ فِينَا؟! لَوْ لِهَذَا الْمَاءِ
رَأْيِي، أَفَرَعَ الْأَمْوَاجُ مِنْ مِلْحِ الْبِحَارِ فَمَاتَتِ الْأَسْمَاكُ،
وَأَنْتَشَرَتْ رَوَائِحُهَا، وَأَضْبَحَ كُلُّ بَيْتٍ قَبْرَ مَنْ سَكَنُوهُ.

إِنَّا

صَاعِدُونَ إِلَيْكَ. كَيْ تَمْحُو أَصَابِعِكَ

الرِّيحُ بِنَاءِنَا الْمَلَانَ بِالْقُضْبَانِ، وَالْغُرْفِ الَّتِي رَشَحَتْ
دِمَاءَ الْوَقْتِ مِنْهَا.

أَوْ أَيُّهَا الْبَهِيَّةُ كَمْ أَهْنَا الْوَقْتُ!!
عَامَلْنَا الدَّقَائِقَ كَالْجَوَارِي، وَالْأَسَابِيعَ الْكَرِيمَةَ كَالْعَبِيدِ،
وَأَشْهُرَ الدَّوَرَانِ حَوْلَ الشَّمْسِ، كَالْبَغْلِ الَّذِي جَرَّ
الرَّحَى بِمَعَاصِرِ الزَّيْتُونِ.

لَمْ نَضَعْ لِهَذَا الْوَقْتِ عَرْشاً مِنْ أَصَابِعِنَا.
وَلَمْ نَمْلَأْ جِرَارَ نَبِيذِهِ فِي الْأَرْضِ بِالْعَرَقِ الَّذِي
قَطَعَتْ أَيَادِينَا عَرَائِشُهُ الْفَتِيَّةَ فِي كُرُومِ الرُّوحِ. كَمْ
فُسِدَ الْهَوَاءُ! وَأَصْبَحَ الشُّوكُ الَّذِي ضَفَرُوهُ تَاجاً لِلْمَسِيحِ
هَدِيَّةً لِجَبِينِ مَنْ قَالَ الْحَقِيقَةَ! لَيْسَ عِنْدِي غَيْرُ
حَبَّةِ جِنْطَةِ مَاتَتْ، وَلَنْ تَحْيَا، لِأَنَّ تُرَابَهَا فِينَا.
وَمَا لِيْنِينُ إِلَّا وَزْدَةٌ خُنِقَتْ بِخُوذَةِ عَسْكَرِي. كُلُّ كَفِّ
أَقْسَمَتْ فِي وَجْهِ قَاضٍ أَنَّ لَامرَأَةً فَمَا، قُطِعَتْ.
وَكَمْ هُوَ مُحْزِنٌ أَنَّ النِّسَاءَ الزَّنْبَقِيَّاتِ الْقَوَامِ، وَمُرْسَلَاتِ
الْآهِ، لَمْ يَهْزِمَنَّ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ لِمَرَّةٍ إِلَّا بِسَيْفِ خُصُورِهِنَّ.



Ghsouls.F

تَسَلَّقَتْ بَلْقَيْسُ مُرْتَفَعِ السِّنِينَ إِلَى
 سُلَيْمَانَ الْحَكِيمِ لِأَنَّهُ رَجُلٌ! وَكُلُّ الْأُمَمَاتِ مُقَدَّسَاتٌ، غَيْرَ
 أَنَّ رِجَالَهُنَّ لَهُنَّ حُقُوقٌ فِي الْخِيَانَةِ، وَالطَّلَاقِ، وَضَرْبِهِنَّ،
 لِأَنَّهِنَّ وَلِدْنَ حَوَرَاتٍ بِأَكْوَاخِ الشِّتَاءِ، وَسَاقِهِنَّ الرِّعْدُ مُرْتَدِيًا
 فَمِيصَ الرَّاهِبِ الرَّاعِي إِمَاءَ لِلْعَوَاصِفِ.

أَزْبَعُ

زَوْجَنَ.

وَالرَّجُلُ الَّذِي حُقِّتْ عَلَيْهِ نُهْودُهُنَّ،
 مَشَى إِلَى أَجْسَادِهِنَّ كَأَنَّ هُوَ لَأَكُو رَأَى بَغْدَادَ. أَخْرَقَهُنَّ.
 رَمَدَهُنَّ.

عَلَّقَ مِثْلَ أَجْرَاسِ الْجَنَازَةِ عُمَرُهُنَّ. وَهُنَّ فِي دَارٍ لَهُ
 خَدَمٌ لَدَيْهِ. يَعِشْنَ كُلُّ وَجْهَهَا كَهَدِيَّةٍ يُرْمَى
 عَلَى قَدَمِيهِ. أَمَّا كَفُّهَا فَتَسْلُهَا سَيْفًا عَلَى الْأُخْرَى. وَلَمَّا
 يَزْتَجِلْنَ إِلَى الْقُبُورِ، تُشَقُّ نُورَانِيَّةُ الْأَبْوَابِ، حَتَّى تُفْرَشَ
 الْجَنَّاتُ تَحْتَ

نَسِيْمَتِي أَفْدَامِهِنَّ!!!

يَقُولُ

بُوْلُسُ:

«أَنْتِ يَنْبُوعُ الْخَطِيئَةِ». ثُمَّ
يَسْجُدُ فِي الْعُرُوبِ لِمَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ، لَيْسَ عِبَادَةً
لِبَهَائِهَا، لَكِنْ لِأَنَّ اللَّهَ جَسَدَ رُوحِهِ فِيهَا.

سَلَامًا

أَيْهَا الرَّبُّ الْمُدَكَّرُ! أَيْهَا الزَّوْجُ
الْمُتَوِّجُ فِي الزَّفَافِ عَلَى الْعُرُوسِ لِأَنَّهَا أُمَّةٌ! سَلَامًا
أَيْهَا الْإِزْتُ الَّذِي يَمْتَدُّ مِنْ رَجُلٍ إِلَى رَجُلٍ!
وَيَا اسْمًا مِنْكَ مِمْحَاةً لِأَسْمَاءِ النِّسَاءِ!

وَجَاءَ لِلْعَةِ الرَّجَالُ، فَأَصْبَحَتْ أُنْتِي
تُقَادُ كَأَنَّهَا غُضِنٌ بِعَاصِفَةٍ. فَكُلُّ

الْمُفْرَدَاتِ: مُؤَنَّثٌ كَالْكَلْبِ يَتْبَعُ
ظِلَّ صَاحِبِهِ الْمُدَكَّرِ. يَا لَهْذِي الْوَاوِ وَالْتُونِ اللَّتَيْنِ
تَسِيرُ خَلْفَهُمَا نِسَاءُ الْأَرْضِ حَتَّى لَوْ حَمَلْنَ بِنَعَشٍ
مَيَّتِ فَارِغٌ.

رَجُلٌ بِرِفْقَةٍ مَاتَتِي امْرَأَةٌ:

أَتُوا!!!

لِصِّ وَقَاضِيَةٍ: بِقَانُونِ الْمُثْنَى اللُّصُّ تَتَّبَعُهُ احْتِرَامًا لِلْمُذَكَّرِ
قَاضِيَاتُ الْأَرْضِ أَجْمَعُهُنَّ. يَا

حَوَاءُ. يَا أُمِّي الَّتِي
أَتَهَمْتِ بِتَهْدِيهَا، وَتَفَاحِ الْمَخَادِعِ، جَوَدَ الرَّجُلِ الْحَدِيدِ، وَأَصْبَحَ
الْبَطْلَ الَّذِي مَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَسْقِي سَيْفَهُ دَمَهَا.

حَزِينٌ

وَجْهٌ هَذِي الْأَرْضِ.

لَا بَطْلٌ عَلَيْهَا بَلْ قَرَايِنَةٌ مِنْ
الْعُورِ ازْتَدَوْا أَطْمَاعَهُمْ. غَمَسُوا بِبَحْرِ مِنْ دَمِ صَافٍ مَجَازِيْفَ
السُّنَيْنِ، وَأَقْلَعُوا نَحْوَ الصَّنَادِيقِ الَّتِي قَدْ خُبَّتْ فِيهَا
كُنُوزُ الرُّوحِ. يَا

لِلرُّوحِ فِي أَيِّدِي الْقَرَايِنَةِ الَّذِينَ بِصَدْرِ

هَذِي الْأَرْضِ قَدْ

شَكُّوا الدُّوْلَ

وَتَحَوَّلُوا
كُلَّ أَمَامٍ عَمِيْقِي
طَعْنَتِهِ
بَطَل.

كَمْ مُثْلَةٍ دَمَعَتْ؟! وَكَمْ حَزْبٍ
جَرَتْ؟! أَوْ كَمْ رَغِيْفٍ قَدْ رَمَتْهُ الْكَفُّ؟! أَوْ جَسَدٍ
تَسَاقَطَ فَوْقَهُ بَعْضُ الْحَيْوُطِ مِنَ الْمَعَازِلِ، لَوْ قَرَارَاتُ
الْمَذَابِيْحِ، وَالتَّشْرِدِ،

وَالْمَقَاصِلِ،
وَالْمَرَائِي،
وَالْمَنَافِي،
وَالْفُتَاتِ،

وَضِعَتْ
بِأَيْدِي الْأُمّهَاتِ!!؟

كَانَتْ تُرَافِقُنَا نِسَاءً آخِذَاتُ شَكْلٍ
 فَارِسَةٍ، دَمٍ، حُرِّيَّةٍ، وَرُسُولَةٍ، وَشَهِيدَةٍ، وَيَدٍ نَرَاهَا مِشْعَلًا
 أَوْ رَايَةً. كُنَّ الدَّلِيلَةَ فِي الطَّرِيقِ إِلَيْكَ، أَوْ كُنَّ المُبَشِّرَةَ
 الَّتِي صُلِبَتْ لِأَجْلِكَ، وَازْتَدَتْ مِنْدِيلَ مَرِيْمَهَا، وَقُمَصَانَ
 العَدَاوِي البِيضِ، وَأَنْطَلَقَتْ لِیُوَلِّدَ بَعْدَهَا فِي هَذِهِ الأَرْضِ
 الحَمَامُ، وَقَاوَمَتْ حَتَّى عَدَا الزَّيْتُونُ تِمَثَالًا لَهَا. هُنَّ اللُّوَاتِي
 جِئْنَ بالبُشْرَى لَنَا، وَجَعَلْنَا نَأْتِي إِلَيْكَ وَنَحْنُ نُؤْمِنُ
 أَنَّكَ العُفْرَانُ وَالرَّحْمَاتُ، يَمْشِي بَيْنَهُنَّ، أَمَامَ مَوْكِبِنَا، رِجَالٌ
 آمَنُوا بِیَدَيْكَ، مَاتُوا فِي سَبِيلِكَ، عَلَّقَتْ أَعْنَاقُهُمْ فَوْقَ
 الرِّمَاحِ لِأَنَّهُمْ كَرَّزُوا بِهَذِي الأَرْضِ بِاسْمِكَ. فَافْتَحِي أَبْوَابَكَ
 البَيْضَاءَ أَيُّهَا البَهِيَّةُ كَيْ نَرَى الفَجَرَ الجَدِيدَ لِعَالَمٍ
 كُنَّا نَظُنُّ وَجُودَهُ بَعْدَ المَمَاتِ

كُنْزِهِ يَوْمَ الأَحَدِ

فَإِذَا بِنَا نَبِيَّهِ، كَيْ نَحْيَا بِهِ
 فَوْقَ التُّرَابِ إِلَى الأَبَدِ.

قَلَمٌ وَأُورَاقٌ وَنَصْرٌ كُلُّ هَذَا
 الْكَوْنِ. وَاللَّهُ الْمُؤَلِّفُ وَالْمُنْقِصُ. نَحْنُ نَصْرٌ كُلُّمَا التَّارِيخُ
 نَقَّحْنَا غَدَوْنَا مِثْلَ نَصْرِ اللَّهِ أَكْمَلَ، ذَا جَمَالٍ
 مُتَرَعٍ بِحَقِيقَةِ الْأَسْرَارِ.

يَا قَلَمَ النِّسَاءِ اخْضَرِّ فِي أَوْرَاقِنَا

هَلْ صُورَةُ الْفِرْدَوْسِ فِي الْقُرْآنِ
 إِلَّا أَنَّ رَبَّكَ نَقَّحَ الصَّخْرَاءَ؟ أَجْمَلُ مَا رَأَيْتُ بِصُورَةِ
 الْفِرْدَوْسِ حُلْمَ الرَّمْلِ. كَانَ مُحَمَّدٌ نَصًّا بِجِبْرِ اللَّهِ،
 نَقَّحَهُ فَصَارَ رَسُولَهُ. وَالْجَاهِلِيَّةُ لَمْ تَكُنْ إِلَّا نُصُوصًا،
 حِينَ نَقَّحَهَا مُحَمَّدٌ أَصْبَحَتْ إِسْلَامَهُ. وَأَتَى عَلِيٍّ، نَقَّحَ
 الْأَيْدِي. أَتَى عُمَرَ، فَتَقَّحَ قَامَةَ الْقَاضِي. وَحِينَ أَتَى
 مُعَاوِيَةَ بْنَ سُفْيَانَ

عَرَفْنَا أَنَّ أَضْعَبَ مَا تُوَجِّهُهُ السَّمَاءُ
 إِلَى الْأَبَدِ

تَنْقِيحُ نَصِّ النَّفْسِ
 مَكْتُوبًا عَلَى وَرَقِ الْجَسَدِ.

مَا كَانَ بُطْرُسُ غَيْرَ تَنْقِيحِ الطَّرِيقِ.
 وَمَرِيَمُ الْعَذْرَاءُ مَا كَانَتْ سِوَى تَنْقِيحِ أُمِّي. نُقَّحَ
 الْمَوْتَى بِأَنْ بُعِثُوا؛ وَمَنْ لُعِنُوا بِأَنْ غَفَرُوا. وَأَنْ صَارُوا

المُلُوكَ البَيْضَ مَنْ قُهِرُوا وَمَنْ صُلِبُوا. وَمَا نَدَمُ
الْخِيَانَةَ غَيْرُ تَنْقِيحِ لِرُوحِ يَهُوذَا الْفِضِّيِّ عُلِقَ فَوْقَ
سَطْرِ التِّينِ. لَمَّا اللَّهُ نَقَّحَ بَعْدَ نَصِّ الْوَقْتِ نَصَّ
غِيَابِهِ، وُلِدَ الْمَسِيحُ. وَلَيْسَ تَنْقِيحُ السُّيُوفِ سِوَى وَقُوفِ
ضِدِّ أَنْ الْحَضَرَ يَقْطَعُ رَأْسَ يُوحَنَّا. وَمَا فِي الْمَجْدَلِيَّةِ
غَيْرُ مِرَاةٍ تُنْقِحُنَا، فَلَا يَبْقَى بِكَفِّ أَوْ يَدِ حَجَرٍ،
لَأَنَّا إِنْ رَجَمْنَاهَا أَصَبْنَا وَجْهَنَا.

لَا دِينَ إِلَّا وَهُوَ نَصٌّ، عِنْدَمَا
نَشَرْتُهُ كَفَّ اللهُ فَوْقَ الْأَرْضِ، أَضْبَحَ كُلُّ جِنِّي بِهِ،
أَوْ كُلُّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ كَاهِنًا.

يَا

مَنْ يُنْقِحُ كُلَّ دِينَ
حَرَكَتِ رِيحِ السَّمَاءِ سُفْتَهُ

مِنْ

الْكَهَنَةِ.

كُنَّا نَسِيرُ، طَرِينُقْنَا وَرَقُ، وَنَصُ
نَحْنُ فَوْقَ سَطُورِهِ، لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى كَلَامٍ. كُلَّمَا
سِرْنَا تَنَقُّحْنَا يَدَاكَ. فَمَنْ يَكُونُ بَيَاضَ رَايَتِهِ أَقْلًا
يَصِيرُ أَكْثَرَ. مَنْ يُسَافِرُ فَوْقَ مَوْجِ الْوَقْتِ، يَغْرُقُ
كَي يَرَى عُمُقَ الدَّقَائِقِ. كُلُّ بُسْتَانٍ لَهُ بَوَابَةٌ
سَوْدَاءٌ مُغْلَقَةٌ، يُشْرَعُهَا. تُضَافُ إِلَى الْعَشِيَّةِ نَجْمَةٌ حَتَّى
نُحَسَّ بِمِنْتَعَةِ الرُّؤْيَا الَّتِي تُوجِي بِأَنَّ الشَّمْسَ قَادِمَةً.
نُضْمَنُ غَيْمَنَا بَحْرًا، نُضْمَنُ مَاءَنَا غَيْمًا، نُضْمَنُ حَقْلَنَا
مَاءً، نُضْمَنُ فَمَحْنَا حَقْلًا، نُضْمَنُ حَقْلَنَا عِنْدَ الْحَصَادِ،
وَرَقَصَ مَنْ زَرَعُوا، لِنَعْرِفَ أَنَّ لِلطَّاحُونَةِ الْبَيْضَاءِ بُغْدًا
فِي الْقِرَاءَةِ وَاصِلًا مَا بَيْنَ مِيلَادِ الْعَمَامِ، وَعَيْنِدِ أَكْتَاثِ
الْفَقِيرِ. فَإِنَّ وَضَعْتَ عِبَارَةَ الْمَيْسُورِ حَيْثُ هُوَ الْفَقِيرُ
وَقَعْتَ فِي حَلَلٍ بَتَزَكِيْبِ الْحَقِيْقَةِ، حَيْثُ تَغْدُو حَالَةً
التَّنْقِيحِ عِنْدئِذٍ كَلَامًا مِنْ دَمٍ مُتَوَهِّجٍ، يَمْحُو كَلَامًا مِنْ
دَمٍ يَنْسَابُ أَسْوَدَ فِي غُرُوقِ الْأَرْضِ. كَمْ وَرَقُ
الطَّرِيْقِ جَرَى عَلَيْهِ الْجَبْرُ أَحْمَرَ، كَي يَصِيرَ الْأَزْرَقُ الْمُغْتَلُّ

أَجْمَلَ أَوْ أَصَحَّ؟

جَمِيعُنَا لَعْنَةُ مُورَعةٍ عَلَى جَمَلٍ
بِنَصِّ حَبْرَتِهِ الْأَرْضِ بَرِيًّا. وَمُنْذُ الْبَدْءِ حَتَّى الْآنَ مَا
زَالَتْ صِيَاعَتُهُ تُقَلِّبُهَا رِيَّاحُ الْعَقْلِ. وَالشُّعْرَاءُ ذُو طَبَعٍ
كَطَبَعِ الرِّيحِ. أَعْظَمُ مَنْ تَدَخَّلَ فِي جَمَالِ النَّصِّ كَانَ
الْمَوْتُ. تَلْتَجِيءُ الْحَيَاءُ إِلَيْهِ سِرًّا قَبْلَ نَشْرِ نُصُوصِهَا.
لَا شَيْءَ يَزْحَلُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَوْ أَنْ رَحِيلِهِ. قَدْ
تَخْتَفِي الْأَشْيَاءُ، قَدْ تُنْسَى، وَلَكِنْ مِثْلَ نَهْرٍ نَامٍ مُنْتَظِرًا
شُرُوقَ النَّبْعِ. إِنَّا مُفْرَدَاتُ خَارِجِ الْقَامُوسِ، وَالتَّنْقِيحُ فِيهَا
مُسْتَمِرٌّ طَالَمَا الْأَيَّامُ يَمْحُو أَمْسَهَا عَدَهَا، لِيُبْقِيَ مِنْهُ مَا
تُبْقِي لَدَيْكَ مَعَاصِرُ الْكِرَامِ مِنْ صَيْفِ الْعَرِيشِ مَتَى
يَجِينُ قِطَافُهُ

لَا شَيْءَ فِينَا مُنْزَلٌ.

لَا نَصٌّ إِلَّا وَهُوَ مَفْتُوحٌ. وَمَا الْأَنْهَارُ
فِينَا غَيْرُ تَنْقِيحٍ لِمَعْنَى يَنْتَهِي بِالنَّبْعِ. مَا الْوَاحَاتُ فِي
أَعْمَاقِنَا إِلَّا الْقَوَافِي بَعْدَ أَنْ يَجْتَازَ بَيْتُ الشُّعْرِ

صَحْرَاءِ الصِّيَاغَةِ حَامِلًا تَشْكِيْلَ خَيْمَتِهِ إِلَى أَقْلَامِهِ. مَا الْمَوْجُ
إِلَّا أَنْ هَذَا الْبَحْرَ مُنْشَغِلٌ بِتَنْقِيحِ الْقَرَارِ. وَكُلُّ
غَيْمٍ، شَاعِرٌ، وَالْبَرْقُ رُؤْيَا، كُلَّمَا اشْتَعَلَتْ قَرَأْنَا نَصَّ
مَاءٍ. لَيْسَ بَيْنَ الْحَقْلِ وَالْخَبَازِ إِلَّا رِحْلَةٌ قَدْ نَقَّحُوا فِيهَا
الثَّرَابَ فَصَارَ حَقْلًا، ثُمَّ سُئِلَتْ إِذَا مَا نُقِّحَتْ صَارَتْ
طَحِينًا ثُمَّ أَرْغَفَتْ، فَإِنَّ أَلْعَيْتَ فِي التَّنْقِيحِ أَيَّامَ
الْبَيَادِرِ، وَالْخَمِيرِ، وَحَرْفَ جَرِّ الْمَلْحِ، وَالْمَاءِ الْمُفْتَرِّ، وَالْجِيَاعِ،
أَصَبَتْ جَبْرَ الْخُبْزِ فِي خَطِّ الصِّيَاغَةِ، مِثْلَ عُضْفُورٍ
يُحَاوِلُ أَنْ يُحَلِّقَ فِي الْفَضَاءِ بِغَيْرِ رِيَشٍ.
لَمْ يَجِءْ أَحَدٌ لِكَيْ يَغْدُو بِنَصِّ
الْأَرْضِ حَشْوًا. لَمْ يَجِءْ أَحَدٌ لِيُحْدَفَ. كُلُّهُمْ وُلِدُوا
لِيُضْبِحَ نَصُّ هَذِي الْأَرْضِ أَجْمَلًا. كُلُّنَا جِئْنَا لِيَغْدُو
كُلُّ مَنْ قَدْ جَاءَ نَصًّا. لَمْ تَجِءْ يَوْمًا لِكَيْ
تَمْضِي كَأَنَّكَ لَمْ تَجِءْ.

مَا كَانَ هَذَا رَأْيِي هُوَ لَا كُو،
وَتَيْرُونِ، وَذِي الْقَرْنَيْنِ، وَالرُّهْبَانِ، وَاللُّصِّ الَّذِي حَانَ الْقَضَاءُ

لَأَجْلِهِ مِيزَانُهُمْ .

وَلَأَنَّهُمْ وُلِدُوا مِنَ الْمِمْحَاةِ كَانَ النَّاسُ

أَخْرَفَهُمْ

مَحَوْهَا فِي مَجَارِيهِمْ ،

مَحَوْهَا فِي خَزَائِنِهِمْ ،

مَحَوْهَا فَوْقَ أَلْوَابِ الشَّرَائِعِ ، عَنِ سُطُورِ الْوَقْتِ

فِي وَرَقِ السُّنَيْنِ ، وَتَحْتَ أَقْوَامِ مِنَ الْعَرَقِ الرَّشِيحِ ،

وَبَيْنَ مُزْدَوِجَيْنِ : مِقْصَلَةٍ وَسِجْنٍ . أَرْسَلُوا فِيهَا عَوَاصِفَ بَدَدَتِهَا

خَلْفَ أَضْرِحَةِ النَّقَاطِ ، وَبَابِ

أَكْوَاخِ الْفَوَاصِلِ .

لَا غُضْنَ إِلَّا صَارَ مِنْ

مِمْحَاتِهِمْ فِي الرِّيحِ ظِلًّا زَائِلًا . لَا

أُفُقَ لَا تَغْتَالُ رَائِحَةُ الْمَدَائِحِ فِيهِ

رَائِحَةَ

السَّنَابِلِ .

كَمْ - يَا إِلَهِي! - مِنْ دُمُوعٍ، كَمْ
جِرَاحٍ، كَمْ مَجَاعَاتٍ وَأَلَامٍ، وَكَمْ خَوْفٍ وَأَخْزَانٍ،
طَوَّاهَا أَهْلُهَا مَعَهُمْ. مَضَتْ وَمَضُوا وَلَمْ يَعْرِفْ بِهَا
أَحَدٌ. وَمِنْ زَمَنِ الْعَصَا وَالنُّيْرِ حَتَّى الْآنَ، لَا
ضِدَّانٍ قَدْ جُمِعَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ مِثْلَ

المَقَابِرِ
وَالْمَنَازِلِ.

لَا شَيْءَ إِلَّا وَهُوَ مُنْقَسِمٌ إِلَى
ضِدِّينِ. كُلُّ فِيهِ سَيْفًا ذَاهِبِينَ إِلَى الْقِتَالِ. دِمَاءُ
هَذَا السَّيْفِ مِنْكَ. دِمَاءُ ذَلِكَ السَّيْفِ مِنْكَ. وَأَنْتَ
مُنْهَزِمٌ وَمُنْتَصِرٌ. وَكَمْ غَلَبَ السَّوَادُ الْأَبْيَضَ الْمُنْسَابَ فِيكَ.
وَكََمْ أَرَا حَتَّ رَقِصَةَ الْأَعْرَاسِ أَجْرَاسُ الْجَنَازَةِ عَنْ يَدَيْكَ.
وَلَسْتَ إِلَّا بُومَةً وَحَمَامَةً، تَخْتَارُكَ الْأُولَى فَتَجْرِي خَلْفَهَا
نَحْوَ الْحَرَائِبِ حَامِلًا

مِفْتَاحَهَا

تَخْتَارُكَ الْأُخْرَى فَتَتَّبَعُهَا كَصَيَادٍ يَسِيلُ

دِمَاؤُهُ لَمَّا يُصِيبُ

جَنَاحَهَا

يَا أَيُّهَا الْبِئْرُ الَّتِي تَرْمِي

يَدَ الْأَيَّامِ فِيهَا

لَيْلَهَا وَصَبَاحَهَا،

مَا أَنْتِ إِلَّا قَامَةٌ وَقَفْتَ عَلَى

حَجَرَيْنِ مِنْ مِلْحٍ،

تَعُدُّ جِرَاحَهَا.

مَا زِلْتُ أَذْكُرُهَا حِكَايَةَ جَدَّتِي:

«طِفْلٌ أَمَامَ يَدَيْهِ غَابَاتٌ مِنَ الشَّجَرِ

الصَّغِيرِ، رَأَى عَلَى غُضَنِ قَرِيبٍ مِنْهُ عُضْفُورًا لَهُ رِيشٌ

كَأَقْوَاسِ الْقَرْخِ.

رَفَعَ اليَدَيْنِ لِكَيْ يَلْمَهُمَا عَلَيْهِ،
فَطَارَ حَتَّى غَطَّ فَوْقَ شَجِيرَةٍ أُخْرَى، فَأَسْرَعَ خَلْفَهُ
كَالْحُزْنِ يَمْضِي مُسْرِعًا
خَلْفَ الْفَرَحِ.

وَتَصِيرُ ذِكْرِي بَعْدَهُ الْغَابَاتُ، وَهُوَ
يُلَاحِظُ الْعُضْفُورَ مِنْ عُضْنٍ إِلَى عُضْنٍ، وَمِنْ
شَجَرَةٍ

إِلَى
شَجَرَةٍ

وَيَوْمًا شَاهَدَ الْأَشْجَارَ قَدْ كَبِرَتْ
وَلَمْ يَشْعُرْ بِأَنَّ سِنِينَهَا عَبَرَتْ. رَأَى الْعُضْفُورَ فَوْقَ
الْعُضْنِ، كَانَ الْعُضْنُ أَبْعَدَ مِنْ يَدَيْهِ، وَحِينَ
مَدَّهُمَا

أَحْسَنَ بِأَنَّهُ تَعِبَ .

رَأَى

مَاءً ،

تَطَّلَعَ فِيهِ ، شَاهَدَ نَفْسَهُ فِي

الْمَاءِ شَعْرًا أَيْضًا ،

وَيَدَيْنِ

مُحَطَّمَتَيْنِ» .

إِنَّا عَبَرْنَا عَارِنَا ، ظُلْمَاتِنَا ، صَحْرَاءَ
مَاضِينَا ، خَطَايَانَا . وَقَاتَلْنَا لِأَجْلِ وَصُولِنَا بِنِضَا إِلَيْكَ سَوَادَ
أَيْدِينَا . لَقَدْ سَقَطَتْ وَنَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْكَ كُلُّ عُرُوشِنَا
مِثًا . وَأَخْرَجْنَا مَعَاوِلَنَا الْفَتِيَّةَ مِنْ قُرَى أَزْوَاجِنَا ، فَتَهَدَّمَتْ
فِينَا كَنَائِسُنَا الَّتِي لَا كُنْتِ مَزِيمَهَا وَلَا صَلَوَاتِ
كَاهِنِهَا . وَيَكْفِي أَنْ تَشْدِي حَبْلَ نَقْمَتِكَ الطَّوِيلَ لِتَعْرِفِي
أَنَّ الْمَطَارِقَ دَاخِلَ الْأَجْرَاسِ صَارَتْ مِنْ رُؤُوسِ مُلُوكِنَا ،

وَقُلُوبٍ قَادِتِنَا، اغْفِرِي،

وَأَنْسِي.

وَأَنَا نَسْتَجُوُّ وَصَوْلْنَا لِتُنقِّحِينَا مِثْلَمَا نَقَّحْتَ
حَتَّى الطُّهْرَ فَبَيْنِكَ لِكَيْ تَكُونِي أُمَّنَا. لَنْ تَسْتَطِيعِي أَنْ
تَكُونِي غَيْرَ أُمِّي. نَقِّحِينِي كَيْ أَعُودَ ابْنًا لِأَنْتِي
خُنْتُ نَفْسِي عِنْدَمَا عَادَزْتُ حُضْنَكَ كَيْ أَصِيرَ الْوَحْشَ،
وَالزَّانِي، وَلِصِّ اللهُ، وَالْقَاضِي،

اغْفِرِي،

وَأَنْسِي.

وَفِي دَوَايَاتِكَ اللَّغَّةُ الَّتِي
سَنَجِيءُ مِنْهَا غُضْنَ زَيْتُونٍ، حَمَامًا،
أُمَّةً مِنْ أَخْضَرِ،

لَا شَيْءَ إِلَّا أَنْتَنَا ضِدُّ الْمَرَارَةِ،
خَيْلَنَا وَزِدُّ،

وَفِيضَةُ سَيْفِنَا مِنْ سُكَّرِ.

ضَجَّتْ بِإِلَهَةِ السَّمَاءِ الْأَرْضُ . ضَجَّتْ
بِالرِّجَالِ وَقَدْ بَنَوْهَا أَحْجُرًا لِلْمِلْحِ سُودًا
فَوْقَ
نَهْرٍ أَحْمَرَ .

مَا مِنْ صَدَى إِلَّا لِتَغْذِيبِ الْجِبَالِ
بِهَا . أَكْفُ سُهُولِهَا مَنْقُوعَةٌ بِدِمَائِهَا . وَعَلَى مَدَاخِلِهَا مَشَانِقُ
عُلِّقَتْ فِيهَا

رِقَابُ الْأَبْحُرِ .

قَمَحٌ بِلَا
رَأْسِ ،
وَقُلٌّ أَبْرَصٌ ،
وَحَمَائِمٌ مَقْتُولَةٌ بَيْنَ الْخَرَائِبِ
فِي
فَضَاءٍ مُقْفِرٍ .

رُجِمَتْ لَدَى الْفِرْعَوْنَ فِي أَهْرَامِهِ .
وَأَصَمَّهَا وَقَعُ الْحَوَافِرِ بَيْنَ آئِنَتَا وَأَبَادِ
مَعَ الْإِسْكَندَرِ .

لَمَّا غَزَاهَا الْفُرْسُ، وَاغْتُصِبَتْ بِخَيْمَةِ
جُرْهُمِ، حَبِلَتْ بِهُؤُلَاكُو. وَلَمَّا سَاقَهَا كُنْعَانُ قَوْسَ ظَهْرَهَا
قَيْثَارُ نَيْرُونِ،
وَصَهْوَةٌ قِنَصِرِ .

لَمَ يَكْسُهَا الْعَرَبُ الْعَبَاءَةَ عِنْدَمَا بَرَدَتْ .
وَلَمَ يَفْتَحْ لَهَا أَحَدٌ مَسَاءً عِنْدَمَا انْتظَرَتْ
بِبَابِ الْبَرْبِرِ .

لَا مَكَّةَ نَهَضْتَ لِتَحْمِيهَا . وَلَا فِي
الْقُدْسِ آوَاهَا الْمُعَلِّمُ . أَعْرَقْتَ سَبَأً بِمَارِبَ عُرْسَهَا . وَسَرَتْ
بِنَهْدِيهَا قَوَافِلُ جَمِيرِ .

رَبَيْتَ عَلَى لِصٍّ . وَلَطَّخَهَا دَمًا .
وَتَدَثَّرْتَ بِدُخَانٍ مَذْبَحَةٍ . وَلَمَّا أَوْقَفُوهَا كَيْ تُبَارِكَهَا الشُّمُوسُ ،
وَيَضْطَفِينَهَا الْأَفْقُ سَيِّدَةَ الْكَوَاكِبِ ، أَلْبَسُوهَا ثَوْبَ دَجَالٍ ،
وَحُوذَةَ عَسْكَرِي .

دَخَلَ النَّبِيُّ جَبِيئُهُ لَمَّا رَأَيْتَنِي
قَادِمًا لِحِرَائِهِ . وَلَمَحْتُ فِي الْوَقْتِ الْمَسِيحَ مُحَجَّرَ الْعَيْنَيْنِ ،
مَذْهُولًا كَنُومٍ قَامَ مِنْ نَوْمٍ عَمِيقٍ غَامِضٍ ، ذَكَرْتُهُ
بِمَجِيئِهِ كَيْ يُنْقِذَ الْأَحْيَاءَ وَالْمَوْتَى ،
فَلَمْ يَتَذَكَّرِ .

وَأَخَافُ أَنْ يَغْدُوَ مَجِيئِي أَنْ
بَحَارًا أَعَدَّ شِرَاعَهُ ، وَالزَّادَ ، وَالْمِجْدَافَ ، وَالْهَادِي ، وَلَمَّا الْمَوْجُ
بَارَكَ ، وَالرِّيَّاحُ تَفْتَحَتْ ،
لَمْ
يُجِرِ .

لَا مِنْ رُخَامٍ جِئْتِ،
أَوْ مِنْ مَرْمَرٍ.

لَا أَنْتِ، لَكِنَّ هُمْ أَفَاضُوا فِيكَ
نَهَرَ الرَّقْصِ بَيْنَ ضِفَافِ مِرْمَارٍ،
وَأَجْنَحِ مِرْهَرٍ.

أَبْكَاءُ أَنْكَ لَمْ يَجِدْ فِي سِرِّكَ
الشُّعْرَاءُ غَيْرَ مُدَامٍ يَأْفُوتِ
وَتَغْرِ مُسْكِرٍ.

وَأَنَا

خَطِيبُكَ . سَاحَتِي الْآتِي . عَصَايَ التَّبْعُ .
صَوْتِي الرِّيحُ فِي الْوَادِي . كَلَامِي الْبَرْقُ قَبْلَ مَجِيئِكَ
الْمَطَرِي . وَالْأَفْقُ الْمُعَلَّقُ كَالذُّوَابَةِ
مُنْبَرِي .

أَهْ أَفْتَحِي لِي الْبَابَ يَا
قَدَيْسِي. قَدْ جِئْتُ مِنْ رُوحِ الزُّجَاجِ، وَعِشْتُ أُضْغِي
كُلَّمَا أَعْمَضْتُ أَجْفَانِي
لِصَوْتِ زُجَاجِي الْمُتَكْسِرِ.

لَا تَشْرُكِيَنِي هَاهُنَا وَخَدِي.
أَنَا عَارٍ عَلَى جَبَلٍ، تُفَكِّكُنِي الْعَوَاصِفُ، وَالْبُرُوقُ تَشُكُّ
فِي جَسَدِي الرِّمَاحَ، وَزَاحِفٌ نَحْوِي الْمَدَى بِقَبِيلَتِي رَعْدُ،
وَأَسْوَدَ مُمَطِّرٍ.

قَلِقُ،

شَجٍ،

لَا أَسْتَقِرُّ كَزَيْبِي.
لَكَأَنَّ مَا دَا الْبَحْرُ أَوْزَاقِي، وَذَا الزَّيْبُ الْكَلَامُ، وَتَحْتَهُ
الْمَاءُ الْمُمَوِّجُ
أَسْطُرِي.

لَا يَسْتَطِيعُ قَضَاءُ هَذِي الْأَرْضِ
أَنْ يَجِدُوا مِنَ الْأَحْكَامِ أَفْسَى مَا وَجَدْتُ لِكَيْ أَكْفَرَ
عَنْ عَدَابَاتِي لَكَ . فَلَقَدْ شَكَّتُ السَّيْفَ فِي صَلْفِي ،
وَفَوْقَ صَلِيبِ أَيَّامِي

صَلَبْتُ
تَكْبِيرِي .

لَا فِي انْتِصَارَاتِي ، وَلَا وَطْنِي ،
وَلَا فِي اللَّهِ أَوْ مَوْتِي لِأَجْلِ الْحَقِّ ، لَكِنْ فِي تَحَرُّرِ
رُوحِكَ الْبَيْضَاءِ مِنْ ظَلْمِي ،
يَكُونُ
تَحَرُّرِي .

قَدْ عِشْتُ عُمْرِي ، أَنْتِ أَبْعَدُ مِنْ
مَدَى ظَنِّي ،

وَفَوْقَ تَصَوُّرِي

يَا رَبَّةَ الْوَهْجِ الَّتِي
أَطْفَأَتْ عَيْنَ الْمُبْصِرِ

لِيَرَاكَ فِي أَسْرَارِهِ . إِنِّي فَتَحْتُ

عُيُونَ سِرِّي

فَظَهَرِي

رَبًّا بِلَا غَضَبٍ وَتَارٍ ،
غَيْرَ مُنْتَقِمٍ وَلَا مُتَجَبِّرٍ .

أَكْمَلْتُ أَرْضِي بِي .
وَأَنْتِ الشَّمْسُ . فَلَأَضَعْدُ إِلَى الدَّوْرَانِ
حَوْلِكَ . فَاحْرُسِي عَرَبَاتِي الزَّرْقَاءَ مِنْ عَثَمِ الطَّرِيقِ ،

وَبَارِكِي

لِي أَشْهَرِي .

وَلِدَيْ مَجِيئِي مِنْ جَدِيدِ قَامَةٍ
فِيهَا عِظَامُ الرِّيحِ، أَلْيَافُ الْبِحَارِ، صَبَا دَمِ الْآتِي،
وَوَجْهُ الْأَعْصُرِ.

لَمَّا رَأَيْتُكَ زِدْتُ حُزْنَ أَنْ لِي
عُمْرًا مَضَى. يَا لَيْتَ هَذَا الْعُمْرَ لَمْ يَرَ وَجْهَكَ الْقُدْسِيَّ
أَوْ لَمْ يَكْبُرِ.

خَجِلْتُ لِأَنِّي حَامِلٌ تَعَبَ الطَّرِيقِ
هَدِيَّتِي،

وَجِرَاحِ أَمْسِي
أَزْهَرِي.

إِنِّي أَتَيْتُ إِلَيْكَ،
فَأَنْسِي،
وَأَغْفِرِي،

وَتَعَالَتْ
الْأَصْوَاتُ .

كُنَّا الْبَحْرَ . كَانَ الْعُمُقُ أَنْتِ .
وَأَنْتِ كَانَ الْمِلْحُ . أَنْتِ الشَّاسِعُ الْمُمْتَدُّ فِينَا . كَانَتْ
الْأَمْوَاجُ تَغْلُو . لَمْ يَكُنْ يَغْلُو سِوَى أَصْوَاتِنَا . أَنْتِ

الَّذِي يَعْلُو بِنَا. وَالْآنَ أَدْرِكُنَا بِأَنَّكَ نَحْنُ. أَدْرِكُنَا
بِأَنَّ لَمْ تَكُنْ تَمْضِي بِنَا أَشْوَاقُنَا إِلَّا إِلَيْنَا.

يَا سَوَاحِلَنَا الْبَعِيدَةَ،

إِنَّا نَمْضِي إِلَيْكَ.
إِلَى سَوَاحِلَ لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ تَدْرِي أَنَّهَا فِينَا.
وَأَنَّ عَرَائِسَ الزَّبِدِ الْعَذَارَى لَمْ يَكُنْ سِوَى بَيَاضِ الرُّوحِ
فِي جَسَدِ الْبِحَارِ.

إِذَا فَتَحْتَ لَنَا، فَبَابِكَ لَنْ يُفَاجِئَنَا،
وَوَجْهُكَ لَنْ يُفَاجِئَنَا. فَقَدْ كَانَا بِدَاخِلِنَا الَّذِي لَمْ
نَلْتَفِتْ يَوْمًا إِلَيْهِ لِأَنَّا عِشْنَا بِلَا أَعْمَاقِنَا.

إِنَّا نُضَوِّصُ كُلَّهَا
كَذِبٌ.

بَلَاعَتْهَا خِيَانَاتٌ. حَقِيقَتُهَا
خِيَانَاتٌ. قِرَاءَتُهَا، جَمَالِيَّاتُهَا، وَالْعَرْشُ، وَالْأَدْيَانُ، وَالْدِّيْنَارُ،
وَالْقَانُونُ، أَجْنِحَةُ الْفُنُونِ، الْعِشْقُ، وَالْمِيرَاثُ، وَالْمَاضِي،
خِيَانَاتٌ،

خِيَانَاتُ،

خِيَانَاتُ.

وَمَا فِي الرِّيحِ حَتَّى الْآنَ إِلَّا كِذْبَةٌ
بُنِيَتْ عَلَيْهَا الْأَرْضُ بَيْتاً مِنْ خَرَابٍ بَيْنَ سَيْفِ قَاتِلٍ،
وَحَقِيقَةٍ مَفْتُولَةٍ.

وَبِرَعْمِ ذَلِكَ
إِنَّ جُزْءاً مِنْكَ فِينَا،

فَخُذِي النُّصُوصَ،
وَتَقْحِينَا.



وَتَعَالَتِ الْأَصْوَاتُ

مِنْ

أَعْمَاقِنَا:

يَا

شَمْسُ بُكَاءِ الْجَسَدِ الْخَاطِي،
وَسَوَادِ النَّفْسِ،

إِنَّا أَصْبَحْنَا أَشْجَارَكَ، فَلتُبْعِدْ عَنَّا
يَدُكَ الْخَضْرَاءَ
الْقَاسِ

وَهَبِينَا يَا شَمْسُ وُجُوهاً
مِنْ
دَوَارِ الشَّمْسِ.

أَلْفَهْرَس

٧	أَدَمُ بَيْنَ هِلَالِي السَّهْمِ وَالْقَوْسِ
٦٣	أَدَمُ بَيْنَ هِلَالِي الْحَمَامِ
١١٣	مَقَامُ الْمَمْحَاةِ
١١٥	ضَبَاب
١٣٢	نَصُّ قَلْبِي
١٣٥	قَامَةٌ مِنْ مَاءِ
١٤٦	مَقَامُ الدَّمْعِ
١٥١	أَلْمَجْدَلِي
١٦٩	مَرْيَمُ الْمَرْيَمَاتِ
١٨٣	العِقَابِ
٢٢٣	بَيَاضُ لِبَاطِعُورِ
٢٥٢	حُبِّ

٢٥٦	أَلْحَدِيثُ
٢٨١	أَلْسِيَامَةُ
٣٣١	ذَبِيحَةُ الْبِيَاضِ
٣٧٥	مَقَامُ الذُّكْرِيَّاتِ
٣٧٧	أَلْسَرٌ
٣٨٠	غَيْرَةٌ
٣٨٣	أَلْحُبُّ
٣٨٤	كَلَامُ الْأَشْيَاءِ
٣٨٦	فُتَاتٌ
٣٨٧	أَلْحُسْنُ
٣٨٨	أَلْجِرَاحُ
٣٩٠	وَجَعٌ
٣٩٢	أَلْأُخْتُ
٣٩٤	أَلدَّفَعُ
٣٩٦	جَسَدٌ
٣٩٨	أَلْحِكْمَةُ وَالذَّهَبُ
٤٠٠	أَلتَّلْجُ

٤٠٢	أَلْغَيْبَةِ
٤٠٤	أَلْغَصَّةَ
٤٠٦	شَوْقَ
٤٠٨	لِصَّ
٤١٠	اللَّعْنَاتِ
٤١٢	أَلْظَلَّ
٤١٥	دَمَّ بَيْنَ السَّيْفِ وَالْوَرْدَةِ
٤١٧	أَلْحَسْرَاتِ
٤٣١	مَقَامُ السَّيِّدَةِ الْبَيْضَاءِ

جوزف حُرب

السيدة البيضاء في شهوتها الكحلية

شوق

وكان لنا
مؤعد في المساء،

جميل كقامتها في العشاء،
سريع كنوم، رقيق كماء.

ومن
شغفي باللقاب،

رأيت الذقنة عاماً. وزحنت أبيض
إلى أن غدوت عجوزاً، عصابي عكاز ربح، وجسمي
غمام شفاء.

وجانت،
فما عرفتني.

استراحت

قليلاً،
وزاقت.



دار النشر
بغداد



185513